تفسير سفر أيوب
الجزء ٢

لويس صليب

أخذت بإذن رسمي من معهد عمواس للكتاب المقدس

لدراسة هذه الكتب وغيرها، والحصول على شهادة من معهد عمواس يمكنك الدخول إلى موقعهم التالي:
www.emmaus-bible-ministry.org
جميع الحقوق محفوظة لمعهد عمواس للكتاب المقدس ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة إي من الكتب أو المقالات بأي طريقة طباعية أو إليكترونية أو وضعها على الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من معهد عمواس للكتاب المقدس. يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

مقدمة
الإصحاح الحادي والعشرون: جواب أيوب لصوفر
القسم الثالث الإصحاحات ٢٢– ٣٧
الإصحاح الثاني والعشرون: الخطاب الثالث لإيفاز
الإصحاح الثالث والعشرون: جواب أيوب لإيفاز
الإصحاح الرابع والعشرون: تابع جواب أيوب لإيفاز
الإصحاح الخامس والعشرون: الخطاب الثالث لبلدد
الإصحاح السادس والعشرون: جواب أيوب لبلدد
الإصحاح السابع والعشرون: توكيد الاستقامة والكمال لأيوب
الإصحاح الثامن العشرون: الحكمة التي تفوق التقويم
الإصحاح التاسع والعشرون: إحساناته تمدحه
الإصحاح الثلاثون: هوان الحاضر
الإصحاح الحادي والثلاثون: إعلان زكاوته
الإصحاح الثاني والثلاثون: خواء وخيبة الخصومة
الإصحاح الثالث والثلاثون: هدف الله في التأديب
الإصحاح الرابع والثلاثون: الدفاع عن صفات الله
الإصحاح الخامس والثلاثون: امتحان الله للإنسان
الإصحاح السادس والثلاثون: معاملات الله مع الناس
الإصحاح السابع والثلاثون: طرق الله في الطبيعة
القسم الرابع: الإصحاحات ٣٨– ٤٢: ٦
مقدمة القسم الرابع
الإصحاح الثامن والثلاثون: إعلان خصائص القوة أو سجاياها
الإصحاح التاسع والثلاثون: إعلان عنايته بمخلوقاته
الإصحاح الأربعون: أثر كلام الرب على أيوب

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مقدمة

إذا أخذنا سفر أيوب بصورة عامة فإننا نستطيع أن نقول بأن محـــاورات أصدقاء أيوب له، تظهر لنا قصور الفكر عن إدراك حكمة الله في معاملاتـــه في هذا الوجود. ويكفي أن نستمع إلى صوت الله لهم "من ذا يعوِّج القـــضاء بـــلا فهم؟" وإني اعتقد أن هذا ما يقوله الله لفلاسفة اليوم. من ذا يزيد القضاء الإلهي غموضاً بكلمات كثيرة لا طائل تحتها؟.

وقد يكون أولئك مخلصين، ولكن دائرة الاختبار البشري أوسع مـــن أن تخضع لجولات أولئك الفلاسفة أو أن تحدها تعريفاتهم وأقوالهم وتكهناتهم.

وهذا لا يصدق على أيوب أيضاً. فهو لا يستطيع بنفسه أن يدرك معـــنى اختباره. وتكشف أحاديثه عن جهله بما اجتاز فيه، وعن قـــصوره عـــن إدراك معنى كل التجارب التي أحاطت به. وكما يقول الرب يسوع لبطرس "لـــست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد". أمر نراه في سفر أيـــوب بصورة عامة: إنه يصور الله جالساً على عرش الوجود متسلطاً عليه رغم ما نراه فيه من متاعب وتجارب وضيقات. وقد لا ندرك أساليب الله في معاملاتـــه في هذا الوجود. ولكن لنثق بأنه هناك وراء كل شيء. إن الله قد لا يعلن لنا عـــن

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

خططه. ولكن لنثق أن الألم والتجربة مكانهما في مخططه. لا يوجد سفر ضمن أسفار الكتاب المقدس يصور لنا سلطان الله المطلق مثل سفر أيوب.

أنه قد لا يعطينا تفسيراً شاملاً لعمل الله أو فكره، ولكنه يرينا شخصه حاضراً وعاملاً، بقوة خفية. أما الشيطان عدو الله فإنه يحاول أن يظهر لله أن خلق الإنسان لم يكن عملاً صائباً وأن الإنسان يتقي الله،_ ويعبده للمنفعة، إما طمعاً في خير أو دفعاً لضرر. إن الشيطان يكذب ويحاول أن يؤكد كذبته بكذبة أخرى.

والخلاصة نجد في سفر أيوب إنساناً يجرد إلى العرى من ذاتيته، ومن مقومات وجوده المادي، أي من كل الثياب التي تكسو نفسيته ومن كل ما يعتمد عليه الإنسان في رحلة الحياة، من الملكية، والأبناء، والصحة، وعطف الأصدقاء، ومن شعوره بكرامته، ويقينه بعدالة الله. نرى إنساناً في أقصى درجات الوحشة يتصاعد الأنين من قلبه، وتفيض منه كلمات الحكمة الحزينة.

وإذ نصغي إلى أحاديث أيوب، يأخذنا منطقه بالروعة والجلال، بالقياس إلى فلسفة أصدقائه. ولكننا نكتشف أكثر من هذا. فبين الحين والحين تتصاعد صرخة من أعماقه – صرخة احتياج وتساؤل. أو تحدي. وحين نحصر أنفسنا

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

في دائرته لا نجد جواباً واحداً منها. جميل ورائع أن نصغي إلى صرخاته ونحلل من خلالها نفسيته. جميلٌ أن نرى حاجة البشرية في حاجته. وأنين البشرية في أنينه.

سوف نرى في هذا الجزء الثاني فشل أصحاب أيوب الثلاثة تمام الفشل في معالجته لان خدمتهم كانت ذات وجه واحد، فقد سلّطوا عليه كمية كبيرة من الحق ولكن بدون نعمة. يكفي أن نورد مثالاً واحداً لتوضيح اتجاه أقوالهم جميعاً. "كيف يبرر الإنسان عند الله وكيف يزكو مولود المرأة؟ هو ذا نفس القمر لا يضيء والكواكب غير نقية في عينيه. فكم بالحري الإنسان الرمّة وابن آدم الدود" (ص٢٥: ٤-٦). هذه الأسئلة سألها بلدد ومثلها أصحابه ولكنهم لم يستطيعوا أن يجيبوا عليها. فقد استطاعوا أن يجرحوا، ولكن لم يمكنهم أن يضمدوا، لذلك نرى أيوب من حين إلى آخر ينطق من مرارة نفسه قائلاً: "صحيح إنكم شهب ومعكم تموت الحكمة" "أطباء بطّالون كلكم" " معزون متعبون كلكم" "حتى متى تعذّبون نفسي" "تراءفوا تراءفوا أنتم عليّ يا أصحابي" "كيف اعنت من لا قوة له. وخلّصت ذراعاً لا عزّ لها. كيف أشرت على من لا حكمة له".

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

هذه هي الكلمات التي فاضت بها نفس أيوب تحت تأثير خدمة أصحابه ذات الوجه الواحد. ومع أنهم كانوا بلا شك مخلصين النية، إلا أنه فاتهم أمر مهم هو وحده الذي كان يؤهلهم لمعالجة حالته، فكانت تعوزهم النعمة. ولذلك لم يستطيعوا أن يخبروا أيوب أين يجد من يبحث عنه، لم يستطيعوا أن يعينوا من لا قوة له، ولا أن يشيروا على من لا حكمة لديه، ولا أن يعصّبوا الجريح، ولا أن يعالجوا المريض. فلهجتهم كانت ناموسية قاسية. وأمثال هؤلاء لا يصلحون لمعالجة الخاطئ الأثيم المسكين، لأنهم يطلبون أن يقف الإنسان أمامهم كاملاً بلا عيب ولا جرح ولا وجع.

فإن وجدوا هناك جرحاً فحينئذ ينظرون إليه بكل حدّة، سائلين عن سبب ذلك الجرح. حقاً إنهم أطباء بطّالون. وإن وجدوا مصاباً فحينئذ يسالون بكل قساوة عن سبب ذلك المصاب. حقاً إنهم معزّون متعبون.

لذلك من الطبيعي أن هؤلاء الأصحاب لا يصلون إلى التفاهم مع أيوب، فكانوا يتكلمون معه على أساس غير صحيح، وفي الوقت نفسه لم يستطيعوا أن يوصلوه إلى الأساس الصحيح لمحاوبتهم، فهو كان يبرر نفسه، وهذه غلطته، وهم كانوا يدينونه، وذلك نقصهم.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهنا برز أليهو، لأنه الرجل الكفء لهذا الموقف. برز ومعه العلاج الذي يحتاجه أيوب و لم يستطع أصحابه أن يقدموه له. فقد كان الرجل الذي يتطلبه أيوب ويتمنى أن يقف أمامه. وها قد وقف أمامه شخص مثل آليهو الذي يرمز لربنا المبارك، "لأن الناموس بموسى أعطي. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يوحنا ١: ١٧). وفي هذه الكلمات يظهر بهاء مجد الرب يسوع المسيح الأدبي ومجد خدمته. فقد أتى بالحق لإظهار حقيقة حال الإنسان، وبالنعمة لمعالجة تلك الحالة التي أظهرها الحق.

لّما أتم أيوب أقواله، وكفّ أصحابه الثلاثة عن مجاوبته، أو بعبارة أخرى لّما عاد كلا الفريقين إلى حيث ابتدأا، حمّى غضب آليهو بن برخئيل البوزى من عشيرة رام. على أيوب حمّى غضبه لأنهم لم يجدوا جواباً واستذنبوا أيوب".

أيها القارئ العزيز إني أرجوك أن تلاحظ هذا الأمر، إن استقامة الإنسان هي في أن يعترف بأنه قد اخطأ، فهذا المبدأ بسيط، ولكن مع بساطته ما أصعب وصول النفس إليه. فأيوب لم يصل إليه إلا بعد المشقة، فكم أدلى من الحجج، وكم جادل في الأقوال، وكم عدد في صلاحه ومناقبه، وكم أشار إلى شرفه ومركزه، وهكذا بعد صعوبة كبرى وصل إلى نهاية نفسه، ونطق بكلمات الاستقامة الصحيحة قائلاً: أنا مذنب وعلى ذلك فإن الأساس المستقيم الوحيد

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الذي يجب أن يقف عليه الخاطئ هو أساس الاعتراف بخرابه التام. وتتلخص حالة الإنسان وأخلاقه في قوله "أنا مذنب" و "أخطأت" فالقول الأول يبين شخصيته، والثاني يبين أعماله، وهذان القولان هما عنوان النفس المستقيمة "هوذا منتفخة غير مستقيمة نفسه فيه.والبار بإيمانه يحيا"(حبقوق ٢: ٤).

وإذ نقّلب صفحات الأسفار المقدسة لنصل إلى كتابات العهد الجديد، نرى عظيماً بين البشر مع أنه لا يملك مالاً. هو الرب يسوع، قطع رحلة الحياة مجرّداً من كل شيء يعتمد عليه البشر. ولكننا ما أن نسير برفقته قليلاً، حتى نكتشف فيه جواباً لكل سؤال تقدم به أيوب، وسداً لكل حاجة لم يقدمها له إنسان.

حول صرخات أيوب. حول أسئلة أيوب. حول الأنّات المتصاعدة من قلب أيوب، ثم الإجابات التي يتقدم بها الرب يسوع إليه، نستكمل دراستنا في الجزء الثاني من سفر أيوب.

القاهرة في يناير ١٩٩٩

لويس صليب

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الحادي والعشرون

جواب أيوب لصوفر

هنا يجد أيوب نفسه أمام سر لا يستطيع كشفه: لماذا يضرب الله العادل الإنسان الذي يطلب رضاه؟ ولماذا من جهة أخرى وعلى عكس كلام أليفاز وبلدد وصوفر، يُنجح الأشرار في عملهم على الأرض؟ إنهم يسبّون الله قائلين: "ابعد عنا وبمعرفة طرقك لا نسر" (ع١٤). وبالرغم من ذلك لا يعاقبون. (ع٧-١٥، ملاخي٣: ١٨).

إن سكوت الله وعدم مبالاته ظاهرياً بتصرفات الأشرار هي لغز لكثيرين من المؤمنين(مزمور٥٠: ٢١). هذه المشكلة الخطيرة كانت سبب عذاب لاساف التقي في (مزمور٧٣) حيث يقول: "حقاً قد زكّيت قلبي باطلاً وغسلت بالنقاوة يديّ. وكنت مصاباً اليوم كله وتأدبت كل صباح" أي ما الفائدة من تزكية قلبي إن كان التأديب يقع عليّ كل صباح. إن للأشرار نصيباً أحسن مني.

ولكن لنقرأ (ع١٧) من هذا المزمور "...وانتبهت إلى آخرتهم" ليتنا لا نحسد أهل العالم، لأن الله لا ينطق بحكمه قبل القبر. إن المباينة هائلة بين هذه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

النهاية الرهيبة التي تنتظر غير المؤمنين وبين المستقبل المجيد الذي ذخره الرب لمفدييه المحبوبين(يوحنا١٤: ٣،١٧: ٢٤، رومية٨: ١٧و١٨).

بينما يتجه عطفنا صوب أيوب إزاء المعاملة التي يلقاها من أصحابه، فإن في ردوده لدليلاً واضحاً على كفايته في الدفاع عن نفسه، على الأقل فيما يتصل بالناس. وإننا لنراه يواجه كل متكلم من ذات بضاعته، ويسكته. وفي رده على صوفر لا يزال عنيد الروح، يجاوب نقّاشه بأسلوب قاطع.

وهذا الرد ينقسم، مثل خطاب صوفر، إلى سبعة أجزاء:

(ع١: ٦) الجدية التي يتسم بها رد أيوب الذي يتصل بالله

(ع٧-١٦) نجاح الأشرار.

(ع١٧-٢١) الدينونة لا تظهر إلا في أولادهم.

(ع٢٢-٢٦) تشكيلة من اختبارات الأشرار.

(ع٢٧-٣١) اتهامه لأصحابه.

(ع٣٢،٣٣) النهاية في الموت.

(ع٣٤) الخاتمة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع١: ٦) الجدية التي يتسم بها رد أيوب الذي يتصل بالله.

يستهل أيوب ردّه سائلاً – في القليل– أن يستمع إليه أصحابه استماعهم يحل محل التعزية التي يأبوها عليه. وبعد ذلك ليواصلوا عنفهم. هو عن نفسه قد كشف عن انتظار حكم صحيح من جانب الإنسان، ولو كان هذا هو كل رجائه لحقّ له ذلك، وهذا يتضمن أنه رجع إلى الله، الأمر الذي هو في ذاته دليل على الإيمان الكامن في أغوار قلبه. لكن مصاعبه لم تتلاشى، فإن أصحابه قد يدهشون ويعجبون لأنه يرتاع في الكلام هما هو يزمع أن يضعه قدامهم، مما ينبغي كثيراً من الدعاوى التي عرضها صوفر بأسلوبه الذكي. ونلاحظ هنا أن هذا الاستهلال الفخم قد خلا من نغمة التذمر والشكوى. وهم إنما يعرض مشكلته على أصحابه، فإن كانوا رجالاً فليفهموا موقفه.

ويجيب أيوب على أقوال صوفر "اسمعوا قولي سمعاً" لقد كان أمراً مرفّهاً أعظم ترفيه للرجل المسكين المجرّب بأن يتكلم معبراً عما في نفسه. لقد فشل فشلاً كاملاً في كسب عطفهم ولكنه مع ذلك كان يفضل أن يتكلم بصراحة و لم يكن يجد أية صعوبة في مواجهة كل ما كانوا يثيرونه من حجج ونظريات.

"وليكن هذا تعزيتكم. احتملوني وأنا أتكلم....وبعد كلامي استهزؤوا"

لقد كانت هذه كلمة شديدة، ولكنها لم تكن أكثر مما يستحقونه "أما أنا فهل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

شكواي من إنسان (أو لإنسان)". إنه في وسط هذا الحزن كله لم ينس أيـــوب قط أنه يتعامل مع الله، وإن أمره مع الله، وهذه هي التقوى الصحيحة.

"وإن كانت فلماذا لا تضيق روحي". أي أنه غير قادر على فهم الأمـــر وهذا هو سر الضيق والتعب.

"تفرّسوا فيّ وتعجبوا وضعوا اليد على الفم. عندما أتذكر ارتاع وأخذتُ بشرى (أي تملكت جسدي قشعريرة)..وما الذي كان يجعله هكـــذا خائفـــاً مرتعداً؟ السبب أنه هو أيضاً كان ينظر إلى الناحية المضادة تماماً لناحية صـــوفر. وكلاهما خطأ. إن صوفر كان يحصر نظره بصفة خاصة في بعض حالات معينة، فيها يتعامل الله قضائياً مع أناس من الأشرار البارزين.

وهناك مثل هذه الحالات من وقت إلى آخر. إنسان مثلاً يدعو باسم الله باطلاً ويقسم قسماً خبيثاً لإحقاق الكذب. ربما سرقة أو أية جناية أخرى. فيقع ذلك الإنسان مغشياً عليه ويموت غير أن هذا في الواقع شيء نادر الوقوع جداً ولا يحدث إلا لظروف ومناسبات خاصة. فهناك آخرون يقـــسمون ويحلفـــون كذباً ومع ذلك ينجون بأموالهم ويحتفظون بها لأنفسهم ويحاولون أن يظلـــوا في أعين الناس محترمين مكرمين، ولكنهم في الوقت نفسه يذخرون لأنفسهم غضباً

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ليوم الغضب. فما الذي جعل أيوب يرتعد هكذا لّما رأى الشر ناجحاً؟ كما يقول هنا متسائلاً: "لماذا تحيا الأشرار" وكأنه يقول: إني أستطيع أن افهم الأمر إلى هذا القدر. أستطيع أن افهم تماماً أن الله يحطّم الأشرار. فذلك وحده ما يستحقونه. ولكن لا يمثل الواقع فالغالبية الساحقة منهم لا تبدو ناجحة مستمتعة في شرها في الوقت الحاضر.

(ع٧-١٦) نجاح الأشرار.

"لماذا تحيا الأشرار، ويشيخون، نعم ويتجبرون قوة. نسلهم قائم أمامهم معهم وذريتهم في أعينهم" فلم يكن الأمر مجرد حلم يطير أو طيف يطرد كما ادعى صوفر، شيء يعبر فلا يعود يوجد. كلا بل بالعكس في نظر أيوب.

"بيوتهم آمنة من الخوف". وكم من بيوت رجال أتقياء يقتحمها اللصوص. وكم من بيوت رجال أتقياء تُحرق وتنهار فوق رؤوسهم وقد يكون بجوارهم رجال أشرار من أحط نوع ولكنهم لا يقعون في مثل هذه المتاعب أطلاقاً!.

ولكن هناك النهاية الرهيبة التي تنتظرهم، اليقظة الفجائية المرعبة التي يحدثنا عنها ذلك الرجل الغني "الذي رفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب". أه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن هذا الشيء خطير، ولكن ما من أحد كان يمكنه أن يرفع عنه الستار سوى رب الخليقة. ما من أحد غير الرب كان يمكن أن يرسم هذه الصورة، وما من أحد كان يمكنه أن يتحدث عنها بعلم اليقين وتوكيد قبل مجيء الرب. ولنلاحظ أن هذا ليس وصف ما سيكون عليه الحال بعد القيامة. بل هذا ما يتم فعلاً بعد الموت مباشرة و لم يكن ذلك الإنسان رجلاً شريراً كما كان يبدو في أعين اليهود، لم يكن رجلاً سكيراً أو لصاً أو سارقاً أو أي شيء من هذا النوع. كان رجلاً محترماً في الهيئة الاجتماعية. وكل ما هنالك أنه كان إنسانا عائشاً لنفسه وفي العذاب لا نسمعه يلعن أو يهزأ، بل نراه يعترف بأبيه إبراهيم في وسط عذاباته، والرب هو الذي يصف لنا ذلك. وهو قلق مهتم بأنفس إخوته الخمسة، ويريد إنقاذهم من العذاب. وبالإجمال كان الرجل من النوع الذي يحتل في تقدير الناس مكاناً محترماً، ولكنه كان عديم الإيمان. عديم التوبة، لا صلة له بالله ولا ينتظر المسيّا. كان قانعاً بالاستمتاع بثروته أما اليعازر المسكين فيكفيه في نظره ما تقدمه له الكلاب من عناية.

"بيوتهم آمنة من الخوف وليس عليهم عصا الله". ولكن العصا سيأتي دورها. "ثورهم يلقّح ولا يخطئ. بقرتهم تنتج ولا تسقط" كل شيء ناجح.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"يسرحون مثل الغنم رضعهم، وأطفالهم ترقص" كل شيء منتعش ومبتسم. "يحملون الدف والعود ويطربون بصوت المزمار". والحق إنه لشيء خطير أن نجد هذا كله لدى الناس الأشرار الناسين الله لكن انظر ماذا بعد ذلك. "يقضون أيامهم بالخير في لحظة يهبطون إلى الهاوية. فيقولون لله ابعد عنا".

إن أقوال أيوب أخطر وأصدق بكثير مما حاول صوفر أن يصورها بعباراته العنيفة. "وبمعرفة طرقك لا نُسر، من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع أن التمسناه" وليس المقصود أنهم يقولون ذلك بأفواههم للنا ولكن ذلك ما يقوله سلوكهم لله.

ومن ثم فهناك قوة عظيمة في القول الذي نقرأه في مكان آخر "قال الجاهل في قلبه ليس اله" لربما لم ينطق هذا الجاهل بمثل هذا القول ولو مرة واحدة في حياته "ليس اله" ولكن ذلك ما يقوله قلبه. والله يقرأ لغة القلب. والعبد الشرير يقول في قلبه "سيدي يبطئ قدومه" ولربما كرز ونادى بما يسميه "المجيء الثاني". نقول ربما وعظ به بلسانه ولكن ذلك ما كان يقوله قلبه. فلم يكن في الحقيقة منتظراً المسيح على الإطلاق، بل كان مسروراً أن يرى باقياً بعيداً. و لم تخطر على باله قط صلاة مثل هذه "تعال أيها الرب يسوع" والواقع

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أنه لأمر خطير للغاية كيف يعرف الرب الأفكار وكيف يقرأ القلوب ولـــذلك كان من الأهمية بمكان أن ندين ذواتنا ونتطلع إلى الرب لكي يكـــون المـــسيح نفسه أمامنا باستمرار حتى نمتلئ بفكره ونتصرف بمحبته وننقاد بروحه الـــذي يعطي القوة والنعمة اللازمة للذين يتطلعون إلى المسيح.

"هوذا ليس في يدهم خيرهم. لتبعد عني مشورة الأشرار". كان أيـــوب ابعد عن أولئك الناس الأشرار من أصحابه الثلاثة فمن المحتمل جداً أن هـــؤلاء الأصحاب الثلاثة كانوا يحبون أن يكونوا على وفاق مع الناس الناجحين في هذه الحياة، فإن ذلك في الواقع شركاً عاماً يتعرض الكثيرون للانزلاق إليه؟ إن قلوبنا مدعوة لأن تنشغل بالأمور التي يقدرها المسيح وأن تكون مع أولئـــك الـــذين يحبون المسيح. ليس معنى هذا أن قلوبنا لا تتجه بالحنان والعطف إلى أردأ الناس واشرهم. هذا واجبنا بلا شك وبكل يقين. ولكن حبنا للمؤمنين مختلف عـــن ذلك كل الاختلاف. إنه حب المؤمن لعائلة الله، وهو حب أسمى بكثير من المحبة المتعلقة بالروابط الطبيعية الجسدية. نعم، إن عائلة الله اقرب إلينا. وهم كـــذلك طوال الأبدية، ونحن يسعدنا أن نسير في هذا الإيمان ونحبهم من الآن.

وأيوب ينظر إلى الجانب الآخر إلى حالة نجاح الأشرار، وفي مقدرة تشبه مقدرة صوفر يذّكره بأن الأشرار كثيراً ما ينجحون ولا من يردعهم يشيخون،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أي تطول أعمارهم، ويتجبرون قوة. من حولهم تنمو أسرهم وتزدهر، وكل محيطهم آمن وليس عليهم عصا الله. قطعانهم وبقرهم في تكاثر، أولادهم، بعكس هذا المتكلم الثاكل، يقفزون حول الدار مثل قطيع من الحملان، ومن الدار يرن صوت العود والمزمار. كل أيامهم في نجاح حتى تجئ النهاية، حتى ولو قال هؤلاء الناس لله "ابعد عنا وبمعرفة طرقك لا نسرّ" ونظير فرعون يتساءلون "من هو القدير حتى نعبده وماذا ننتفع إن التمسناه" وبينما يصف أيوب هذا التحدي الدنس لله، التحدي الذي يقول عليه الزمن دون توبيخ، فإننا نراه حريصاً على إظهار مجانبته لمثل هذا الفجور "هوذا ليس بيدهم خيرهم" أي أن كل ما بين أيديهم إنما هو من الله وليس من عندهم. "لتبعد عني مشورة الأشرار"(ع١٦). كل هذا حق، ويؤيد التعليم الذي نستقيه من (مزمور٧٣)، حيث نرى قديساً تحت التدريب نظير أيوب.

(ع١٧-٢١) الدينونة لا تظهر إلا في أولادهم.

"كم ينطفئ سراج الأشرار". هنا يشير أيوب إلى الناحية اللامعة التي كان الأصحاب الثلاثة يتغنون بها في حياة الأشرار والتي كانوا يتطلعون إليها دون سواها، ولكن لمع سراج في حياة الأشرار أحياناً فكم من مرة ينطفئ بغتة ذلك السراج بل وكم من مرة "يأتي عليهم بوارهم" أو دمارهم! فهناك حالات

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كثيرة من هذا النوع. ولقد عرف أيوب الكثير منها ورآه بعينه، بحيث أنهـــا لا تحتمل المناقشة أو الجدل.

ونحن نرى من هذا أن ما كان يؤكده صوفر والآخرون لا يمثل في الواقع إلا نصف الحق. ونصف الحق لا يقدّس أطلاقاً. فالنصف الذي نتركه قد يفوق في الأهمية، أو في القليل قد يساوي في الأهمية النصف الذي تذكره. وهنا الفرق بين أيوب وأصحابه. فأيوب مع كل ما فيه من نقص. كان متمـــسكاً بـــالحق وكان ينظر إلى الحق بقلب أكبر وبضمير أكثر تدرباً.

فهناك قوم ينطقون بالمواعظ في كلامهم، ولكن ذلك لا يـــصدر عـــن قلوبهم، فهم ينطقون بأقوال صحيحة حسب أفكار الناس فقط، ولكنها ليست لغة الإيمان على الإطلاق. أما لغة الإيمان حقاً رغم كل ما خالطها من نقـــص. لنسمعه يقول عن الأشرار. "يكون كالتين قدام الريح وكالعاصفة التي تـــسرقها الزوبعة. الله يخزن إثمه لبنيه. ليجازه فيعلم، لتنظر عيناه هلاكه". وهنا يعتـــرف أيوب بأن المجازاة قد تأخذ مجراها في العائلة "ومن حمة القدير(أي غضب القدير) يشرب. فما هي مسرته في بيته بعده، وقد تعين عدة شهوره". ومعنى ذلـــك أن الأنانية ومحبة الذات هي هدف وغرض جميع أولئك الأشرار الذين ينجحون في العالم، حتى أن أولادهم وفلذات أكبادهم لا يعتبرون غرضاً يمكن مقارنته بعدد

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

شهورهم التي يعيشونها على الأرض فهذا هو كل ما يبتغونه أن يعيشوا في هذه الدنيا لطول مدة ممكنة.

وفي هذا الجزء يسلم أيوب بأنه لابد من استعلان خطية الأشرار، لكــن غالباً ما لا يتم فيهم بل في بنيهم، وماذا يعنيهم من أمر بنيهم بعـــدهم؟(ع٢٢). وهو يواجه صوفر بما يناقض كلامه حين يذكره بأنه "ما اقل ما ينطفئ ســراج الأشرار"(ع١٧). ما أندر أن تقع عليهم الكارثة أو يصيبهم البوار. ومــع أنــه صحيح ما يقرره المرنم من أن الأشرار "كالعصافة التي تذريها الريح" فأنه أيوب يذكّر سامعيه بأن هذا قلما يحدث في الحياة الحاضرة، إذ هو محتفظ به للدينونة. ومن (العددين١٩، ٢٠) نفهم حقيقتين: أحداهما أن الله يخزّن إثم الأشرار للبنين "يفتقد ذنوب الإباء في الأبناء". لكن من الجهة الأخرى فإن الشرير سيرى أخيراً نتيجة شره ولو تأخر اليوم.

(ع٢٢-٢٦) تشكيلة من اختبارات الأشرار.

"الله يعلّم معرفة؟" الآن يتجه أيوب إلى الله ليبرره في أحكامــه "وهــو يقضي العالمين. هذا يموت....". إن أيوب ينظر إلى الناحيتين. لقد أشار صوفر إلى الحق باعتباره ذا حدين، ولكنه مجرد كلام لم يحاول صوفر أن يطبقه عمليــاً على الإطلاق كان عنده قولاً مأثوراً. مجرد حكمة أو آيــة ذهبيــة – دون أن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يكون المعبّر الحقيقي عن شعوره وحياته. أما أيوب فكان له الحـــق في البـــاطن "هذا يموت في عين كماله. كله مطمئن وساكن".

أحواضه ملآنة لبناً ومخ عظامه طرئ. وذلك يموت بنفس مرة و لم يذق خيراً كلاهما يضطجعان معاً في التراب والدود يغشاهما، والعالم اللاهي يـــذهب إلى جنازتهما مشيعاً إياهما إلى مقرهما الأخير وهو يظن أن كليهمـــا بخـــير وأن الأمر سيان مع الاثنين لا فرق بين هذا وذاك. وهم يرجـــون أن كـــل واحـــد سيذهب إلى السماء ما لم يكن شريراً جداً – شريراً فاضحاً! ولكن مـــا هـــي الدينونة بحسب الله؟

الدينونة بحسب الله هي أنه إذا كان قد مات لأجل الجميع فـــالجميع إذاً ماتوا. أي كانوا أمواتاً. هذه هي حالة الإنسان. فلا سؤال إطلاقاً بشأن حالتهم أو نهايتهم هناك. الأمر معروف وثابت ومقرر وهو مات لأجل الجميع جميـــع البشر. فجميعهم بلا عذر. وموت المسيح يضعهم إذا لم يؤمنوا في حالة أردأ مما لو كان المسيح لم يأت إطلاقاً و لم يمت إطلاقاً. وهو مات لأجل الجميع كـــي يعيش الأحياء. آه، هنا الفرق – كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم. ذلك ما كانوا يفعلونه جميعاً قبل الإيمان، كانوا يعيشون لأنفـــسهم. فـــالأموات – الأموات روحياً – لا يعيشون إلا لأنفسهم. قد يكون حياً في الصيت أو المجـــد

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

العالي، وقد يكون سعياً وراء مديح الناس أو ثناء العالم وهذا كله معناه إنهم يعيشون لأنفسهم وليس له.

ولكن المؤمن، يعيش لذاك الذي مات لأجلنا وقام. لا يقال للجميع. إن قيامة ربنا يسوع المسيح هي العربون بأنه له المجد سيكون الديان لجميع الذين لا يؤمنون.

والقيامة للمؤمن هي العلامة من قبل الله بأن خطاياه قد محيت جميعها، فإن ذاك الذي اخذ على عاتقه مسؤولية خطايانا قد نزل إلى القبر، والله أقامه ليبرهن لنا على أن خطايانا قد انتهت. وذلك للمؤمنين فقط وليس لأحد غيرهم. وماذا عن الآخرين؟.

الإنسان المقام هو الذي سيدين الجميع. ذلك ما أعلنه الرسول للاثينيين لم يكن الاثينييون مؤمنين، ولذلك فإن الرسول لا يشير إلى أحد منهم باعتباره مبرراً. ولكنه يخبرهم بأن قيامة الرب هي البرهان والعربون الذي يقدمه الله للتدليل على أنه سيدين جميع المسكونة بذلك الرجل أو الإنسان الذي أقامه من الأموات. والشيء الذي يجعل الأمر خطيراً غلى هذا الحد هو آن الإنسان هو الذي وضع الرب يسوع له المجد في القبر. الإنسان هو الذي قتله. والله هو الذي

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أقامه. وذلك الإنسان أو الرجل المقام سيدينهم جميعاً- جميع من لا يوجـــدون أحياء- جميع المسكونة إن المقصود هنا ليس دينونة العرش العظيم الأبيض بـــل دينونة الرب للمسكونة عندما يأتي ثانية في سحائب السماء وهو لا يتكلم هنـــا عن مجيئه لأخذ جميع الذين للمسيح، بل عن مجيئه لإجراء الدينونة على جميـــع الذين ليسوا للمسيح.

والواقع كما يستطرد أيوب، إن اختبارات الأشرار تتغاير، ثم يتـــساءل: من ذا الذي يحاكم الله بسبب هذه المعاملات المتغايرة؟ فواحد يموت في هـــدوء في إبان نجاحه الوفير، كما يقول المرنم "ليس في موهم شدائد" ويقطع آخـــر في تعاسة وشقاء. كلاهما يصلان في القبر إلى نهاية مشتركة. وإذا الأمر هكذا فـــلا يليق بأصحابه أن يقرروا، كقاعدة ثابتة، أن القضاء في هذه الحياة هو برهـــان على الخطية، والنجاح دليل على البر: كلٍ في دوره ومع أنه لم يصل إلى حـــل مشكلته فقد استطاع في القليل أن يجادل أصحابه ويستحثهم "ألّا يحكمـــوا في شيء قبل الوقت".

(ع٢٧-٣١) إفهامه لأصحابه.

هوذا قد علمت أفكاركم والنيات التي بها تظلمونني "هنا يشير أيوب إلى خطئهم الناتج عن ضيق نظرهم والى عدم اللياقة في سوء الظن وافتراض وجود

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الشر دون أن يكون هناك أي أساس لذلك. نعم. فنحن مطالبون أن نعيش وفقاً لما نعلم، وأن نتكلم عندما نعلم فعلاً. أما حيث لا نعلم فعلينا أن ننظر إلى الله.

"لأنكم تقولون أين بيت العاتي وأين خيمة الساكن الأشرار أفلم تسألوا عابري السبيل و لم تفطنوا لدلائلهم، أنه ليوم البوار (أو الهلاك) يمسك الشرير، ليوم السخط يقادون" وذلك هو سبب تركهم يمرحون الآن.. "ليوم السخط (أو الغضب) يقادون". ما في ذلك شك. وبهذه العبارة يصور أيوب هذا الحق الخطير تصويراً يدعو إلى الإعجاب. إن أصحابه كانوا ينظرون جميعاً إلى الوقت الحاضر باعتباره البرهان القاطع على فكر الله من نحو الناس.

فإذا كان يعتبرنا سالكين حسناً فيكون نصيبنا النجاح والفلاح. وإذا وقعنا في متاعب وحلّت بنا التجارب فذلك أننا أناس أردياء. تلك كانت نظريتهم وهي خاطئة وفاسدة من أساسها.

فأيوب يعلن غرضهم الذي كانوا يهدفون إليه، ولئن لم يشيروا إليه سوى عام، وهو أن أيوب مثّل على سلامة ما يذهبون إليه في مجادلاتهم. وهاهو - بلسان الحال- ما انتهى إليه، ويا شؤم ما انتهى! وأنت ترى كيف يخفون تلميحاتهم في صورة تساؤل جريء. ألم نتعلم من مشاهدات الناس في كل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مكان أن الأشرار "ممسكون" "ليوم البوار" (أي الهلاك)! وهم من العناء وقوة الخطر الذي يستحقونه: وهذا كما ترى المألوف – مع الأسف.

(ع٣٢، ٣٣) النهاية في الموت.

على أنه بالموت فقط نهاية قاطعة لنجاح كثيرين من الفجار: حتى عند دفنهم تصاحبهم الفخفخة الظاهرية والمظاهر الغنية، يدفنون بكل كرامة يمكن أن تحصّل لهم ثروهم، وعلى المدافن التي تأوي أجسادهم الموارية حراسة قوية. وبهذا المعنى يكون مدر قبره حلواً لكبريائه، ضريحه الفخم يعلن أنه كان إنساناً عظيماً.

(ع٣٤) الخاتمة.

وهكذا يختم أيوب رداً مستوفى لكل ما أبداه أصحابه من تهكمات صلفاء. وما كل "تعزياتهم" سوى هراء، وردودهم متجردة من الإخلاص الذي ينبئ عن جدية الباحث وراء الحقيقة.

ها قد وصلنا إلى نهاية المجموعة الثانية من الجدل. ولقد لاحظنا فيها كما قلنا لمحات من إيمان أيوب، ولو كان يغشاها قدر من التشكيك في الله. ومن الناحية الأخرى نرى أصحابه وقد وصلوا إلى غاية قدراتهم، ولو أنهم سيبذلون

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

جهداً آخر. وبوجه عام نستطيع أن نقول أن هناك قدراً من التطور، والميزة فيه بيد أيوب. ومع ذلك فقد بقي اللغز عاصٍ عن الحل لماذا يـــضايق الله البـــار؟" وكان على أيوب أن يتعلم الرد، لكن ليس من الناس بل من الله ذاته.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الحادي والعشرون

ص		ع	الكلمة	معناها
٢١	:	٦	بَشرى	البشرة ظاهرة جلد الإنسان
٢١	:	١٠	يلقح	ينتج أو يولد
٢١	:	١٨	عصافة	التبن الناعم
٢١	:	٢٤	مخ	المادة النخاعية داخل العظام
٢١	:	٢٩	دلائل	المرشد دليل. وجمعه دلائل.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

القسم الثالث

الإصحاحات

من الثاني والعشرين حتى السابع والثلاثون

ثالث خطابات الأصحاب وخاتمة الجدل

رد أيوب عليها،

ولئن لم يتأثر بها لكنه مازال في الظلام والرضا عن الذات

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الثاني والعشرون

هنا تبدأ مجموعة ثالثة من الأحاديث، إلى هنا تكلم الأصدقاء عن الشرير بصفة عامة: هو يفعل هذا ويستحق ذلك (ص١٥: ٢٠) والآن يكشف أليفاز أعماق أفكاره باتهامات مباشرة فيقول له: شرّك.....آثامك..... (ع٥). ما ابعد هذا الرجل ورفيقيه هن تعاليم الرب التي تقضي بالحكم على الذات قبل نزع القذى من عين الأخ (متى٧: ١-٥). وما أبعدهم عن مثال الرب الذي انحنى ليغسل أرجل تلاميذه (يوحنا١٣: ١٤، ١٥)

وعندما نقارن (ع٣) مع ما قاله الرب للشيطان في (ص١: ٨، ٢: ٣)، نرى إلى أي حد لا يعرف أليفاز الله لأنه لا شيء يسر قلبه أكثر من الإنسان الذي يصنع بره (أعمال الرسل١٠: ٣٥). ومع ذلك ليتنا نصغي إلى ما يريد روح الله أن يقوله لنا من خلال هذه الكلمات فإن كان ممن يقرأون هذه الكلمات ليس بعد في سلام مع الله. ليته يستجيب إلى نداء (ع٢١) "تعرّف به وأسلم. بذلك يأتيك خير" (قارن ٢ كورينثوس ٥: ٢٠).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أما العدد التالي فهو موجه لجميعنا وليتنا نصغي له "اقبل الشريعة من فيه وضع كلامه في قلبك".

تصل بنا هذه المجموعة إلى خاتمة الجدل، وذلك فيما يتصل بالأصحاب. ففيما خلا التكرار المرهق لمجادلاتهم السابقة، إذا صحّت عليها هذه التسمية، فإن أقوالهم خلت من كل شيء له أهمية فأليفاز الذي يفتتح هذا القسم من الخصومة يستمر متمسكاً بنقاشه الأصلي، ويتحدث في أسلوب رائع يتميز بالروح الشاعرية الجميلة، مع لفتات قليلة من الرقة. على أن روح الظلم العنيف تشوّه خطابه.

أما بلدد، ثاني المتكلمين، فإنه يختم دوره في ضعف وإيجاز. لكن صوفر يخلد إلى السكوت. إذن فمحاولتهم الأخيرة هذه إنما هي متقطعة غير متكافئة ونستطيع، دون أن نكون متعسفين ظالمين، أن نعدها فاشلة.

ومن الناحية الأخرى نرى أيوب يزداد غضبه اشتعالاً يرد على صاحبيه بشدة وبقدر طيب من الحزم والايجابية، وبطريقة تسد أفواه أصحابه. لكن فمه لا يزال فاغراً يقذف الأسرار التي ينطوي عليها قلبه المثقل، والستارة الكثيفة ما

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تزال تفصل بينه وبين الله. وسوف يتضح هذا كله عندما نتناول كل خطاب والرد عليه.

والخطابان اثنان فقط، لأن صوفر كما قلنا لم يساهم في هذه المرة.

١- **خطاب أليفاز:** اتهامات باطلة ضد أيوب، والوعد بالرجوع ورد نفسه إن هو تاب، ثم رد أيوب (ص٢٢-٢٤).

٢- **خطاب بلدد:** يجدد أقواله عن عظمة الله وشرّ الإنسان، ثم رد أيوب (ص٢٥، ٢٦).

* * *

أولاً: خطاب أليفاز: - وهو ينقسم إلى سبعة أجزاء، أي أنه يحتوي على خلاصة كاملة لرأيه في المناقشة كلها.

(ع١-٥) خطية أيوب من وجهة عظمة الله.

(ع٦-١١) الاتهام المباشر.

(ع١٢-١٤) كل شيء معلوم لدى الله.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع١٥-١٨) طريق الأشرار.

(ع١٩-٢٠) قضاؤهم العادل.

(ع٢١-٢٥) دعوة أخيرة للتوبة.

(ع٢٦-٣٠) نبوءة عن مستقبل منير.

(ع١-٥) خطية أيوب من وجهة نظر عظمة الله.

يتناول أليفاز في هذا الجزء الأول عظمة الله التي لا حدود لها وكفايتــه تعالى لذاته. هل ينفع الإنسان الله؟ هل هو يضيف شيئاً إلى كمال ملء الخالق؟ إنما ينفع نفسه الإنسان الحكيم الفطن، وليس عليه اعتماد الله بحالٍ من الأحوال. برّه ليس بذي فائدة خاصة لدى الله (لاحظ أن لفظة "فائدة" هي المقصود دون لفظة "مسرة" إذ أن الواقع أنه تعالى يجد المسرة في قديسيه)، كما يقرر الإنسان المفرغ من الذات "صلاحي لا يمتد إليك" (مزمور١٦: ٢). فإن كان أيوب يأبى أن يندم عن خطيته، فهو ليس يؤذي إلا نفسه ولا بد من حــصاد النتــائج. ثم يسأل أليفاز صاحبه أيوب: أليس في التأديب الذي يقع تحته ما يثبت خطيته؟ أو هل يوبخ الله إنساناً من أجل تقواه؟ إذن فقد تبرهنت خطية أيوب وهي قطعــاً

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

طريقة سهلة، في عالم ملؤه الألم، أن نقيم الدليل على أن هذا الإنسان أو ذاك الخاطئ. لكنه دليل شامل إذ يضم تحته كل متألم، الأبرار كما الأشرار.

على أن هناك استثناءاً من جزء الإقرار الأول، كما من طابع جزئه الأخير الواضح الخطأ. ألم يتأثر بر الله في خليقته، لذلك البر الذي هو مظهر طبيعته المباركة؟ فقد خلق كل شيء لمجده تعالى ومسرته.

إذن فسقوط الإنسان معناه خسارة لله، لأن الإنسان اظهر فشله بأن يظهر في حياته ما يكشف عن حكمة خالقه وصلاحه. إذن فالقضاء ليس ذا طبيعة تبريرية، بل عقابية، والغضب إنما هو بسبب خطية فعلية ضد الله. وهذا هو الاقتناع بالخطية كما ينشئه روح الله في الضمير "إليك. وحدك. أخطأت" إن أليفاز يعطينا صورة جافة باهتة عن الله. لكن كلمة الله تكشفه لنا تعالى كمن يعنى بأمورنا، وكمن يهتم بخليقته. ولن نتوقع أن نجد في أقواله، أي أقوال أليفاز، مجالاً للإنجيل أو البشارة. ذلك أن الله لا يمسك بيديه ميزان العدالة فقط كمن هو مجرد مراقب لا يكترث بشؤوننا، ولكن يكيل القصاص للعاجز المقصّر. لو كان لمثل هذا التعليم مكان، فأين كنا نجد مثل هذه العبارات "كما يتراءف الأب على البنين" "الذي يحبه الرب يؤدبه" "وأما هذا فلأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته"؟

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لقد أحس أليفاز أن المناقشة قد وصلت إلى حد يتطلب تدخّله من جديد فأجاب على الفور قائلاً: "هل ينفع الإنسان الله"...نعم يا أليفاز، إن الإنسان لا ينفع الله، ولكن ألا يستطيع الإنسان أن يسر الله. الذي قال بـــروح الحكمـــة "ولذاتي مع بني آدم" (أمثال ٨: ٣١).

إنه ليس لأجل المنفعة يخضع الإنسان لله، ويطيع كلماته، بل لكي يـــسر الله. ولماذا؟ لأنه يحبه. نعم، إن التقي يطيع الله لأنه يحب الله. وهذا شيء يختلف كل الاختلاف عن مسرة العمل سعياً وراء المنفعة. "هل من مسرة للقـــدير إذا تبررت؟" نعم، إن للقدير مسرة عظيمة في تبريري، ولا شك أن أليفـــاز كـــان مخطئاً في تفكيره من هذه الناحية، فالله كان مسروراً بأيوب جد السرور، بذلك الرجل عينه الذي كانوا يظنون في كل سوء، الذي كانوا يرمونه بكـــل عيـــب ونقيصة. فأنت تذكر أن الله قد بيّن بصورة واضحة في مستهل الـــسفر أنـــه لم يكن على وجه الأرض رجل مثل عبده أيوب. ومع ذلك فقد كان هناك شيء خفي لم يكن أيوب يعرف أنه خطأ وقد قصد الله أن يظهره له، لكي يكون له فكر الله فيما يتعلق بنفسه. هذا هو الموضوع كله. ولكن لنستمع إلى أليفاز وهو يتابع كلامه وهو يظن أنه يعبّر عن أفكار الله.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"هل على تقواك يوبخك" أو يدخل معك في المحاكمة. أليس شرّك عظيماً وآثامك لا نهاية لها؟.

(ع٦-١١) الاتهام المباشر.

بعد أن خطط أليفاز مبدأه المغلوط بمثل هذه الايجابية وبعد أن أعلن أن خطية أيوب كبيرة بشكل خطير (لأن الله لا يعاقب رجلاً تقياً) يفتتح مجموعة من الأقوال مذهلة، يتحدث فيها عن مسلك أيوب وتصرفاته الفعلية: فلم تعد المسألة بعد مسألة خطية ضمنية يطويها ستار من الدعوة إلى التوبة، أو غطاء من التشبيه لأيوب بأولئك الأشرار، بل هو اتهام فائر بخطية فعلية بما لا يمكن تصوره. فقد استلب أيوب متاع أخيه بدعوى زائفة! جرّد الفقير من غطائه الأخير الساتر! أنكر على الشارق ماءاً وخبزاً عن الهالك جوعاً. بقوة جارحة اخذ أراضي الآخرين وأقام هو فيها كأنه رجل عظيم مترفع الوجه. الأرامل واليتامى طردهم خواة سيدهم الذي لا قلب له. أدلة. شواهد وشهود! ما الداعي إلى هذا جميعاً ما دامت النظرية مقنعة بغير إقامة الحقائق وتثبيتها! هكذا ومن أغوار باطنه السحيقة يبسط هذا الصديق الوقور، الأشيب الرأس، أليفاز: يبسط الدليل القاطع على أن صاحبه المتألم والأب الماثل أمامه إنما هو مارد آثم! يا ليت إلهنا يعفينا من مثل هذه الصداقة والتزييف لحق.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولكن حتى الآن: أليس الشك في الآخرين عيباً شائعاً؟ فهوذا شخص لم يواته النجاح في عمله، والمرض يهدّ أفراد أسرته، وهو يفقد أحباءه: وانك لتسمع الاستنتاج العجول بأنه أخانا هذا واقع تحت يد التأنيب لبعض الأخطاء الخيالية الوهمية. ما أقساه! هو سوء ظن يناقض الاتجاه الواضح "على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة". ألا ليتنا نبطئ الشك، ونكون أكثر تباطؤاً في الاتهام بشر مجهول، تاركين ذلك لفاحص القلوب. ولئن كان يدعونا أن نعلن شراً ما، فإنما هو الشر الذي يكشفه بما لا يقبل المظنة.

"لأنك ارتهنت أخاك بلا سبب" والآن تظهر كل ظنونه السيئة مرة ثانية إذ يقول: "وسلبت ثياب العراة. ماء لم تسق العطاش وعن الجوعان منعت خيراً"

إن أليفاز بأقواله هذه يصوّر ما ظن أن أيوب قد فعله ليستحق القصاص الذي كان يعانيه.

"أما صاحب القوة فله الأرض" وأيوب كان صاحب القوة. والمترفع الوجه ساكن فيها. الأرامل أرسلت خاليات. وذراع اليتامى انسحقت. لأجل ذلك حواليك فخاخ. والواضح الجلي أن كل هذا التعليل لا أساس له من الصحة "ويرعبك بغتة. أو ظلمة فلا ترى وفيض المياه يغطيك".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ويختم أليفاز اتهامه معلناً أن هذه الخطايا تبين لماذا يؤخذ أيوب كما في فخاخ، ويباغته الخوف. ألا يرى الظلام الذي يغلّفه وفيض المياه. الشيء المدهش إن كل كلمة مما قال أليفاز دليل على أن الكل كان خليطاً من الأكاذيب تُظهر كلمة الله فيما يختص بأيوب، إن أليفاز مثل كاذب بائس لأن الرب قد قال عن أيوب "لا يوجد رجل مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم" فهل تكلم الرب هكذا إن أيوب انتهك حرية نواميس الخير ومنع الماء والخبز عن المحروم أو جرّد العاري من ملابسه؟ لكن كيف يتزلق أليفاز إلى الحضيض؟ هذا كان نتيجة منطقه الآثم فلا بد أن يكون أيوب خاطئ وهو رجل شرير وبلا حقائق يستخلص النهايات أن أيوب قد فعل هذه الأمور ويتهمه سلبياً بها. لايزال نفس المنطق البغيض بنا. على سبيل المثال يأتي الشر على عبد الرب يسوع المسيح فيجتاز ببلوى ويأتي عليه حزن فوق حزن ثم يقترح أن حياته غير قويمة وسريعاً يلتهمه لسان الافتراءات بشرٍّ محدد.

(ع١٢-١٤) كل شيء معلوم لدى الله.

"هوذا الله في علو السماوات. وانظر رأس الكواكب ما أعلاه. فقلت كيف يعلم الله". هذا لم يقله أيوب أطلاقاً بل بالعكس تماماً.. "هل من وراء الضباب يقضي؟".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا الجزء متابعة لشكوك أليفاز الظالمة. إنه يحمل أيوب أن يقول إن الله يسكن السماء. بين النجوم مقامه، ولذلك أنى له أن يشهد ما يجري تحت السحب التي تخفي الأرض عن نظره؟ أنه يتمشى على دائرة السماوات جاهلاً في العالم التحتي! أو نسي أليفاز اعتراف أيوب القوي بكل قدرة الله وكل عمله كما نرى في (ص٩)؟ إن العنوان الذي يمكن أن يوضع في رأس هذا الجزء هو هذه العبارة "معلومة عند الله" كل الأشياء، لأن إيمان أيوب المزعوم قصد به أن يبرز حقيقة سامية وهي أن لا شيء يخفى عن فاحص القلوب.

(ع١٥-١٨) طريق الأشرار.

إذ يعود أليفاز إلى الأمثلة المتكررة كثيراً عن الأشرار وعقوبتهم فإنه يصوّر نجاحهم الوقتي والقضاء الذي لا ندم عنه، والذي لا بد أن يباغتهم مثل العشب الذي ما نما مبكراً إلا ليذبل، هكذا يهلكون قبل وقتهم. الأسس الراسخة في الظاهر قد اكتسحها الغمر. وقد تكون في هذه العبارة إيماءة تلميحية إلى أيام نوح حيث كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون إلى اليوم الذي فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان واهلك الجميع وكعينة للفجار في كل الأزمنة، كان هؤلاء الناس قبل الطوفان قد تحدوا الله الذي منحهم بركاته "ابعد عنّا"، ماذا يفعل القدير لهم؟ عن مثل هذا الفجور يتحول أليفاز

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مرتعباً "لتبعد عني مشورة الأشرار" وهو هنا يقتبس أقوالاً صدرت عن أيوب (ص٢١: ١٦) فلماذا إذن يأبى على صاحبه السابق أن يكون هو نفسه متأبياً على تلك المشورة؟ إنه عوض ذلك يبدو وكأنه يُظهر نفوره من أيوب إذ يضمه مع اللذين يتحدون الله.

(ع١٩-٢٠) قضاؤهم العادل.

إن عدم التقوى إنما تنال عقوبتها التي تستحقها وعندما يفرح الأبرار. "يفرح الصديق إذا رأى النقمة، يغسل خطواته بدم الشرير. ويقول الإنسان إن للصديق ثمراً. أنه يوجد إله قاضٍ في الأرض" (مزمور٥٨: ١٠، ١١).

إن هناك فارقاً بين موقف أليفاز والمواقف التي نراها في كثير من المزامير فالمزامير تطالعنا بالتطهير الأخير للملكوت من جميع المعاثر وفعلة الإثم (متى١٣: ٤١) بعد فترة التوبة الطويلة، وبعدما يكون الشر قد تكشّف كعصيان لله لا علاج له، كالحاجز المطلق لكمال البركة. لذلك يفرح الصديق عند الخلاص، لا عند الدينونة ولو بدا كل شيء في مطابقة تامة مع طبيعة الله. وهكذا يكون أيضاً فرح في السماء حيث يطرح الشيطان (رؤيا١٢) وحيث تنال بابل دينونتها التي طال أمد تأجيلها (رؤيا١٨، ١٩).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

على أننا نقدر أن نتبين إلى أي مدى كان رأي أليفاز ظالماً بالنسبة لحياة الأشرار ونهايتهم. وعلى وجه خاص بالنسبة للآلام التي يجتازها كثير من الأبرار. وهو شيء أليم بالنسبة لحالة أيوب التي يومئ إليها أليفاز.

(ع٢١-٢٥) دعوة أخيرة للتوبة.

لقد كان أليفاز يحمل في قلبه شيئاً من الرأفة نحو أيوب. ويقول له "تعرّف به واسلم بذلك يأتيك خير. اقبل الشريعة من فيه"..

إن أليفاز كان من هذه الناحية يختلف عن صوفر، وكذلك عن بلدد... وضع كلامك في قلبك. إن رجعت إلى القدير تبنى". وقد كان كذلك.

إن أليفاز لم يكن يدري أن هذا الرجوع على وشك الظهور لخزيهم وخجلهم. "إن أبعدت ظلماً من خيمتك وألقيت التبر على التراب. وذهب أوفير بين حصا الأودية يكون القدير تبرك وفضة أتعاب لك.

على أن شيخ الأصحاب يبدأ أن يعطي ملاحظاته نهاية ملطفة. وهو مرة أخرى يقدم للمذنب عرضاً بالرجوع، إن هو ندم. وأسلوبه ذو جمال باهر، كنا نتمنى لو استخدمه صاحبنا بطريقة أجدر "تعرّف به وكن في سلام، بذلك يأتيك خير". وهذه عبارات تصلح أن تكون عبارات تبشيرية، أليست الحياة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأبدية هي معرفة الإله الحقيقي وحده ويسوع المسيح الذي أرسله؟ ما أعظم السلام الذي يمكن تحصيله عن طريق هذه المعرفة: سلام بدم الصليب، سلام مكروز به، سلام يمتلكه الإيمان! وأي خير هذا الذي نجتنيه من هذه المعرفة: خير للزمان وللأبدية. لكنه يوجه خطابه لإنسان يعرف الله، طبقاً لإعلان العهد القديم. ومن هنا تحول التحريض الرقيق إلى ضغينة مريرة "اقبل الشريعة من فيه وضع كلامك في قلبك" إن أقوال أليفاز تخلو من تعزية شعب الله "نفتخر أيضاً في الضيقات" "بكاء مع الباكين" ولا يقول إلا "إن رجعت إلى القدير تبنى، إن أبعدت ظلماً من خيامك".

ومرة أخرى نحذر شعب الله من الشرك الذي سقط فيه أليفاز فإن كلّ تحريض تقوى على التوبة، وترك الخطية، وإدانة المسلك الشرير، إذا لم يكن مؤسساً على الحقائق المعروفة فلن يكون سوى إهانة، تنم عن روح فريسيّة لابد من الندم عليها كما في أليفاز وأصحابه.

إن أليفاز، وبطريقة نبوية، يعلن صورة لرجوع كل نجاح أيوب ورخائه: من ثروة وسعادة. وهناك تراجم مختلفة للعددين (٢٤، ٢٥). فالترجمة الإنجليزية المعترف بها تقول هكذا (ابتداء من ع٢٣) "إن رجعت إلى القدير تبنى وتبعد الظلم عن خيامك. عندئذ تلقى التبر كأنه تراب وذهب أوفير كحصا الأودية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نعم ويكون القدير تبرك وتكون لك فضة بوفرة" وترجمة أخرى تقول "إن ألقيت التبر على التراب وذهب أوفير تحت حصا الأودية، هكذا يكون القدير لك تبراً بوفرة وفضة لامعة جداً".

لكن يبدو أن القراءة المألوفة هي المفضلة. فالعادة في العهد القديم، وبوجه خاص في سفر أيوب، أن يربط التمتع بالثروة الوقتية، ثروة الزمان، برضاء الله. وأليفاز على هذا القياس يعد برجوع كل الثروة التي فقدها أيوب.

عندئذ يبدو أمراً لا ينقصه الفخر أن تحرّض رجلاً محروماً من ثروته أن يلقيها في التراب أو يعدها بلا قيمة كحصا الأودية. ومن هنا قيل أن أليفاز يتكلم بأسلوب تصويري استعاري، وأنه يطلب من أيوب أن يطرح حب الطمع في الذهب ويلقيه في التراب. ويحسن بنا أن ندع ترجمتنا الفاخرة كما هي فالقدير سيكون حصن دفاع مرتفعاً للتائب، وثروته ستكون وفيرة.

(ع٢٦-٣٠) نبوة عن مستقبل منير.

"....وعلى طرقك يضيء نور" وهذا ما تم فعلاً بأعجب صورة وبأسرع مما كان أليفاز ينتظر أو يتوقع...."إذا وضعوا تقول رفع ويخلص المنخفض العينين ينجى غير البريء وينجى بطهارة يديك".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"ينجي غير البريء"....أي نعم. ومن هم المشار إليهم هنا؟ إنهم أليفاز وبلدد وصوفر. لقد كانوا هم "غير الأبرياء" وقد تحقق الأمر على يدي أيوب بصورة لم يكن يتوقعها أليفاز. لقد عاملهم الله باعتبارهم مذنبين نحو أخيهم العزيز الذي أساؤوا الظن به إلى هذا الحد، ولذي نسبوا إليه كل أنواع الشر الدفين وجعلوا منه إنساناً خبيثاً ومرائياً كبيراً. ولكن أليفاز ينطق هنا دون أن يدري بأقوال قد تحققت فعلاً، وكثيراً ما يحدث مثل هذا في اختباراتنا أقوال عابرة ينطق أخ مؤمن دون أن يكون لديه أي فكرة عن تحقيقها ومع ذلك لا يمضي كثيراً من الوقت حتى يتم الأمر كما صوره ذلك المؤمن البسيط الذي قد لا يكون عنده معرفة القراءة والكتابة. وكذلك هنا نجد هذه الأقوال وقد تحققت. إن الله له دخل بالأقوال الطيبة التي تنطق بها أكثر جداً مما نتصور. وأليفاز مع أنه كان مخطئاً في تصوراته إلا أن الله سمح له بأن ينطق بأقوال أصابت الحقيقة بصورة عجيبة بشأن أيوب نفسه.

"ينجى غير البريء. وينجي بطهارة يديك".. ذلك ما أرغم الله هؤلاء الرجال أن يعترفوا به وهو أن أيوب كان أبرّ منهم وأن يديه كانتا أطهر من أيديهم. لقد نجّسوا أيديهم بما وضعوا على أيوب بمثل هذه الغباوة وبمثل هذه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

القساوة ولقد اعترفوا لأيوب بأهم مدينون له بحياقم، فلـــولا طهـــارة يديـــه وشفاعته فيهم لما نجوا من موت محقق.

هنا يصل أليفاز إلى ختام خطابه، إذ يرسم المباهج التي تنتظر أيـــوب أن هو اعترف أن متهميه باطلاً هم على حق، يومئذ يتمتع بالشركة مع القـــدير، ويسبح في ضياء طلعته، تستجاب الصلاة، وتقبل النذور التي نذرها في ضـــيقه. يرسم خططاً لا تخيب، وعلى كل طرقه يضيء نور. ولئن بدا على تلك الطريق أنها تميل إلى الانحدار (ع٢٩) فلن يعوز أيوب إلا أن يقول "رفع" وحينئذ تسير الأمور سيراً حسناً. لأنه سيكون أحد المتضعين الذين يرفعهم الله. نعم وسيكون أيوب معواناً للآخرين، غير البريء سينجيه ذاك الذي طهرت يداه.

هكذا انتهى صاحبنا. لقد بذل جهداً في عرضه قـــضيته، وخلـــط بـــين الوعود والتكهنات كان يبدو أحياناً أنه يتكّهن أو يتنبأ برجوع أيوب، لكنـــه شوّه كل شيء بمبدئه الخاطئ الذي هو في ذاته بلا قيمة. ومع ذلك فهناك قدر من المنطوقات الرفيعة الجميلة. لذلك كم هو أمر خطير أن تكون لدينا وجهـــة النظر الصحيحة حتى يكون افتتاح شفاهنا استقامة.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998−2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الثاني والعشرون

ص	ع	الكلمة	معناها
٢٢	١٢	راس الكوكب	أعظمها ضياء وأعلاها ارتفاعاً.
٢٢	٢٤	التبر	الذهب في ترابه قبل تنقيته وصوغه.
٢٢	٢٤	أوفير	بلاد في المشرق(١ ملوك ١: ١١) أو في الهند

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الثالث والعشرون

رد أيوب على أليفاز

إن أيوب لا يضني نفسه ليرد على اتهامات أليفاز الظالمة. فقد مضى وقت الرد، وهو طالما ردد بره بحيث لا داعي لترداده مرة أخرى هنا.

صحيح أنه سوف يحقق في تبريره ذاته تماماً (ص٣١). أما هنا فينصرف بكلياته ليدور حول الله. فقد عادت السحب وحجبته تعالى عن أفق الإيمان، الإيمان الذي كان قد أضاء بلمعان منذ لحظة. وهذا الكسوف الحزين يقود أيوب لينطق بأمور صعبة على الرب. بيد أننا نردّ ذلك إلى أنه نسي الله، وليس إلى فكر من جانب شخص يتحول ضده تعالى. على أنه إلى أن يتغلغل الله في أغوار مسالك بر أيوب الذاتي، لا يسعنا إلا أن نتوقع تكرار سحب عدم الإيمان هذه.

وحينما يصل أيوب إلى مناقشة أليفاز بشأن الأشرار، فإنه سيأخذ الجانب الأفضل في الخصومة كما سيبدو عندما نصل إلى ذلك الجزء من رده (ص٢٤)

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أن موقف الأصحاب لا يمكن الدفاع عنه، وبينما لا يقدم أيوب أي حل صحيح للمشكلة فإنه يغلق أفواههم.

هوذا أيوب في حديثه الثامن، تزداد الهوة اتساعاً بينه وبين رفاقه. إن رفقاءه مثل كثيرين في هذه الأيام يرون في الله خالقاً سامياً، لا يتنازل لينشغل بتفاصيل أمورهم ويعتبر مشاعرهم (انظر ص٢٢: ٢ ،٣، ١٢).

لكن أيوب لديه معرفة أكثر من ذلك، فهو يعلم أن الله يهتم به أكثر مما يريد هو (ص٧: ١٩). ولكنه يظن أنه من غير الممكن الاقتراب إليه.

فيقول في (ع٣) "من يعطيني أن أجده؟" ترى هل كل منا يعرف أين يجد الله؟ لقد اقترب الله منا في الرب يسوع بحيث يمكننا بدورنا الاقتراب منه بثقة بالصلاة والدخول إلى حيث المسيح في يمين الله (ع٣، عبرانيين٤: ١٦)،(ع١٠) يوضح الغرض من التجربة "إذا جرَّبني أخرج كالذهب" مع أنه يعوز الشعور بالنعمة التي تعمل لخيره ولكنه يتفق مع الرسول بطرس فيقول بطرس "إن كان يجب تحزنون يسيراً بتجارب متنوعة لكي تكون تزكية إيمانكم وهي اثمن من الذهب الفاني مع أنه يمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة عند استعلان يسوع المسيح" (١بطرس١: ٦، ٧).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

* * *

يمكن تقسيم الإصحاح إلى ثلاثة أجزاء:

(ع١-٩) حنينه إلى رفع دعواه قدام الله.

(ع١٠-١٢) احتجاجات البر.

(ع١٣-١٧) خوف من الله كعدوه.

(ع١-٩) حنينه إلى رفع دعواه قدام الله.

هنا أيوب لا يدحض في الحال اتهامات أليفاز الكاذبة فهو يقدر أن ينتظر للآخر حتى تصمت أفواههم تماماً. ثم يتكلم الكلمة الأخيرة. وهو يعرف أنه لا زال متمرداً. يد الله التي عليه أثقل من كل تنهده. ثم ذلك الانفجار الذي يكشف اشتياق نفسه المجربة الفارغة القلقة "من يعطيني أن أجده فآتي إلى كرسيه؟ أحسن الدعوى أمامه واملأ فمي حججاً" ثم في بر ذاتي باهر يتكلم كلمة جريئة "اعرف الأقوال التي بها يجيبني وافهم ما يقوله لي" فهو متأكد جداً من جميعها حتى أنه يعلن "هو يثبته لي" كم كان الاختلاف عندما تكلم الله وشفتا أيوب مغلقتان لتنفتح فقط في تعبير عميق لشيء يفيض. لكن ليس الإنسان الجاحد بل يتوق إلى الله.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أنه انتظر ليقدم حالته أمام الله. لكنه لا يعرف كيف يجيب أيوب في هذا الإصحاح فيقول "اليوم أيضاً شكواي تمرد. ضربتي أثقل من تنهدي. من يعطيني أن أجده؟" حقاً إن في أيوب قلباً نقياً ولو أنه كان يشعر ويتلوى تحت ثقل آلامه المبرحة. لقد كان مشغولاً بنفسه وبمصيبته حتى أنه لم يستطع بعد أن يجد الله. ولكنه مع ذلك وجده بعد قليل. "فآتي غلى كرسيه. أحسن الدعوى أمامه واملأ فمي حججاً فاعرف الأقوال التي بها يجيبني وافهم ما يقوله لي"... هذا ما كان يتوق إليه أيوب لم يكن يخاف مما سيقوله الله. إنه كان يعرف يقيناً أنه صالح وطيب لأنه كان يحبه وكان أيوب يعرف ما هو.

"أبكثرة قوة يخاصمني؟" ذلك ما كان يظنه الأصحاب الثلاثة ولكن "كلا" يقول أيوب لاشيء من هذا إطلاقاً.

"ولكنه كان ينتبه إلى هنالك كان يحاجه المستقيم وكنت أنجو إلى الأبد من قاضيّ"... إني اعلم يقيناً أن الأمر سينتهي على أحسن ما يرام لو أني فقط مُنحت فرصة للمحاجة والكلام لو تسنى لي أن أدنو واقترب منه، إذن لأصغى وسمع لي.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"ها أنا اذهب شرقاً فليس هو هناك وغرباً فلا اشعر به شمالاً حيث عمله فلا أنظره. يتعطف الجنوب فلا أراه لأنه يعرف طريقي" من هنا نرى أننا أمام قلب كان دائماً يتحول ويتجه إلى مركز الجاذبية، إلى الله دائماً، قد يتأرجح تحت ضغط التجربة. كما تهتز وتتأرجح البوصلة المغناطيسية أحياناً ولكنها لا تلبث أن تعود متجهة صوب القطب الشمالي على الدوام.

بعد هذا النقاش الكثير، بعد اتهامات أصحابه، "شكواي تمرد": مناهضة مريرة ضد اتهاماتهم. هو يكسب أنينه في صورة احتجاج على معاملتهم الظالمة. أي أنه "يتنهد" ليس من مرارة الألم بل من عدم عدالته. ولو أن أيوب كان يعرف الحقيقة لتغيّر اعترافه وبدلاً من هذا التنهد الخاطئ لكان يقول "لم يصنع معي حسب خطاياي" ولو أن إلهنا ردّ علينا بما نستحق. أين كنا نوجد؟ بهذا الإحساس الفائر يريد أيوب أن يأتي إلى الله ويقدم اتهاماته ضده تعالى. هو يتمنى لو أنه استطاع أن يتقدم بجرأة إلى حضرته، في ذات مكان سكناه ويرفع إليه دعواه نعم مملوء حججاً يتحداه تعالى أن يجيب "فأعرف الأقوال التي بها تجيبني". هكذا يمكن أن يتكلم إنسان بار متى كانت بينه وبين الله مسافة. ولكن كم تغيرت الحال عندما أتيحت لأيوب الفرصة وظهر له الله.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وحتى هنا، وقد وصل تحديه المجنون لله إلى ذروته، تومض شـــعاعه مـــن تلك الثقة في الله التي لاحظناها من قبل. "أبكثرة قوته يخاصمني! كلا. ولكنـــه يلاحظني بإشفاق." هذه ولا ريب ليست أقوال إنسان غير مؤمن. صـــحيح أن أيوب يشك في طرق الله، بل ويتهمه، لكنه واثق إنه إذا لم يستطيع ألا يراه، فلا بد تثبت براءته. وكان الله ينظر إلى صرخاته الواهنة، ويبرره من الظلم الإلهـــي! ولكن ما هذا التناقض. إنسان بار ينازع الله، وينجيه من قسوته الظالمة القاضي نفسه! هو تناقض في الحق عجيب، على أنه خير أن يتوق القـــديس للـــذهاب والوقوف قدام الله، من أن تملأ الكبرياء نفس أولئك فيقولون "أبعد عنا، وبمعرفة طرقك لا نسر" نعم خير لنا أن نتقدم حتى بشكوكنا من الله نفسه، إذا لم يكن لدينا ما نتقدم به.

ولكن أين يوجد الله؟ هوذا أيوب يندفع إلى الأمام، وليس هناك الله، والى الوراء ولكنه لا يلاحظه. يتجه يمنة ويسرى والله لا يزال يفلت منه.

هي في الواقع مأساة، ولو أن الأمر كله كان متوقفاً على سعي أيوب إلى الله، لأغرقه اليأس. لكن – وهو ما كان يجهله أيوب – الله هو الذي يـــسعى طالباً أيوب وسيجده بعد قليل.

(ع١٠-١٢) احتجاجات البر.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"بخطواته استمسكت رجليّ. حفظت طريقه و لم أحد. من وصية شفتيه لم أبرح". كان أيوب موقناً أن له ضميراً صالحاً. ومع ذلك فلم يكن يسكن فيه أي جسده شيء صالح وكان عليه أن يتعلم ذلك، وكان الله يقصد أن يريه ذاته في نور حضرته لأن المسالة لم تكن متعلقة بعيب ظاهري يلاحظه أي إنسان. كلا. إن الأمر أسمى من ذلك بكثير. كثيرون من المسيحيين يقولون ساعة انطلاقهم "إني انظر إلى حياتي الطويلة تابعاً الرب يسوع...لاشك أنه كان الأفضل لو أن أيوب قال "إني انظر إلى مراحم الله واحساناته وطول أناته وتعضيده المستمر لي. رغم عدم استحقاقي. "أكثر من فريضتي (أي طعامي الضروري) ذخرت كلام فيه".

وإذا لم يجد أيوب الله، يتحول إلى المشغولية بذاته ويجدد احتجاجات البر. فالله يعرف طريقه "طريق الأبرار" (مزمور١) وبعد التجربة سيخرج كالذهب. كل هذا حق، غير أنه ما ينطوي عليه من تبرير واضح للذات يتلف نبالة الأقوال. لكنها ليست تلك التجربة أو "تزكية الإيمان" التي يتحدث عنها الرسول "لكي تكون تزكية إيمانكم وهي اثمن من الذهب الفاني مع أنه يمتحن بالنار". فنحن نحس أن التجربة الحقيقية لم تأت بعد. فهو إنما كان يتمسك باستقامته الشخصية التي يحسبها صادرة من قلبه. أليس أنه حفظ وصايا الله

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

واستمسك بأقوال شفتيه أكثر من "فريضته" أي طعامه الضروري؟ إن أيـوب قدّر مشيئة الله أكثر من تقديره لإرادته.

(ع١٣-١٧) خوف من الله كعدوه.

"أتأمل فارتعب منه لأن الله قد أضعف قلبي والقدير روّعني لأني لم أقطع قبل الظلام ومن وجهي لم يغط الدجى (أي الظلام)".

على أنها قاعدة صحيحة أننا إذا امتدحنا أنفسنا فإننا ندين الله. وهكـذا يضيف أيوب أن الله مصر على معاقبته، وليس ما يحول دون تنفيذ مقصده. وفي الواقع هو خير لأيوب، ولأنفسنا، أن يكون في جانبنا ذاك "الذي ليس عنـده تغيير ولا ظل دوران". وكان أيوب يتصور أن الشيء المعيّن له، المفروض عليه، ليس إلا التعاسة والألم اللذين يجتاز خلالهما، بينما الواقع أن ما يمر بـه لـيس سوى "إن كان يجب"- الأمر الذي ينشئ صبراً. هو لم يكن يرى "عاقبة الرب" المفروضة "إن الرب كثير الرحمة ورؤوف". عاقبة المحبة العظيمة، والتي هي مـن العظمة بحيث لا تجعله يتحول عن أغراض البركة بسبب شكوانا وعدم إيماننـا. نعم "وكثيراً مثل هذه عنده" فإن طريق كل واحد من أولاده تختلـف، ولكـن العاقبة هي هي.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن "صبر أيوب" ليس ظاهراً هنا. بل العكس، فإن المخاوف تملأ قلبه. هو يخشى الله كعدوه، ويتمنى لو ينجو أو يتخلّص من تلك الحضرة التي كان يحن إليها مؤخراً. وهو يلوم الله لأنه هكذا غمره وألقى أفكاره في لجة الفوضى والارتباك.

العدد الأخير في هذا الجزء يبدو على أي شيء من الغموض. فإن الترجمة المعترف بها أو المصرح بها ترينا أيوب في هذا العدد متمنياً لو أنه كان قد قُطع قبل أن يحل به هذا الظلام، وأنه لم يكن يراه. غير أن ترجمة أخرى تساير القرينة (من بينها الترجمة العربية) فترينا أيوب يؤكد خوفه من الله، وأنه لا يريد التخلص من النكبات التي أحاطت به على قسوتها، بل من ذلك الكائن العظيم المخوف الذي يملأ نفسه خوفاً "لأني لم اقطع قبل الظلام (أي ظلام الضيق الحاضر) ومن وجهي (المشوّه بفعل المرض) الذي يغطيه الدُجى "تبارك الله، فقد تجلت محبته الكاملة في المسيح، فكل شيء معنا لامع منير وما الظلمة التي تراودنا إلا غيمة عابرة لن تستطيع أن تحجب مجد المحبة التي تشرق علينا وتنير نفوسنا وسبلنا.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الثالث والعشرون

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ص	ع	الكلمة	معناها
٢٣ :	٦	كلاّ	معناها الردع والزجر.
٢٣ :	٩	يتعطف الجنوب	من باب التشبيه بالتعطف بالرداء.
٢٣ :	١٦	روّع	الروع الفزع.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الرابع والعشرون

تابع جواب أيوب لأليفاز

يمكن تقسيم هذا الإصحاح إلى أربعة أجزاء:

(ع١-١٢) عدم نجاح سياسة الله الواضح.

(ع١٣-١٧) وصف الأشرار.

(ع١٨-٢١) هروبهم إلى الهاوية.

(ع٢٢-٢٥) الله حاميهم بحسب الظاهر.

(ع١-١٢) عدم نجاح سياسة الله الواضح.

هذا الإصحاح هو ختام جواب أيوب على أليفاز. وهو يؤكد جلياً أن الأمور في الوقت الحاضر تسير سيراً شاذاً، وأن ظروف الإنسان التي يجتاز فيها من خير أو شر، سعة أو ضيق، لا تدل على فكر الله وشعوره نحو ذلك الإنسان، فالأبرار هم الذين يصابون بالتجارب أكثر جداً من الأشرار ولا يرجع ذلك إلى خطأ فيهم، بل على العكس، فإن الله يضعهم في الامتحان لكي يظهر أنهم خاصته، وعلى ذلك فإن خضوع القلب هو المطلوب منا تحت التجربة مع

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الثقة الكاملة في الله. زد على ذلك أن لنا نحن قديسي العهد الجديد امتيازاً لم يكن لقديسي العهد القديم وما كان ممكناً أن يكون لهم قبل مجيء المسيح، وذلك الامتياز ليس فقط إتمام عمل المسيح بل إشراق نور المسيح كاملاً. ذلك النور الكامل لم يكن قد ظهر بعد، ومع أن ذلك كان قبل الناموس فإننا نرى بوضوح أنه كان هناك نور كافٍ لإرشاد الذين كانوا يتطلعون إلى الله، وأنه كان هناك ظلام. ولا شك، كما في الوقت الحاضر للذين لم يكن لهم إيمان بالله. وعلى ذلك فالدرس العظيم الذي ينطوي عليه سفر أيوب هو وجود فارق بين المؤمنين أنفسهم، وبسبب هذا الفارق. فكان هناك فارق عظيم بين أيوب وأصحابه الثلاثة. فمهما كانت أخطاء أيوب، ومهما كان هياجه لاتهام أصحابه إياه بأنه مرائي (ونحن إذا كنا قد اختبرنا شيئاً من هذا القبيل في حياتنا لاستطعنا تقدير ما يحدثه من مرارة). فإنه لا يوجد أصعب ولا أمرّ على النفس من الضربة التي تأتي من أولئك الذين يزعمون بأنهم يحبوننا.

إن الشيطان لا يعمل شيئاً قط للخير، بل دائماً للشر، ولكن الشيطان فشل فشلاً ذريعاً في هذه الحالة، والله هو الذي عمل، وقد عمل بصفة خاصة بواسطة عدم أمانة أصحاب أيوب الثلاثة وعدم روحانيتهم. هذا هو المغزى العظيم من السفر. فعندئذ، بدأ أيوب يلعن يومه. وليس قبل ذلك قط. فكل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

شيء جاء من الشيطان، مهما كان، احتمله أيوب بصبر وشجاعة وكل ثقة في الله. ولكن عندما بدأ الأصحاب الثلاثة يومئون إلى شـر دفـين والى خبـث مستور، والى رياء ومكر، كان ذلك أكثر مما يستطيع أيوب احتماله. فـانفجر متفوهاً بأقوال كثيرة غير لائقة. ولكن الله تسامح في هذا كلـه لأن أيـوب في قرارة نفسه، وكان متمسكاً بالله، ومهما كانت الكوارث التي حلّت أو تحل به فقد تقبّل كل شيء من يد الله. صحيح أنه لم يستطع أن يفهم السبب ولكنـه رغم كل ذلك ظل متمسكاً بالله. والآن يستعرض القضية هو بنفسه "لماذا إذاً لم تختبئ الأزمنة من القدير لا يرى عارفوه يومه؟" أي أن هناك أزمنة شر فكيـف يحدث أن الله وهو حاكم أدبي ويلاحظ كل الشرور حتى أقـوال النـاس (لأن الأقوال تعبّر عن أسرار القلوب). كيف يحدث أنه يسمح بالشر ولا يكون هناك يوم للمجازاة في الوقت الحاضر؟ ونحن نستطيع أن نجيب على ذلك أن الأمـر كله محفوظ للمسيح "فالآب لا يدين أحداً" ذلك ما لا يفعله الآب. إنه يبـيّن المحبة لأنه آب. وهو يبين المحبة لأن الله محبة كما هو نور أيضاً. ولذلك فإن أمر الدينونة محفوظ للمسيح والسبب واضح أن المسيح هو الذي بدون أدنى سـبب أبغضوه هو والآب ولذلك فقد أصبح محفوظ للرب يسوع المـسيح أن يجـري الدينونة فكل الدينونة قد سلمت للابن، لأنه ابن الإنسان، وكـابن الإنـسان ابغضه الناس، أنكروا لاهوته واعتبروه رفيقاً للأشرار. اعتبروه سـامرياً ولـيس

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

سامرياً فقط بل وبه شيطان. فلم يكن هناك ما هو أردأ من ذلك ليقوله النـــاس عن الرب يسوع ويشعروا به إزاءه.

هناك نواحي أخرى يتجلى فيها اختلاف الناس عن ربنا يسوع المسيح، وأنه لا علم لهم بالله أطلاقاً. ولكن الرب هو الديان المعصوم وهو الذي سيدين الناس بالعدل. وكل ما يخالف أفكار الله وطبيعته سيلقى جزاءه العادل الخطـــير من ذلك الديّان البار يوماً من الأيام. ولأن الناس لم يروا الله فيه، بل مجرد إنسان فهو لذلك كانسان سيكون الناس أجمعين، كما هو مكتوب إن كل الدينونة قد أعطيت للابن لأنه ابن الإنسان (يوحنا ٥: ٢٧). أما الآن فإن أيـــوب يـــصف الأمور الشاذة السائرة في الوقت الحاضر فيقول "ينقلون التخوم" وهذا أمر شائع ملموس في كل مكان وزمان. يستولي الناس خلسة على ما ليس لهم في ميـــدان من ميادين الحياة. وكم من مظالم في العالم، وكم من أملاك اغتصبها الأقويـــاء ووضعوا عليها أيديهم رغم أنف الضعفاء بل رغم أنف القانون نفسه.

وليس الأمر قاصراً على اغتصاب الأراضي والممتلكـــات بـــل الخبـــث والاختلاس والشر الذي نراه سائداً في كل ناحية من نواحي الحيـــاة. غـــير أن أيوب يشير بصفة خاصة إلى الأمر الأول وهو اختلاس الأراضي عن طريق نقل التخوم وهي حيلة قديمة يلجأ إليها الناس الأشرار، لاسيما المـــلاك، وخاصـــة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأقوياء وأصحاب الجاه والنفوذ منهم، فهم يملكون أرضاً تكون لهم الفرصة أن يزحزحوا التخوم قليلاً قليلاً وبذلك يسرقون أرض الآخرين شيئاً فشيئاً. وهذا ما يفعله ليس الناس العاديين فقط بل ما يفعله الملوك أيضاً وسائر الحكام الاستعماريون فهم يرون أرضاً جميلة خارج حدود بلادهم تصلح لأن تزيد من روعة إمبراطوريتهم فرويداً رويداً يسرقونها أو يثيرون حرباً ويغتصبونها بقوة السلاح. هذا ما يحدث في أيامنا وهو عين ما كان يحدث في أيام أيوب، وفي كل عصر وجيل. وأيوب يصور الأمور كما هي حادثة حوله "يغتصبون قطيعاً ويرعونه، يستاقون حمار اليتامى ويرهنون ثور الأرملة. يصدون الفقراء عن الطريق" أولئك هم الذين ندعوهم "الوجهاء" في المجتمع الذين يمتلكون القطعان والمواشي ولكنهم يطلبون المزيد "مساكين الأرض يختبئون جميعاً". هنا نرى طبقة أخرى هم طبقة الفقراء والمعوزين "هاهم كالفراء في القفر يخرجون إلى عملهم". هم أفراد الشعب الذين لا يملكون شيئاً. أو "العامة" الذين لا حرفة معينة لهم بل يتصيدون الأشغال هنا وهناك ويعانون كل ما يترتب على هذه الحالة الغير مستقرة من مخاطر وألم..."كالغرباء في القفر يخرجون إلى عملهم يبكرون للطعام". يبكرون قبل النور ويتصيدون العمل كما يتصيد الفراء فريسته غير المستقرة "البادية لهم خبز لأولادهم" نتأمل في هذا: رمال البرية القاحلة الجرداء. هذا هو كل شيء – ولماذا؟ لأنهم لا يملكون أرضاً خاصة بهم. "في

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحقل يحصدون علفهم" علف الأغنياء. "ويعللون (أي يجنون) كرم الشرير" هنا لا يدعون أغنياء بل أشراراً. "يبيتون عراة بلا لبس، وليس لهم كسوة في البرد. يبتلون من مطر الجبال ولعدم الملجأ يعانقون الصخر" أي يحتضنون الصخور.

ثم يتحدث عن هؤلاء الأغنياء الأشرار فيقول "يخطفون اليتيم من الثـــرى ومن المساكين يرهنون (أي يأخذون الرهن). عراة يـــذهبون بـــلا لـــبس (أي المساكين) وجائعين يحملون حزماً".

وقد جاءت هذه العبارة الأخيرة بمعنى أن الأغنياء ينتزعون الحـــزم مـــن المساكين الجائعين فقد تكون هناك حزمة أو اثنتان سقطتا عفواً من الحصادين أو نسيتا في الحقل فحملهما الجائع ولكن الرجل الغـــني ينتزعهـــا منـــه انتزاعـــاً. "يعصرون الزيت داخل أسوارهم". فهم يستخدموهم بوفرة عددهم يعـــصرون الزيت ولكنهم لا يحصلون على نقطة منـــه لأنفـــسهم "يدوســـون المعاصـــر ويعطشون. من الوجع أناس يئنون ونفس الجرحى تستغيث. والله لا ينتبـــه إلى الظلم". يتركه يسير في مجراه وكأنه لا يبالي، والسبب لأنه منتظر لذلك اليوم.

والآن ما أعجب المحبة التي تتجه في الإنجيل إلى نفس هؤلاء الأشـــخاص الفقراء المساكين إنه "للمساكين" نودي بالإنجيل مجدداً لله. لقد كان المـــساكين

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

موضوع مشغولية الرب بصفة خاصة إنه لم يحصل شيء مثل ذلك منذ ابتـــداء العالم، فلم يوجد أحد قط جعل الفقراء والمساكين موضوع مشغوليته الكبرى. وذلك إلى الأبد ولكن أيوب لم يكن يعلم شيئاً عن ذلك وما كان في استطاعته أن يعلم.

إن أحد أعلام الكتاب يضع ترجمة جميلة للعدد الأول هكـــذا "لمـــاذا لم تُحفظ الحدود عند القدير، ولماذا لا يرى ممجدوه أيامـــه؟" وعنـــدي أن هـــذه الترجمة تعطينا معنى أوضح مما تعطيه التراجم الأخرى، ولو أن المعنى عند كـــل التراجم هو هو. أن أيوب عتيد أن يتناول مسالة عدم نجاح سياسة الله في إدانة الأشرار، ويستهل كلامه متسائلاً: لماذا لا يسمح الله لقديسيه أن يروا دينونـــة عادلة تصيب أولئك الأشرار ولماذا لا يضع حداً لعدم تقواهم وظلمهم الشرير؟ وهاهو يحصي قدراً من تفصيلات مسلكهم الشرير الذي ينقص كل مبدأ مـــن مبادئ الحق والصواب، فالتخوم تنقل وقطعان الجيران يسرقونها ويرعونها كمـــا لو كانت خاصتهم، كما أن اليتامى والأرامل ضحايا طردهم، يصدون الفقـــير والمعوز.

وبعد ذلك يتابع أيوب، بالفكر، هؤلاء المساكين مطرودين من بيـــوتهم بفعل الأشرار مطارديهم، ثم يصف صراعهم البائس للوجود في الحالة البدويـــة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

التي أُلقوا فيها(ع٥-٨). وفي بضع لمسات جريئة بريشة فنان يألف هذا المشهد، فنرى أيوب يصوّر هؤلاء المتألمين الذين يهلكون جوعاً، مطاردين كالبهم ليجمعوا أقصى ما في متناولهم ما يحفظون به أود أطفالهم. إنهم يطلبون عملاً حتى من مقاوميهم، ويحصدون لهم حقولهم ويعللون كرومهم. تكاد الأسمال تغطي أجسامهم، قشعريرة البرد القارس تصيبهم ولذعات سواقط المطر، وهم في سعيهم وراء مخبأ في الصخور. "مراجم الأشرار قاسية": وفي تاريخ الإنسان على مداه كم ذا تصاعد إلى الله ظلم الفقير والمعوز. بيد أن الله لا يسمع!!

ثم يتناول أيوب حالات أخرى كأمثلة على هذه القسوة فالأشرار ينتزعون اليتيم من صدر أمه، ويستغلون المساكين. فلماذا يغمرونه أصحابه بأنه على مثل هذه الخلق، بينما هم يرون بأعينهم حالات واضحة؟. فالمساكين تغتصب ملابسهم، يعملون بين الحزم والجوع يهدهم، في معاصر الزيت والكروم يحرمون المشاركة في نتاجها، هناك يتصاعد الأنين من أفواه المظلومين في المدينة، والله لا يلتفت! هي صورة واقعية أليمة، هم يألفونها، ونحن. فكيف يستطيع أليفاز أن يوفّق هذه الوقائع والحقائق مع نظريته من حيث معاقبة الشر في هذا العالم؟ ولكن كيف يستطيع الله أن يغلق عينيه دون هذه الأمور ويذل

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

رجلاً أميناً بدلاً من فاعلي الشر أولئك؟ هذه هي مشقة أيوب الكبيرة، وليس لها حل عنده.

(ع١٣-١٧) وصف الأشرار.

"أولئك يكونون بين المتمردين على النور لا يعرفون طرقه ولا يلبثون في سبيله". وهنا يصف أيوب صنفاً من الناس أردأ مما سبق، ذلك هو الإنسان. لا فرق إن كان من طبقة عليا أو طبقة دنيا. إنسان الظلم، القاتل، الإنسان الذي خاصم السلام والذي لن يشبعه شيء سوى دم فريسته..."مع النور يقوم القاتل بقتل المسكين والفقير وفي الليل يكون كاللص" وكأنه يتخذ من ظلمة الليل ستاراً يغطي به عار فعلته إذ سرق المسكين.."وعين الزاني تلاحظ العشاء. يقول لا تراقبني عين". هذا هو الرجل الفاسد وقد رأينا قبله الرجل الظالم. فالظلم والفساد هما طابعا الشر البشري للكثيرين.

"يقول لا تراقبني عين فيجعل ستراً على وجهه. ينقبون البيوت في الظلام. في النهار يغلقون على أنفسهم (أو البيوت التي علّموها لأنفسهم في النهار، أي التي ضعوا عليها علامة في النهار لكي يسطو عليها في الليل).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن هذه الموضوعات التي تشغل ذهن أيوب طالما كانت محل افتتان الكثيرين وها هو يواصل وصف مسلك الأشرار الذي لا تقيده قيود. هوذا أناس. يبغضون النور "لأن أعمالهم شريرة" يختارون الليل "لأعمال الظلمة غير المثمرة" أعمالهم. فالقاتل يكمن في انتظار العامل الذاهب إلى عمله مع الفجر، وفي الليل ينقلب لصاً والزاني يتربص ليفعل رجاساته "في العشاء، في مساء اليوم، في حدقة الليل والظلام" (أمثال٧: ٩) مثل الجوارح "في النهار يغلقون على أنفسهم" والشيء الخطير أنهم "لا يعرفون النور لأنه يكشف خزيهم وخطيئتهم "لأنه سواء عليهم الصباح وظل الموت، وإن كان أحد يعرفهم فإنهم في أهوال ظل الموت"(ع١٧). وهناك ترجمة أخرى لهذا العدد "أغوار الليل هي عندهم كفجر الصباح" – وهم يألفون الليل – هو نهارهم.

(ع١٨-٢١) هروبهم إلى الهاوية.

وكيف ينتهي مسلك الأشرار هذا؟ هل يتدخل الله ويجعل منهم مثلاً؟ ليس دائماً. فإنهم على العكس يجتازون خفافاً كغدير هادئ، يتركون ميراثهم هدفاً للعنات الناس بدلاً من أن ينالوا هم النقمة الخليقة بهم كما يقول المثل "خدعوا المقصلة"، وفاعلوا الإثم انصرفوا عن كروبهم حيث كان يمكن أن ينالوا استحقاقهم. وكما أن القحط والقيظ يجففان مياه الثلج. كذا الهاوية تجعل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأشرار يختفون فجأة عن الأنظار يعبرون، منسيين من الأمهات، ليكونوا مأكلاً للدود، تلك هي عقبى الظالم الشرير. والإطار العام لفكرة أيوب في هذا الجــزء من رده أنه في هذه الحياة، وحتى إلى النهاية، يفلت الناس من العقوبــات الــتي يستحقونها. وهو لا يرفع الستار الذي يخفي المستقبل الرهيب. لأن الهدف الذي يرمي إليه هو الرد على خصومات أصحابه، وأنه ليرد عليهم بإقناع.

ويستمر أيوب واصفاً هذه الصورة المريعة حتى آخر الإصحاح، مبيناً فيها ما يشعر به الأشرار من تعاسة داخلية وشعور بالإثم والذنب لأن هذا هو فعــل الله العجيب في أعماق الإنسان. لما خلق الإنسان أولاً لم يكن يعرف شيئاً عــن الخير والشر. ولم يعرف الفرق بينهما، لأنه لم يوجد بعد أثر للشر. وقد خلــق آدم خالياً من الشر خلواً تاماً. نعم، لك يكن في الإنسان أي شر عندما خــرج من بين يدي الله الخالق، ولكن بمجرد أن سقط في الخطية حصل علــى قــوة للتمييز بين الخير والشر. ذلك هو الضمير فلم تكن هناك حاجة للضمير للتمييز بين الخير والشر عندما لم يكن هناك شيء سوى الخير ولكن إذ سقط الإنــسان بدأ يميز بين ما هو خير وما هو شر.

ذلك ما يفعله الله بصورة كاملة. أما الإنسان بصورة تعسة شقية ذلــك لسبب علمه بالشر في داخله أصبحت له القدرة والاستطاعة على تمييز نفــس

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا الشر خارجاً عنه والحكم عليه، ولكن ذلك لا يقدم الإنسان أو يفيده شيئاً، فعندما يكون الإنسان غير متجدد يستمر عائشاً في هذا النوع من التعاسة وكل ما يفيده من خاصية التمييز بين الخير والشر هو أنه يعتبر بعض النـــاس أشـــراراً مثله أو أردأ منه ويلتمس لنفسه الأعذار على هذا الأساس، وهكـــذا يـــستمر عائشاً في الخطية. ولكن عندما يتجدد الإنسان يتحول الضمير إلى نفسه، وهذا هو السبب في أن التوبة مقترنة اقتراناً كاملاً ومنذ البداءة بحياة المؤمن المسيحي. فالإيمان المسيحي والتوبة صنوان متلازمان، وقبولنا المسيح يجعلنا نحكـــم علـــى ذواتنا بدلاً من الحكم على الآخرين والتماس المعاذير لأنفسنا.

نرى هذا في العشّار المسكين. فعندما كان الفرّيسي يقول "اللهم أشكرك أني لست مثل باقي الناس. أنا رجل أفضل من غيري لا اسكر ولا احلـــف ولا اذهب إلى أماكن القمار أو إلى أي مكان آخر من هذا النوع. كلا، أنا رجـــل طيب. وأحسن كثيراً من الناس الآخرين". بينما الفرّيسي كان يقول ما معنـــاه ذلك كان العشّار المسكين الذي كان الله قد تكلم إلى نفسه يقول من أعمـــاق قلبه التائب "اللهم ارحمني أنا الخاطئ" ونلاحظ أنه لا يقول اللهم ارحمـــني أنـــا خاطئ بل أنا الخاطئ، وكأنه لا يوجد في العالم خاطئ سواه. إن الإنـــسان لا يمكنه إلا أن يتأثر بما في هذا التعبير من جمال رائع "اللهم ارحمني أنـــا الخـــاطئ"

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وكأنه يقول: إن كان في العالم خاطئ واحد فأنا هو هذا الخاطئ أنـا اعـرف خطاياي وهي من الفظاعة والكثرة بحيث لا تترك لي مجالاً للتفكير في الآخـرين – اللهم ارحمني أنا الخاطئ – أنا وليس غيري. هذا الإنسان نراه مـبرراً دون ذاك. ذلك ليس ما يسمى "التبرير بالإيمان" ولكنه كان الشيء الصحيح الـذي يتم دائماً في النفس المتجددة، وهو الحكم على الذات وإدانتها أمام الله. والذي ينتج ذلك هو نور المسيح الذي يشرق في القلب بطريقة إلهية عجيبة ولذلك فإنه له المجد وقد أكمل العمل الكفاري على الصليب قد ارتفع ليعطي التوبة ومغفرة الخطايا لكل من يؤمن به ويتطلع إليه.

فالتوبة عمل الهي في القلب وهي بعكس الضمير الشرير، وقد لازمـت الإيمان في كل دور من أدواره. ومعناها تصحيح الضمير لدى الإنسان بحيـث يصبح الأداة للحكم على الذات وهذا كان شأن الضمير مع جميع رجال الإيمان حتى قبل مجيء المسيح. صحيح أنهم لم يعرفوا ذلك تماماً قبل عمل المسيح علـى الصليب، ولكنهم كانوا يتطلعون إلى المسيح وعمله الموعود، وكان لدى البعض منهم الرجاء اليقيني بأن الرب يسوع سيرفع خطاياهم وإن كـانوا لا يعرفـون كيف سيرفعها.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

أما الآن فإن الإنجيل هو إعلان الله الكامل عن كيفيـــة رفـــع الخطايـــا وغفرانها وتفسير ذلك إلهياً واضحاً.. "دم المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيـــة" ونحن يسعدنا أن نعرف أن دم ابنه يطهرنا من كل خطية "كل خطية" فـــإذا لم تكن خطايانا كلها قد محيت، فجميع الخطايا قد محيت. فالعمل كلـــه عمـــل المسيح، والمسيح لا يعمل شيئاً ناقصاً كما يعمل الإنسان. كلا، إنه عمل كامل. فهنا إذاً أيوب يتطلع إلى مجرد حالة الأشرار المريعة، ذوي الـــضمائر الرديئـــة، وكيف أنهم يذهبون إلى الموت حيث يجد الدود وليمته الكبرى. هذا هو كل ما يقوله. وإذا كان الأشرار يرتفعون في الحياة الدنيا فذلك لكي ينخفضوا أكثر من الحياة الأخرى.

(ع٢٢-٢٥) الله حاميهم حسب الظاهر.

يختتم أيوب بخاصية أخرى من خصائص هذا التناقض المريع. فالله يبـــدو كمن هو إلى جانب الأشرار، يحفظهم بقوته بينما كان يجـــب أن يُحطـــوا إلى الأرض "يمسك الأعزاء (أي يحفظهم) بقوته، مثل هؤلاء يقوم ولو أنه يائس من حياته"(ع٢٢).

وكم ذا وجدنا الأشرار ينحطون بالمرض، ثم يقومون من القبر تقريبـــاً. نحن نعلم أن ذلك من لطف الله لكي يقودهم إلى التوبة، لكن أيوب في أفكاره

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المشوهة يرى في ذلك علاقة أو دليلاً على رضا الله فإنهم يعيشون آمنين، ويبدو أن عين الله تستقر عليهم بالرضا هذا يتمشى مع مناقشة أيوب أكثر من الحقيقة الضمنية وهي أنه لو ظهر الله كمن يعولهم ويسندهم بحسب الظاهر فإن عينه على طرقهم ولا بد أن يدينهم. ذلك أن أيوب إنما يضع عينه على انعدام أي مظهر من مظاهر الدينونة والقضاء عليهم. إنهم يترفعون في حياتهم وعندما تحين ساعة الموت التي لا مفر منها. الساعة المعينة أو المفروضة على الجميع – فإنهم لا يكونون، يغرقون في القبر، يختطفون مثل غيرهم، كالكل، يقطعون مثل سنابل الحنطة الناضجة (ع٢٤).

ينهي أيوب رده طالباً جواباً فمن ذا الذي يتهمه بأنه عرض الحقيقة عرضاً خاطئاً أو جرد كلامه من قوته كرد على نقاش أصحابه؟.

وإنها لنهاية خطيرة. ليس أن أيوب قرر الحقائق تقريراً خاطئاً، لكن استنتاجاته كانت رهيبة. فهو يتابع منطقه إلى الحافة– إن الله لا يعامل بالعدل. وإذا كان الأمر هكذا، فهو ليس الله. وأية نصرة كانت تنطوي تحت مثل هذا الاستنتاج، نصرة للعدو الخبيث المحرك لهذا جميعه، والذي أعلن مرة أنه إذا أخذ منه نجاحه، فإن أيوب في وجهك "يجدف عليك" لكن أيوب لم يفعل ما تكهن به الشيطان. على أن أيوب، قياساً إلى مناقشاته، كان يمكن أن يفعل ما تكهن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

به الشيطان وما نصحته به زوجته. وإذ كان يجهل كل شيء، فقد تولت النعمة العمل لأنه كان ابنا لله، فلم تسمح له النعمة أن يمضي إلى حيث يمكن أن تنتهي به أفكاره ونتيجة كهذه، ما أكثر ما كانت تنطوي عليه من نصرة لأصحابه!

إذاً فكان لهم أن يقولوا "لقد وقفنا إلى جانب الله، أما أيوب فقد هاجم صفاته تعالى" لكنّ واحداً من الطرفين لم يستطيع أن يقنع الآخر ومع أن المذمة كانت إلى جانب أيوب، غير أن الطابع المؤسف الذي انطبعت به أقواله الختامية، هو الذي حتم بما نجده في الجزء الأخير من السفر. لكن بقي أن نستمع إليه مرة أخرى يسكب كل قلبه، قبل أن نصغي إلى الله متكلماً.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الرابع والعشرون

ص : ع	الكلمة	معناها
٢٤ : ٥	الفرا	ص٦: ٥
٢٤ : ٥	البادية	الصحراء بخلاف الحضر.
٢٤ : ٦	علف	ما تأكله الدابة.
٢٤ : ٦	يعلّلون	يجنون ثمر الشجر.
٢٤ : ٨	يعتنقون	ما انعطف من قطع الصخور.
٢٤ : ١٨	خفيف	السرعة في الشر.
٢٤ : ١٩	القحط	الجدب. احتباس المطر.
٢٤ : ١٩	القيظ	شدة الحر وصميم الصيف.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الخامس والعشرون

الخطاب الثالث لبلدد

إن بلدد، بخطابه هذا الثالث، هو آخر الأصحاب متكلماً. أما صوفر فقد أخلد إلى الصمت بعدما سكب كل قلبه المندفع في خطابيه.

واهتداءاً باقتضاب خطاب بلدد، وبحقيقة كون هذا الخطاب لا يحتوي عملياً على شيء جديد، نقدر أن نتبين أن الأصحاب الثلاثة قد استنفذوا كل المناقشات التي سمحت لهم مواقفهم أن يتقدموا بها. وقد كانوا رجالاً ذوي تفكير متزن. ولهم كفايات للتعبير قلما يسمو عليهم فيها آخرون. أسلوبهم رفيع نبيل، استعاراتهم رائعة الجمال والقوة بيد أن موقفهم وخصومتهم وجدلهم كانت كلها مغلوطة، لا يمكن الدفاع عنها. ومن هنا اقتضاب هذه الأقوال الختامية.

على أننا لا نقدر أن نتكلم باحتقار عن هذه العبارات الموجزة، لأنها تقرر حقيقتين أساسيتين عظيمتين تتجليان بوضوح في نهاية السفر. ويمكن أن يقال تقريباً إنها عبارات نبوية عن "عاقبة الرب" التي سيقرّ بها أيوب نفسه في آخر المطاف. لكن بلدد يكاد أن يقيم الدليل على أن أيوب هو ذلك الرجل الشرير

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الذي أصرّ جميعهم أنه هو ذاك. على أن أقواله كانت صادقة فيما يتعلق بنفسه وبصاحبيه وبأيوب.

إن اسم بلدد معناه "ابن الخصام". وهو اسم يستحقه فعلاً! وبم توحي الكلمة "وعبد الرب لا يجب أن يخاصم بل يكون مترفقاً بالجميع صبوراً على المشقات مؤدباً بالوداعة المقاومين" ٢تيمو٢: ٢٤، ٢٥).

ولم يظهر أحد من الأصدقاء الثلاثة هذا الشعور. لقد عرفوا كيف يسألون دون القدرة على الإجابة عليها: كانوا يعرفون كيف يجرحون دون أن يشفوا، وكيف يقلبون دون أن يبنوا. وبعد حديث قصير لبلدد سكتوا نهائياً. وأقسى كلماتهم لم تستطع أن تبكت أيوب على خطية. فبقدر ما كان يتهم كان يشعر بالحاجة إلى التبرير. إن التبكيت على الخطية لا يمكن أن يفعله سوى روح الله في الضمير. ترى هل فعل ذلك روح الله في ضميرك؟. قلب أيوب لم يضم قط بكلمة تعزية حقيقية.

وهذا يقودنا إلى التفكير في قول من ذاق أكثر الأحزان: انتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد" (مزمور٦٩: ٢٠).

*   *   *

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يمكـن تقـسيم خطـاب بلـدد إلـى قـسمين يبـرزان الحقيقتـين الكبيرتين اللتين ستبدوان بأكثر وضوح:

(ع١-٣) عظمة الله.

(ع٤-٦) خواء الإنسان.

(ع١-٣) عظمة الله.

الآن نأتي إلى بلدد. وهنا وكأن أنفاسه قد تقطعت، فأصبحت لا تطاوعه على كثرة الكلام. إن حديثه في هذه المرة في غاية الاختصار، بل هو في الواقـع حديث قصير جداً ولا علاقة له مباشرة بأيوب. والواضح أن الأصحاب الثلاثة قد وجدوا أنفسهم مضطرين للتسليم، وبلدد. وهو الثاني منهم، هو الذي يتغنى الآن بمجد الله ويشيد به. وهي في الحق أنشودة رائعة وتعبر عن حقائق خالـدة ولو أنها لا تنطبق إطلاقاً على الحالة التي نحن بصددها. لنسمعه يقول: "السلطان والهيبة عنده. وهو صانع السلام في أعاليه (أو أماكنه العالية)".

نعم، ولكن ما كان يُتعب أيوب أنه لم يكن له شيء من السلام في مكانه المنخفض، بل كل ما كان يعانيه هو هذا الإذلال المريع والألم الـشنيع دون أن يعرف له سبباً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"هل من عدد لجنوده؟" هذا كله حق، ولكن هل من تعزية لأيـــوب في هذا أو جواب على حيرته؟.

"وعلى من لا يشرق نوره"... وقد يكون في هذا إشارة ضـــمنية. بـــل أيوب كان مخطئاً كل الخطأ لأنه لم يكن متمتعاً بالنور الذي لم يكنـــه بلـــدد؟. والحقيقة أن بلدد كان هادئاً، لأنه لم يكن مجرباً، ولذلك كان في اســـتطاعته أن يتحدث بهدوء وبكلام معقول. ولكنه لم يكن يفهم أيوب على حقيقته.

من ذا الذي يستطيع أن يعلن عظمة الله المطلقة، الذي يملأ الـــسماوات والأرض. ويسمو على كل خليقته الغير المحدودة. "هوذا الـــسماوات وسمـــاء السماوات لا تسعك". على أنّ هذه اللانهائية ليست بلا قوة: فهو يملك علـــى كل شيء، والحكم له.

وكم هو خليق بنا أن نقف ونتأمل في كثير من روعة الورع، في جـــلال الله وسلطانه وقدرته "من كال بكفه المياه وقاس السماوات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال بالقبّان والآكام بالميزان...الجـــالس علـــى كـــرة الأرض....الذي ينشر السماوات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن....ارفعوا إلى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه، من الذي يخرج بعدد جندها، يـــدعو

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كلها بأسماء. بعظمة قوته، وشدة قدرته لا يفشل واحـــد" (اشـــعياء٤٠: ١٢، ٢٢، ٢٦).

أيها الإله العظيم، كم أنت سرمدي غير محدود.

أما نحن، فمن نحن سوى اعجز وافسد الدود.

من ذا الذي لا يخشى كائناً سرمدياً كهذا؟ وفي آن معاً، يا لـــه برهانـــاً مرعباً على حالة الإنسان المرتدة الساقطة، التي يعوزها خـــوف الله. فـــإن ذاك الذي أمامه يغطي السرافيم وجوههم، يتجاهله ويجدف عليه خطاة تافهون.

"هو صانع السلام في أعاليه" أن تلك الأفلاك السماوية ليست تعلن قوته فحسب بضخامتها، بل إنها تعلن حكمته تعالى ومهارته في التوافق والانـــسجام الذي تتابع به مسالكها المعنية. ومتماسكة معاً في مداراتها العظيمة بمـــا يفـــوق التفكير – متماسكة بذاك الذي خلقها. "لا يفـــشل واحـــد" لا تعـــارض، لا اصطدام – كلهن ينشدن لحناً واحداً وهن يعلنّ مجده.

"على المدى ينشدن وهنّ شارقات

إلهية تلك اليد التي صنعتنا".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والأجناد الملائكية كذلك، المتحدة مع "كواكب الصبح" هذه، هـــي في سلام، في رأي واحد يفعلون "أمره عند سماع صوت كلامه". فلا خـــصام ولا تعارض بين تلك الكائنات المترفعة، الكل مصون في سلام. وحتى لـــو فكرنـــا حالتهم الأولى، فإن الله المقتحم يوم هوى الشيطان من أعاليه، ويوم لم يحفـــظ الملائكة حالتهم الأولى، فإن الله لم يتعطل، وعرشه لم يتزعزع. أمـــا الملائكـــة المتمردون فقد حفظوا في قيود الظلام ولئن كان الشيطان قد مُنح بعض الحريـــة بصفة مؤقتة، فذلك إنما لفترة محدودة. وسيأتي الوقت الذي سيُطرح فيـــه مـــن السماء، ويقيد ويطرح في الهاوية، وأخيراً ومع جميع مشايعيه ســـوف تـــشيعه النقمة الإلهية، هو وهم، إلى بحيرة النار. ويومئذ يتـــوفر الـــسلام إلى الأبـــد في الأعالي.

وبين الأجسام النجمية يبدو دليل على حدوث تـــصادم بـــين بعـــض الكواكب أو الأجرام. ولكن هدأت الحال، ووجد كل جرم مكانـــه اللائـــق. الكل صار في سلام. وفي يوم ما ستمضي بضجيج السماوات التي حولنا. لكنا "بحسب وعه ننتظر سماواتٍ جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر". وهكـــذا. وفي آخر المطاف، سوف تؤيد الخليقة كلها قولة بلدد هنا "هو صانع السلام في أعاليه".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"هل من عدد لجنوده؟". إن سيدنا العزيز كان يمكن بكلمة واحدة أن يأخذ "أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة". ومكتوب أيضاً "وعددهم ربوات وألوف ألوف". "ربوات هم محفل ملائكة". فأين من هذه الحشود الحاشدة جيوش الناس؟ لقد طلب النبي مرة أن تُفتح عينا عبده ليرى الجبل مملوءاً خيلاً ومركبات نار". (٢ملوك٦: ١٧).

"الله نور". وجنوده أجناد نور، يلمعون في مجد ليس منهم، "وعلى من لا يشرق نوره؟" أو "من ذا الذي لا يسمو عليه نوره؟" فليحاول أي من شاء من بني الصبح هؤلاء أن يزدهي بنفسه، وعندئذ ومن نوره سيخبو إشراقه "أفسدت حكمتك بسبب بهائك" (حزقيال٢٨: ١٧).

أما عن الله فينبغي أن نقول إلى الأبد "الساكن في نور لا يدنى منه" فإن نوره يسمو على كل خلائقه مهما ارتفعوا. أنه يعلو شارقاً ويزيد بغير حدود على نور أكثرهم بهاءاً. وهذا المعنى ينطبق بالأكثر على ترجمتنا لهذا العدد منه على الترجمة التي بين أيدينا "وعلى من لا يشرق نوره؟".

(ع٤-٦) خواء الإنسان.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"فكيف يتبرر الإنسان عند الله؟" هذا عين ما سبق أن قاله أيوب في الإصحاح التاسع. فهو إنما يردد هنا ما قاله أيوب قبله بطريقة أفضل. فإن أيوب يدخل في الموضوع دخولاً كاملاً ويواجه بقوة حتى أنه يقرر الحاجة القصوى إلى مصالح بين الله والناس. مما يدل على أن أيوب كان لديه من النور ما يفوقهم جميعاً.

"كيف يزكو (أو يتطهر) مولود المرأة" ذلك أيضاً ما تحدث عنه أيوب قبل ذلك.

"هوذا القمر لا يضيء والكواكب غير نقية في عينيه فكم بالحري الإنسان الرمة ابن آدم الدود"... ذلك كله حق ولكنه لا ينطبق على الحالة موضوع تأملنا.

وإذا استطاع بلدد بقليل من اللمسات المليئة أن يرسم صورة لعظمة الله فها هو يتحول إلى حقارة وتفاهة وضآلة الإنسان. "فكيف يتبرر الإنسان (المائت، الزائل) عند الله؟ "كيف لواحد، فيه من ذات موتانا، شهادة على طبيعته الخاطئة، أن يقف أمام القدير؟ كيف لمولود المرأة، وله الطبيعة الموروثة من أب متمرد، أن يزكو في نظر الله؟ أليس صحيحاً أن كل إدراك سليم لعظمة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الله وجلاله ينشئ في النفس إحساساً بالخطية والنجاسة؟ لقد كان الأمر هكـــذا مع أيوب وهؤلاء الأصحاب في آخر المطاف.

اعتبر القمر: أن نوره يخبو في حضرته المقدسة. والكواكب المضيئة ليست بنقية في عينيه. فكم بالحري الإنسان الخاطئ – دودة في التـــراب!. إن بلـــدد يتخير السماوات خلال الليل دون الشمس في النهار، ليقيم مقارنته هذه النبيلة. وفي يومه نسج داود على منواله حيث قال "إذا أرى سماواتك عمل أصـــابعك والقمر والنجوم التي كونتاه! فمن هو الإنسان حتى تذكره؟" (مزمور٨).

فمع أن ضوء القمر والنجوم ليس من القوة بما يعادل ضوء الشمس، غير أنه أكثر بهاءاً ولمعاناً بالقياس إلى الظلام المحيط، أو بالاحرى بالمباينة معه. وهذه هي بصفة خاصة الحالة في الأجواء الشرقية المشرفة على البادية فالقمر والنجوم يتحدثن عن الله بطريقة خاصة، وعن طرق المقارنة والتباين تُـــذكر الإنـــسان بضآلته وحقارته وخوائه. وعندنا، الجواب الإلهي على تساؤل بلدد وداود "من هو الإنسان؟" اجل، فيسوع الذي صلب نراه مكللاً بالمجد والكرامة.

وهكذا، وبينما يبدو بوضوح أن بلدد يكرر أقوال أليفـــاز (ص٤: ١٨، ص١٥:١٥، ١٦) فإن خاتمته تسمو بكثير على أفكاره وشكوكه. وإننا لنرتاح

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فيما يقوله، لا فيما يفكر، عن صاحبه المسكين المتألم. ولن نتهم بلدد بالضعف أو التقليد، بل نخضع أرواحنا تحت ضوء تلك السماوات الهادئ الساكن، السماوات التي تشهد بفراغنا وخوائنا.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الخامس والعشرون

ص	ع	الكلمة	معناها
٢٥ :	٦	ابن ادم الدود	في كلمة الله يقصد بالدودة الضعف الشديد

إن الرب يطمئن يعقوب الضعيف قائلاً "لا تخف يا دودة يعقوب" (اشعياء ٤١: ١٤)

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والرب يرينا كيف أنه في اتضاعه قد وصل إلى منتهى الضعف في الصليب فيقول"أنا لا إنسان" (مزمور٢٢: ٦)

إن الرب في قضائه على هيرودس أنتباس المتكبر ضربه ملاك الرب "صار يأكله ومات" (أعمال١٢: ٢٣).

الإصحاح السادس والعشرون

جواب أيوب لبلدد

إذا اعتبرنا ردّ أيوب من الزاوية الشخصية، فهو ردّ متقن قاطع. فهو يعلن أن أقوال بلدد، هي في الظروف الراهنة غير ذات موضوع على الإطلاق. فإنها

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لا تمس قضية أيوب. ثم يتابع صاحبه في خط أقواله، لكنه يسمو عليه كـــثيراً، وتنظر في أكثر عمق وأوسع أفق إلى عظمة الله. ومن زاويـــة الأدب، فـــإن رد أيوب محل إعجاب كبير، لما اتسم به من روح شاعرية فخمة، بل هو أكثر من ذلك بكثير بصفته تسجيلاً موحى به لأفكار تسعى نحو الله.

* * *

فإن تعليقات أصدقاء أيوب لم تستطع أن تهدئه أو تعينه بنصيحة حكيمة (ص٢٦: ٢، ٣) لكنها أثارته لدرجة كبيرة جداً. وهاهو ذا يـــسترسل الآن في حديث انفرادي طويل ومحزن.

ويمكن تقسيم جواب أيوب إلى سبعة أجزاء:

(ع١-٤) سخف أقوال بلدد.

(ع٥، ٦) سيادة الله في الأعماق التحتية.

(ع٧) سلطانه في السماوات.

(ع٨-١٠) يحكم السحب والمياه.

(ع١١، ١٢) الأرض والبحر.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع١٣) نصرته في الجو.

(ع١٤) وهناك أكثر.

(ع١-٤) سخف أقوال بلدد.

إن الإطار المقتضب والمركز الذي وُضعت فيه أقوال أيوب، تضاعف من جمالها وقوتها. فهو يظهر نفسه سامياً على أصحابه في أفق الفكرة وجمال التعبير، لأنه هو الآخر تأمل في الله خلال ساعات الليل الساجي.

هو يرد أولاً على حجة بلدد لصلتها بشخصه. ومع تسليمه بأنه هو الشخص الذي "لا قوة الله" فأي خير ينطوي على أقوال بلدد الفخمة؟... هل فيها من عون على تفسير لغز الألم الحاضر؟ هل أشار على أيوب بشيء؟ أو كشف الستر عن هذا السر الغامض المضني، سر معاملة الله أباه؟ والعدد الأخير من هذا الجزء يبدو أنه يوحي بأن بلدد كان يردد أقوال أليفاز "ونسمة من (أو روح من) خرجت منك؟". أو قد يعني أن أيوب يتساءل عما إذا كان هذا الأسلوب الكلامي قد جاء من الله. على كل حال، هو في هذه الأسئلة الملتهبة يتخلص تماماً من حجة صاحبه إذا أمكن تسميتها هكذا. وبهذا يبين أيوب أنه كان ملم بسلطان الله وهيبته أكثر جداً من بلدد.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع٥، ٦) سيادة الله في الأعماق التحتية.

كان بلدد قد تناول أمجاد الله كما تعلنها السماوات. أما أيوب فيعلن سيادته في الأعماق. فهو يبدأ "بالأخيلة" أي "ما تحت الأرض" بلغة بولس (فيلبي٢). وقد يعني بها الأرواح الشريرة، الكائنات السفلى، وبأسلوب العهد القديم، إلى الهاوية وسكانها. (انظر حزقيال٢٢: ١٨....الخ) "التنانين وكل اللجج" ترتعد من حضرته. لاحظ هذا القول: فمن الغباء أن تزعم أن مقر الهالكين مستقل عن الله. فسواء فيما يتعلق بالأرواح التي هي (الان) في السجن أو الهاوية أو بحيرة النار، فإن الله، وليس الشيطان، هو الذي يملك. ومشيئته هي التي يجب أن تطاع "إن فرشت في الهاوية فها أنت" (مزمور١٣٩: ٨).

(ع٧) سلطانه في السماوات.

وإذ ينظر أيوب إلى العلاء، إنه لا يزال يتابع خطى قوة الخالق وحكمته. "يمدّ الشمال على الخلاء" فإن القبة الشبيهة بالناقوس، قبة أو مظلة الأجواء الشمالية حيث النجم القطبي معلّق على فراغ، ليس لها أعمدة تحملها. وفي هذه الأقوال القليلة، وما يتلوها، يبدو أن أيوب يتكهن بحقائق علم الفلك فيما يتصل بالأرض والسماء. "يعلق الأرض على لا شيء".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كما يسمو هذا القول بكثير على نظريات فلاسفة الوثنيين عن تكـــوين الخليقة: تسمو عليها مع قلة ألفاظها! فيها نجد نواة كشوف نيوتن وكبلر. وإنها لغلطة كبيرة أن تزعم أن الكتاب المقدس لا يلقن حقائق علمية. فإنه يعلمنا كل الحقائق اللازمة، ولو في غير أسلوب علمي، ولكن في دقة علمية.

(ع٨-١٠) يحكم السحب والمياه.

يتجاوز أيوب السماء النجمية إلى ما يرتبط بالأرض مباشرة، ثم يـــصف بأسلوب شعري جميل، وفي لغة علمية دقيقة، السحب كالأوعية الـــتي تحتـــوي المياه فوق الأرض. فالله هو الذي يجمع أبخرة الجلـــد ويكثفهـــا في الـــسحب الكثيفة. لو أن هذه المياه انسكبت على الأرض بغير قيد، فلا بد مـــن طوفـــان غامر مهلك. لذلك هو يصر تلك المياه أو يقيدها في ســـحب، ثم يرســـلها في قطرات لطيفة بحسب مشيئته، وبقدر ما يعوز الأرض الظامئة.

وهناك خلف تلك السحب يقوم كرسيه، بعيداً بعيداً عن مدى أبصارنا "السحاب والضباب حوله، العدل والحق قاعدة كرسيه" (مزمور٩٧: ٢). لكن الإنسان بكل معارفه ومهارته يستعصى عليه أن ينفذ من خلال تلك الـــسحب ليرى ذاك الجالس على كرسيه. لكن الإيمان وحده هو الذي يـــشاهده هنـــاك. يرى وجه ذاك الذي يركب لكي يغلب.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"رسم على وجه المياه" أو "أحاط المياه بحدود" وهذه هي ميـــاه الأرض "البحر الكبير الواسع الأطراف" الذي لا تقوى أمواجه المتكبرة على أن يجتـــاز نطاق القيود والحدود المعنيّة. "وضعت لها تخوماً لا تتعداه، لا ترجـــع لتغطـــي الأرض" (مزمور١٠٤) "عند اتصال النور بالظلمة" أو "عند الحدود بين النـــور والظلمة" وهي حدود ممعنة في البعد، لا يميزها إلا حيث يتداخل النور في الظلمة "من حافة الأفق المعتمة". وهذه الترجمة تعطي معنى أجمل وأكثر مناســـبة مـــن التراجم التي بأيدينا.

(ع١١-١٢) الأرض والبحر.

الأرض بجبالها الشامخة، والتي تبدو وكأنها تلامس الـــسماء "كأعمـــدة للسماوات" ترجف تحت كلمة القوى. "بقوته يقسم البحر"(*) وبفهمه يطعـــن رهب المتكبرة".

(*) هذا العدد، وكذلك في ترجمة داربي، أي تقسيم أو إثارة البحر، ينطوي على إشارة لضرب مصر وإزعاج أي إثارة البحر الأحمر. "أنا الرب إلهك مزعج (أو مقسم) البحر فتعج لججه" ٠اشعياء٥١: ١٥) وكذلك "الزاجر البحر" (ارميا٣١: ٣٥). لكن اللفظ عينه يترجم في (ارميا٤٧: ٦) هكذا "يستريح" وهذا يضفي معنى واضحاً لهذه الفصول جميعاً. فإذا كان سفر أيوب يعد كتابات أيام ما بعد سليمان فإن الإشارة إلى عبور البحر تكون طبيعية، أما إذا احتفظنا بفكرة أنه مكتوب في عهد الآباء فمن العسير التفكير في هذه الإشارة – لأن التنبؤ غير محتمل – خاصة وأن السفر يخلو من أمثال هذه التلميحات. إذن فالفكرة العامة محفوظة وهي التي تعطي معنى واضحاً "بقوته يهدئ البحر ويفهمه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع١٣) نصرته في الجو.

إن العدد الثالث عشر أكثر عُسراً من العدد السابق. ففي الترجمة العربية نقرأ "بنفخته. السماوات ويداه أبدأتا الحية الهاربة"

وفي إحدى التراجم الإنجليزية جاء العدد هكــذا "بروحــه قــد زيّــن السماوات، يداه أبدأتا الحية الهاربة". وترجمة أخرى تقول "بنفخته الــسماوات مبتهجة" وهو لفظ يقارب اللفظ العربي "مسفرة" أي مضيئة، "مبهجة" "يــده أبدعت التنين المتشرد، غير أن اللفظ الأكثر وضوحاً للفعل الأصــلي المتــرجم "أبدأ" أو "أبدع" هو "جرح، طعن". وهذا يتفق مع (اشــعياء٢٧: ١) حيــث الفكرة تطوي العددين١٢، ١٣، إذن فالرابطة توحي بتقويض العــدو. هــدم العدو – الشيطان، تجسيد الكبرياء "التنين الحية الذي هو إبلــيس الــشيطان" (رؤيا٢٠: ٢). وهذا قد يتفق، من حيث المفهوم الوحي، مع أقوال بلدد "هــو صانع السلام في أعاليه" (ص٢٥: ٢).

ونستطيع أن نقول، من الجهة الأخرى (كما البعض) إن هذا كله يمكــن تطبيقه على قوة الله الخالقة. فهو قد رصّع أو زيّن أو جمّل السماوات، ويــداه

يضرب المتكبر" ولاحظ أن "رهب" هو الاسم الشعري لمصر. وليس رهب المذكورة في يشوع فهي من كلمة أخرى ونفهم معناها من القرينة (انظر اشعياء٥١: ٩).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أبدعتا أو كوّنتا الحية الملتوية (مجموعة Snake) التي تتلوى حول الأجواء الشمالية. وعلى ضوء المعلومات الغالية التي يزخر بها سفر أيوب، تبدو هذه القراءة، مقبولة، متقنة الأداء

وبقليل آخر نشير إليه – من قبيل الدقة فقط – لنرفضه. يقول البعض إن هذه الحية الملتوية (مجموعة Snake) تحاول أن تكشف ضوء الشمس وذلك بمحاولة منها أن تتلوى أو تلتف حولها. والله يعمل باستمرار على تقييدها، ويحملها على تخفيف قبضتها، فتهرب الحية، الأمر الذي ينتج عنه أن تعود السماوات إلى الإشراق ببهائها!! وهل نتصور أن أيوب يستخدم هذه الخرافة ليعبر بها عن عظمة الله بأسلوب غاية في الجمال والصدق؟

إذن فقد انجلى المفهوم العام: إن الله مطلق السلطان في السماء كما على الأرض، يخلق، يسيطر، يخلّص. ومن الزاوية الروحية سوف يقلب كل ما من شأنه إفساد خليقته الجميلة التي تعلن مجده. وسنجد أن هذا سيتفق مع الإصحاحات الأخيرة من السفر، حيث يعلن الله بنفسه قوته الخالقة، وضبطه لعناصر الكبرياء العدائية (ص٣٨-٤١).

(ع١٤) وهناك أكثر.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

على أن أيوب في نظرته الكاسحة يتوقف عند السماء والأرض. وبعد كل الذي قيل، هوذا النصف لم يخبر به فهذه ليست سوى "أطراف طرقه" – أطراف سيادته العظيمة العريضة. ولكن "ما اختص الكلام الذي نسمعه منه"– أي أن ما نسمعه عنها ليس إلا همساً خفيضاً. أو "ما أقل الجزء الذي نسمعه منه". اجل، فما أقل ما نعلم عن عظمته! نحن إنما نلتقط همسات من قوته في كل نسمة عابرة، ونرى حصته من حكمته في كل نبتة رقيقة أو قطرة ندى: والطبيعة كلها – لو فهمنا- تتمايل وتترنح بما تحمل من شهادة. ويااله يوماً، حين نتطلع إلى المعرفة عيناً لعين. يوم تتوافق إيقاعات جلال الطبيعة مع أنغام النعمة الشجية ويخبر الكل بأمجاد خالقها، الخروف المذبوح "يوم استمع إلى تسبيحات السماء، داوية كالرعد في أذني" "صاخبة كصوت مياه كثيرة، حلوة كتنغيم القيثار" "يوم ذاك سأعرف يا سيدي، وليس قبل ذاك، سأعرف كم أنا مدين".

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح السادس والعشرون

ص	ع	الكلمة	معناها
٢٦ :	٥	الأخيلة	الخيال – الطيف.
٢٦ :	٧	الشمال	المراد الريح الشمالية.
٢٦ :	١٢	رهب	ص ٩: ١٢.
٢٦ :	١٣	مسفرة	مضيئة، ومشرقة، ومجلية.
٢٦ :	١٤	جبروت	العظمة والجلال والقدرة والسلطة.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح السابع والعشرون

أولاً: توكيد الاستقامة والكمال، بالمباينة مع الشرير وقضائه.

كان يلزم لأيوب ستة إصحاحات ليقيم فيها بره الذاتي. هذا كثير وليس كافياً في نفس الوقت. ولو كان أطال الكلام أكثر من ذلك فما كان يكفي لأنه لا يمكن أن يتوازن كل ما يأتي من الإنسان مع البر الإلهي، ولكن البر الإلهي قد تم بالفعل ولا علاقة له بالمجهود الذاتي – ولنلاحظ أن تبرير الذات قاد أيوب إلى اتهام الله بالظلم وبضربه بلا سبب (قارن ص٤٠: ٣).

وزيادة على ذلك يوجه صراحة اللوم للقدير الذي نزع حقه وأمرّ نفسه (ع٢). وفي (ع٦) يقول بكبرياء "تمسكت ببري ولا أرخيه. قلبي لا يعير يوماً من أيامي". ولن ما هو جواب الله على ذلك؟ "إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا" (١يوحنا١: ٨).

وإن كان قلبنا لا يلومنا على شيء؟ فهذا لا يعني أننا بلا خطية. إنّ الله أكثر حساسية من ضمائرنا بما لا يقاس (١كورنثوس٤: ٤). قد تبدو ملابسنا

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نظيفة في الظلام بينما في ملء ضوء الشمس (نور محضر الله) فإن اقل واصغر بقعة تبدو ظاهرة بوضوح.

مع أنّ هذا الإصحاح يؤلف جزءاً من المناجاة، فهو وثيق الصلة برد أيوب على بلدد. ونستطيع أن نعده موجهاً لأصحابه كمجموع لتخليص الخصومة.

يبدو أنّ هذا القسم ينقصه التعادل، ويرى البعض انه كذلك يعوزه الانسجام والتوافق مع ما قاله أيوب قبلاً. تبرير الذات شيء مألوف، لكنه عندما يبدأ في وصف خلق الأشرار وقضاءهم المحتوم، نتصور أنّ واحداً من الثلاثة الأصحاب هو المتكلم والواقع أن الجزء الأخير من الإصحاح محسوب – في رأي البعض– كخطاب ثالث من صوفر، كان قد سقط من مكانه وادخل في هذا الحيّز إلى جانب (ص٢٨). كردٍّ من أيوب. على أنه ليس هنالك اقل إشارة على مثل هذا الاضطراب في النص إنما هي نظرية ينادي البعض بها لكي يتفادوا الاصطدام مزعومة، صعوبة وجدت حلها في دراسة الإصحاح ذاته.

* * *

ينقسم هذا الإصحاح إلى أربعة أجزاء رئيسية:

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع١-٧) أيوب يتمسك ببره.

(ع٨-١٢) مباينة مع صفات الشرير.

(ع١٣-١٨) قضاء محقق للفجار.

(ع١٩-٢٣) الفاجر مطرود في شرّه.

(ع١-٧) أيوب يتمسك ببره.

"وعاد أيوب ينطق بمثله فقال. حي هو الله الذي نزع حقي والقدير الذي أمرّ نفسي. إنه مادامت نسمتي فيّ ونفخة الله في أنفي لن تتكلم شفتاي إثماً ولا يلفظ لساني بغش".

إن أيوب لا يزال يصر على أن كل تخيلاتهم خاطئة. وهو الآن يقر بإصرار أكثر من ذي قبل. فالعبارة نوع من الحلف المقدس وكأنه يحلف بالله الحي أن ما يقوله صحيح.

"حاشا لي أن أبرركم" إنه الآن يتحول إليهم قائلاً إنهم هم المذنبون وليس هو "حتى أُسلم الروح لا اعزل كمال عني. تمسكت ببري ولا أرخيه. قلبي لا يعير يوماً من أيامي".

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وذلك بعكس ما كانوا يقولونه إذ ينسبون إليه الخطأ الشنيع في كل ما نطقوا به من أحاديث.

"ليكن عدوي كالشرير ومعاندي كفاعل الشر".... ومعنى هذا أن أيوب يقول لهم إنكم انتم الذين تعملون عمل الأشرار دون أن تعلموا، وأنتم الأشرار وليس أنا.... "لأنه ما هو رجاء الفاجر (أو المرائي) عندما يقطعه. عندما يسلب الله نفسه".

ومن ذلك يتضح أن أيوب كان يمقت الرياء أكثر مما كانوا يمقتونه. "أفيسمع الله صراخه إذا جاء عليه ضيق؟" وهكذا يستمر أيوب موضحاً هذه العبارة إلى آخر الإصحاح "أم يتلذذ بالقدير" هذا ما كان يفعله أيوب.

"هل يدعو الله في كل حين؟" إن أيوب كان يدعو الله حتى وهو في وسط هذه الضيقة الفظيعة.

هنا يعلن أيوب أنه لن يستسلم لاتهامات أصحابه الظالمة. وبجرأة يقرر أن الله نزع حقه، أي أنه تصرف معه بغير عدالة، جلب المرارة إلى نفس من لا يستحقها!.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

للعدد الثالث عدة أوضاع ترجمية. فوضع يظهر لنا أيوب كمن يقول أنه مادام فيه نفس يتردد فإنه يصر على التمسك ببره. غير أن كثيرين يرون أن هذا العدد تفسير اعتراض، وهم يضعونه هكذا "حي هو الله ....فإن نسمتي لا تزال فيّ...الخ" أي أنه في كامل وعيه. يتحدث الصدق في صحو كما يعتقد. ومثل هذا الأداء والتفسير يتفقان على ما يبدو مع الأصل.

إنه لا يسمح لنفسه أن يحتمل الشهادة الباطلة، وحتى إلى الموت سوف يتمسك بكماله. قلبه لا يدينه، وإذ يراجع ماضي حياته فلا يجد يوماً واحداً يترك في سجلاته أساساً للتعبير "قلبي لا يعير يوماً من أيامي" وينبغي أن نأخذ هذا على أنه تصريح متزن لشخص عاش بكل ضمير صالح. لكنه قول لا يخلو من نغمة البر الذاتي الذي لا يتفق مع معرفة حقيقة النفس في حضرة الله. وأيوب ليس في تلك الحضرة بعد. إنما هي صرخة من نفس أمينة لا ترى النور تماماً. أليس هناك شيء من الظلم؟. هو في عدوه، لا في شخصه. لذلك نرى أن أيوب يتكلم كما بين إنسان وإنسان.

(ع٨-١٢) مباينة مع صفات الشرير.

هنا يتحول أيوب إلى نهاية الأشرار. أي رجاء للفاجر الشرير عندما يقطعه الله ويسلب نفسه؟ ما نهاية الإنسان الذي يخاطبه الله بالقول "يا غبي،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذه الليلة تطلب نفسك منك؟" هل يسمع الله صراخه وقد جاء متأخراً؟ أو لم يحذرهم الله التحذير الكافي "أنا أيضاً أضحك عند بليتهم. أشمت عند مجيء خوفهم" (امثال١: ٢٦) هل ضاع الوقت للصراخ إلى الله عندما نؤجل الفرص الحاضرة إلى أن "نحصل على وقت". والوقت لن يجيء؟.

يسألهم أيوب: أليس هذا غاية في الوضوح؟ ألا يعرفون طرق الرب؟ فلماذا يستغرقون في مثل هذه الأفكار الغبية الخاطئة التي عبّروا عنها، ويتهمونه (وهو الرجل الذي يعرفون مدى استقامته، والذي يدرك حقيقة كماله) بأنه مطبوع بمثل الخلق الذي يصفه؟.

وهنا نصل إلى تفسير التغيير الواضح الذي طرأ على اتجاه أيوب. حتى الآن كان يقاوم أصحابه في جدلهم بشأن الأشرار لأنهم ضمنوه تلك الأوصاف التي تحدثوا عنها. وهو الآن يستخدم الأسلوب عينه ليبين كيف أنه يستحيل الخلط بين واحد مثله وبين الأشرار الذين يضمونه بينهم.

إن ردّه يصبح هكذا فعّالاً على اتهاماتهم. فقد تناول فيه كثيراً من الاستثناءات في معاملة الله مع الأشرار. لأن أصحابه أساءوا استغلال هذه المعاملات على أن قوة أقواله سوف تتجلى في الجزء التالي.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع١٣-١٨) قضاء محقق للفجار.

هنا يتناول القضاء المرعب الذي لا مهرب للفجار منــه، وفي أســلوب يتساوى مع أسلوب أصحابه يخبرهم كيف أهم سيؤخذون آخر المطاف.

"هذا نصيب الإنسان الشرير من عند الله". لقد حصّل ثـــروة وملـــذات وكرامة من أيدي الناس، ولكن الميراث الذي يحصلون عليه من القـــدير الـــذي امتهنوه. هل تضاعف بنوهم؟ للسيف المهلك قد تركوا، هـــل عاشـــوا يومـــاً مرفهين؟ سيفتقرون إلى الطعام، والذين يستخلفوهم يبتلعهم المـــوت، دون أن يندهم المحبون "كهنته سقطوا بالسيف وأرامله لم يبكين" (مزمور٧٨: ٦٤).

هكذا يتناول أيوب نوعاً من الحزن يشبه من بعض الوجوه الحزن الـــذي يعانيه، ولكنه كم يختلف. فهو أيضاً قد حرم من بنيه، لكن هل كان ذلك تحت غضب الله العقابي، الجزائي؟ وهل تصرّف أولئك الأشرار الذين يصفهم هنـــا؟ هم قد يكتنزون الفضة والثروة كالتراب، إنما لكي يستمتع به الأشرار "ثـــروة الخاطئ تذخر للصديق".

فهل كان الأمر هكذا مع أيوب؟ عل فاز الصديق بالثروة التي كانت بين يديه مرة؟ إن مساكن الفجار الفخمة، سوف تتحطم مثل بيت العث الـــسريع

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الزوال: يتحطم إلى لا شيء، أو يكون مثل مظلة الحارس العابرة الوقتية "كخيمة في مقثأة" إن كلام أيوب هكذا عنه واثبات عظمة هذا العالم يكشف لنا أنه كان يحس بمبلغ ما يختلف به ميراثه الذي حصلّه. فليفسد الدود والصدأ، أما هو فيبدو أنه يقول أنه يعلم قيمة ما لديه، من مال أفضل وباقٍ.

(ع١٩-٢٣) الفاجر مطرود في شره.

يستطرد أيوب وصفه الخطير لمسلك الأشرار حتى النهاية. فالغني يضطجع، غير متحقق أنها الضجعة الأخيرة. يضطجع في استرخاء عادي مألوف، ويفتح عينيه على يوم جديد، لكن لا ليواصل أعماله القديمة ومسراته. إنما يفتح عينيه لكي يمضي. تلك العينان اللتان طالما أغلقتا دون كل ما شهد به الله، سوف تنفتحان على عالم آخر "رفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب"!.

والأهوال التي طالما استبعدها وأقصاها عن ذاكرته كلما كان يتحدث صوت الضمير محذراً، تنهال عليه، وكما في زوبعة تختطفه ليلاً. يحطه الله، ويبتهج الناس أنه زال من عيوهم ظالم ومعتنف.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هكذا يصف أيوب في هدوء نهاية يعلم أنها ليست نهايته هو مـــا علـــة الفارق؟ أليس هو الإيمان الذي في وسط كل ضيقة تمسك بالله. الإله الذي عرفه قليلاً، الذي تحت إذلاله قد نضج.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح السابع والعشرون

ص		ع	الكلمة	معناها
٢٧	:	٦	يعبّر	يقبّح، يعيّب.
٢٧	:	١٥	الموتان	موت يقع في الماشية.
٢٧	:	١٨	الناطور	حافظ الكرم – الحارس.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الثامن والعشرون

ثانياً: الحكمة التي تفوق كل تقويم.

يستطرد أيوب في مناجاته فيحدّثنا في الإصحاح السالف عن قضاء الغنى الفاجر ليقيم مباينة بين هذا النوع من الغنى وبين الغنى الحقيقي الذي لن يضيع. وصلة الارتباط واضحة، والانتقال طبيعي وملفت.

فالجزء الاستهلالي من إصحاحنا هذا الثامن والعشرين يصف الجهد والاهتمام اللذين يدفعان الناس للسعي وراء الذهب الذي طالما لم يستجلب سوى الخصومة واللعنة تنصبّان عليه. ثم ينتقل إلى الغنى الحقيقي - الحكمة! أين توجد؟. البحث عنها في الأرض والبحر هباء، كلا ولا ثروة العالم يمكن أن تعدلها. إذن فأين مكان هذا الكتر الذي لا يقوّم؟ ظلال الموت المعتمة إنما تشهد لوجودها، لكنها لا تخبر كيف ولا أين سبيل الفوز بها. إنما تحصيلها من خلال إعلان الله، فلا في أعماله فحسب، بل في كلمته، يخاطب ضمير الإنسان وقلبه.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

والإصحاح كله جميل ونبيل في أفقه وتعبيره، ينبئنا أن المتكلم يعرف ذلك الشخص المبارك الذي يصفه. وهذا الإصحاح يثبت أن أيوب لن يكون هو الشخص المرائي، الفاجر، الذي أراده أصحابه أن يكونه.

على أن الإصحاح برمته بعيد عن جو الخصومة. أيوب لا يحاول فيه أن يتمسك ببره، بل أنه، ولو مؤقتاً على الأقل ينسى ذاته ويتنسم هواء الحق الذي لم تفسده أنفاس سامة من البر الذاتي وعدم الإيمان ولا يسعنا إلا أن نلمس السمو الأدبي في هذا جميعه.

لقد فهم أيوب شيئاً مهماً وهو أنه من هذه التجربة التي أجازه فيها الرب سيخرج إيمانه كالذهب اللامع من بوتقة الصائغ (ص٢٣: ١٠)، لكن الشيء الذي يجهله هو الشوائب التي عليه أن يتخلص منها "يوجد للفضة معدن وموضع للذهب حيث يمحصونه" (ع١ أنظر أيضاً زكريا ١٣: ٩، ملاخى ٣: ٣). هذا الموضع هو بوتقة التجربة والالآم! إن الرب كالصائغ الحكيم يعرف مقدار قوة النار ومدها لتنقية فضته وذهبه أي مفدييه الأعزاء. والجواهرجي يعرف شدة ضربات الأزميل التي يجب أن ينزلها على الأحجار الكريمة لكي تلمع جيداً. إن الإنسان في إمكانه أن يصنع أعمالاً عظيمة: قناطر، وأنفاق وطرق... الخ.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ويستخرج من الأرض كل ثمين (ع٩-١١) ولكن هناك شيء لا يهتم بالبحث عنه وهو الحكمة بالرغم من أنها أثمن من اللآلئ (ع١٨) أو الجواهر كما يعلن لنا سفر الأمثال الذي يحدثنا عن هذه الحكمة الإلهية (ص٣: ١٥، ٨: ١١). قارن أيضاً التعريف الوارد في (ع٢٨) مع (أمثال ٩: ١٠، مزمور ١١١: ١٠).

*   *   *

ويمكن تقسيم هذا الإصحاح إلى سبعة أجزاء:

(ع١-٦) كنوز الأرض.

(ع٧-١١) الكنوز المخبوءة.

(ع١٢-١٤) لا تعلنها الطبيعة.

(ع١٥-١٩) امتحان قيمتها التي تفوق التقويم.

(ع٢٠-٢٢) خبرها.

(ع٢٣-٢٧) المعلن.

(ع٢٨) الإعلان.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع١-٦) كنوز الأرض.

"لأنه يوجد للفضة معدن وموضع للذهب حيث يمحصونه" إن الذهب لا يوجد في شكل معدن أو عروق كما توجد الفضة، ولكنه يوجد في صورة تختلف عن ذلك كل الاختلاف. فقد يوجد في الغالب في صورة تراب أو سبائك في حين توجد الفضة في عروق كبيرة وغنية.

"الحديد يستخرج من التراب. والحجر يسكب نحاساً (أو النحاس يذاب من الحجر". وهنا بالذات حيث يوجد النحاس. يعطينا أيوب وصفاً عجيباً لعملية التعدين (أو العمل في المناجم) في العصور القديمة فيقول: "قد جعل (الإنسان) للظلمة نهاية وإلى كل طرف هو يفحص" بحثاً وراء هذه المعادن الثمينة -الذهب والفضة وما إليهما "حجر الظلمة وظل الموت". أي أنه يذهب إلى الأعماق بحثاً وراءهما.

"حفر منجماً بعيداً عن السكان. بلا موطئ للقدم متدلين بعيدين عن الناس يتدلدلون" وهو هنا يصف كيف يحفر الناس المناجم وكيف يتدلون إلى أعماق الأرض بعيدين عن الناس "أرض يخرج منها الخبز أسفلها ينقلب كما بالنار، حجارتها هي موضع الياقوت الأزرق" الأحجار الثمينة كالمعادن.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

واضح أن أيوب كان ملماً بجميع عمليات التعدين، سواء من مستودعات شبه جزيرة سيناء الغنية، أو المستودعات الأقرب في أقاليم باشان وسوريا الحجرية. وإنه لعلى علم بمبلغ الجهد والصعاب في طريق البحث عن كنوز الأرض هذه، "الذهب الفاني". كل ذلك معلومات ومعارف يحصلها الإنسان الذي لا يضّن بجهد ولا يبالي خطراً في كسب تلك المخازن المرموقة.

هنالك منجم للفضة "الجائزة عند التجار" أو "عملة جارية عند التجار" وكم من جهد يُبذل في ذلك المعدن الأبيض اللامع الذي يُستخدم كثيراً في الشرق كوسيلة تبادل. ومن أسف أنه عن هذا الذي هو رمز (فضة الفداء لنفس الإنسان: خروج ٣٠: ١١-١٦، ٣٨: ٢٥-٥٨) قلما يعرف الناس وقلما يُعنون. على أن أيوب لا يتكلم عن هذا.

والذهب كذلك، الذي يمحّص في النار ويصنعون منه زينة جمال وأكاليل ملكية- من أجله يرحل الناس إلى أقاصي الأرض. أما الذهب الحقيقي، بر الله في المسيح، فإن الناس يعاملونه كأن لا قيمة له. والحديد الذي هو ضرورة قصوى في كل مرافق العمل، يجهزونه من تراب الأرض بكثير من الجهود المعقدة الدقيقة. أجل فالإنسان يدأب من أجل هذه الضرورات الأرضية ناسياً الله الذي فيه وحده القوة. أما النحاس بما يقوم فيه من قوة لا تلين ولا تطاوع،

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

فإنه يذاب من حجارته التي يكمن فيها، لكن أحكام الله التي لا تتغير، فالناس لا يقدرونها إلاّ قليلاً.

الإنسان في سعيه وراء هذه الكنوز ينقب في فجوات الأرض المظلمة على ضوء المصباح، جاعلاً للظلمة نهاية وهو يتغلغل إلى الأطراف القاصية في المناجم باحثاً عن "حجارة الظلمة" المحملة بالتبر- الحجارة المخفاة في الظلمة، إن أحشاء الأرض تشبه ظل الموت، وكم قبرت في أغوارها السحيقة رجل المنجم الحديدي، ولا شيء يعيده. لكن الناس يبذلون حياتهم من أجل الذهب. لا يقنعون بتربة الأرض الخصبة التي تخرج خبزاً لحاجة الإنسان، فيمزقونها ويقلبون أعماقها بحثاً، كالنار تحرق وتلتهم. وهذا في رأي المعنى الواضح للعدد الخامس. فالثروة، الذهب، الجواهر، المجد، هذه جميعاً هي ما يسعى إليها الإنسان ومن أجلها هو على استعداد أن يستبدلها بحياته ونفسه. ونظرة إلى تاريخ عمليات التعدين في الأزمنة الحديثة تؤيد كل ما قاله أيوب. ويا للطمع، والشهوة والظلم، التي تسود على تلك المواقع في جبال الشرق الجرداء وفي متجمدات يوكون (Youkon).

مباينة ما أعظمها مع الجهود الهادئة المسالمة في قطف وجمع المحاصيل السخية التي أعدها الله فوق سطح الأرض. وهنا نرى التعليم الرمزي والروحي

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

في غاية الوضوح "إذ لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما" وليس معنى هذا أن هـــذه الأشياء الثمينة خاطئة في ذاتها، أو أن استخدامها بطريقة صحيحة أمـــر غـــير ضروري. غير أن السعي القلق خلفها برهان على قلب الإنـــسان النـــاعس إذ يركض وراء ما لن يشبع به. ولو أنه استغل وأظهر هـــذا الـــشوق العـــارم في البحث عن الغنى الحقيقي، فكم كانت تختلف النتيجة "يا ابـــني... إن رفعـــت صوتك إلى الفهم،.. إن طلبتها كالفضة وبحثت عنها كالكنوز فحينئـــذ تفهـــم مخافة الرب"(أمثال ٢: ١-٥).

(ع٧-١١) الكنوز المخبوءة.

"سبيل لم يعرفه كاسر و لم تبصره عين باشق" إن الطيـــور الكواســـر لا سبيل لها إلى هذه الأعماق. إنها تصعد إلى الأعالي وتطوف كل سطح ولكنها لا تتجاسر على اقتحام المناجم. حيث يهبط الإنسان ولا حتى النسر (باشـــق). إن النسر يمتاز بحدة البصر كما نعرف، ولاسيما فيما يتعلق بالجيف الميتة. فحيـــث الجثة هناك تكون النسور وهكذا جعل الله النسور الكناسين الطبيعـــيين لعـــالم الموت المسكين الذي نعيش فيه.

"و لم تدسه أجراء (جمع جرو) السبع و لم يعده الزائر (أي لم يمر به الأسد المزمجر".

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998−2005, All rights reserved.

"إلى الصوان يمد يده. يقلب الجبال من أصولها ينقر في الصخور سرباً وعينه ترى كل ثمين" فالناس عندهم حاسة فهم دقيقة بكل ما هو ثمين وإن لم يكونوا دائماً على حق فإن عمال المناجم في إنجلترا مثلاً قد ألقوا أحياناً كنفاية أشياء لها في الواقع كل ما كانوا ينشدونه من قيمة، ولكنهم كقاعدة عامة يعرفون كيف يميزون الأشياء ذات القيمة.

إن أحد علماء الكتاب المقدس يربط هذه الأعداد (٧-١١) بالأعداد السابقة رباطاً وثيقاً باعتبارها تنطوي على وصف البحث وراء مستودعات الأرض الثمينة، وجزء منها يتعمق في تفصيلات أدق. غير أن التشابه القائم بين (ع٢١)، العددين (٧، ٨) يوحي بأن أيوب يلمح حتى في مطلع الإصحاح إلى موضوعه الرئيسي - أي الغنى الحقيقي. والعدد (١٢) يؤيد هذا لذلك نحن نقبله.

هناك سبيل آخر غير عمائق الأرض، وغير آكام الجبال الشاهقة- هو سبيل الحكمة. فلقد رأينا أن الإنسان لا يستطيع أن يجدها في دفائن المناجم، وهنا نراها مجهولة من الطيور والوحوش إننا ونحن نرمق النسر صاعداً في الهواء- له العينان اللتان تبصران من بعيد أكثر منا، قد يراود الحنين قلوبنا في أن نحلّق فوق الأرض، ونرى ما لا نستطيع أن نراه هنا.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

غير أن تلك المرتفعات لا تعلن ما ينبغي أن يعرفه الإنسان لكي يكـــون سعيداً. والصحارى المنطلقة، التي يجول فيها الأسد الجبار غير مقيد بالخوف من الإنسان، لا تكشف عن كتر يرنو إليه القلب. والنُسّاك قاطنو البادية، قد فشلوا في الحصول على سلام نفوسهم بأصوامهم وتعذيب أجسادهم.

وإذ يعود أيوب إلى موضوع البحث عن الكتر، يصف ذلك المطلب الغير المجدي حيث يمد يده إلى الصوان (أو الحصى) ويقلب الجبال، فنـــراه يغـــسل ويغربل الحصى والرمال وينسف الجبال الراسخة. يقطع طريقه في العمق، متعقباً متتبعاً عروق المعدن كنهر في مجراه، ينظر بعيون شرهة إلى الكنوز الثمينة البراقة الراقدة هناك. فإذا جرت المياه، يجد الطريقة لتحويلها، حتى يتسنى له أن يتـــابع الثروة المخفاة الراقدة هكذا.

ومرة أخرى نتساءل: لماذا لا يتعب الناس هكذا مـــن أجـــل "الحكمـــة المكتومة"؟ لماذا لا يسعون للتنقيب عنها وهي على غير بعيد منهم، بل لماذا، إذا اقتضت الحال، لا يطرحون بالإيمان جبال الصعاب؟ وإذا كان الاندفاع الغـــامر "لدهر هذا العالم" يود أن يكتنف ويطوي الغنى الحقيقي فلماذا لا يحول النـــاس دونه ويوقفونه، أو يحولونه عنهم لكي يقتنوا لأنفسهم هذا الشيء الذي تـــسمو قيمته على كل ثروة؟ فلا يزال صحيحاً أن "من يطلب يجد" ولـــو أن الطلـــب

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والوجود يختلفان عما يخلفه الجهد من أجل الذهب. إن الحكمة مكتوفة الأيدي، والسبيل إليها مجهول، لأن الله غير معروف والناس لا يصغون إليه تعالى.

(ع١٢-١٤) لا تعلنها الطبيعة.

"أما الحكمة فمن أين توجد" كلا. لا توجد حكمة في هذا كله، وإنما الذات هي الهدف وهي الغاية. فهناك ما يجعل الإنسان غنياً. هناك ما يجلب المال وربما الحياة أيضاً. ولكن، أين توجد الحكمة؟ وأين هو مكان الفهم؟ ليس على الأرض وليس في تلك المناجم المظلمة حيث يترل الإنسان ساعياً وراء مشتهيات قلبه. أين توجد الحكمة؟.

"لا يعرف الإنسان قيمتها ولا توجد في أرض الأحياء". يا له من شيء خطير جداً! الحكمة الحقيقية والفهم الحقيقي لا وجود له على الأرض إطلاقاً! إن الحكمة تأتي من السماء. إنها توجد فقط في المسيح. والمسيح لم يكن قد جاء بعد. والأكثر من هذا، إن رفض المسيح وموته قد أوضحا هذه الحقيقة بأجلى بيان بل زادها إيضاحاً أكثر من ذي قبل.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"الغمر يقول ليست هي فيّ" ففي القمر أو العمق توجد الفضة أو الذهب وأمثالها من المعادن والأحجار الكريمة.." والبحر يقول ليست عندي"

ومع أن الوصية للإنسان أن يطلب، غير أن هذه الحكمة لا توجد في الطبيعة، ولا عن طريق السعي البشري. ومن هنا السؤال: أين توجد الحكمة؟ وأين هو مكان الفهم، حيث يسكن ويقيم؟ الإنسان الزائل المائت لا يعلم، كلا ولا هو يملك ثمن الحصول عليها لأنها لا توجد في أرض الأحياء. فلو أنها كانت في المتناول، لتيسر للبعض الحصول عليها، رجل من الأغنياء كان يمكن أن يدفع ثمنها. لكنها بعيدة عن الإنسان، "فوقي ارتفعت، لا أستطيعها" في أعماق الغمر السحيقة "المياه التي تحت الأرض" يرنّ النداء لطلب الحكمة، ولكن لا جواب سوى "ليست هي فيّ" والبحر الواسع، في كل امتداده واتساعه العريض، لا يضم هذا الكنز الثمين. فالطبيعة في ذاتها أضعف من أن تزودنا بمفتاح بسيط لهذا الحيز السماوي العجيب.

فما هي تلك الحكمة، التي لها هذه القيمة المطلقة، ولا يمكن الوصول إليها؟ سيرد علينا بعد لحظة صاحب الحكمة ومنشؤها، وإنما يكفينا الآن أن نقول إنها معرفة الحق، نقتنيها من الله نفسه، علم لا ينفخ، ولا يفصل عن الله بل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يهب النفس مبدأً حياً من السلام وغبطة الشركة معه. فلا عجب أن يبحث الإنسان بلا جدوى ويتعب من أجل هذا الكنز الثمين.

على أنه متى عُرف الله؟ فالطبيعة حينئذ تتحدث عنه حديثاً طليّاً فالأعماق التحتية وما فوقها تعلن مجده وسلطانه واقتداره. فهو ذا البحر الكبير الواسع الأطراف يتحدث عن عمق حكمته وعنايته وصلاحه. والأرض بعديد أشكال الحياة فيها تحدثنا عنه كمصدر كل حياة، كمن يصونها جميعاً، من أصغر شكل للنبات إلى أرقى الكائنات الروحية. وهو ذا أمامنا مزمور الخليقة العظيم (مزمور ١٠٤): هو يعلن "ما أعظم أعمالك يا رب. كلها بحكمة صنعت ملآنة الأرض من غناك" فكم هو محزن أن نرى أناساً على قدر كبير من سعة المعرفة مزودين بقوى جدلية عميقة- يحلقون في السماوات المجيدة لكنهم يفشلون أن يجدوا الله هناك أو يجدوا الحكمة، يحللون تراب الأرض ولكنهم لا يلاحظون الذي "كاله بالكيل". الحق أن أقوال الرسول تقرر هذه الحقيقة الخطيرة "العالم بالحكمة (أي المعرفة البشرية) لم يعرف الله" (١كورنثوس ١: ٢١).(*) إذاً فكم هو شيء مبارك أن تكون لنا الحكمة الحقيقية "المسيح حكمة الله وقوة الله": لكن نعرفه عن طريق الصليب الذي ألغى كل كبرياء الإنسان

(*) هناك ترجمة دقيقة "لأنه (في حكمة الله) إذ كان العالم بالحكمة- أي المعرفة البشرية لم يعرف الله"

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

وحكمته وبره وأعطانا عوضاً عنها المفتاح لكل حق "غنى المسيح الذي لا يستقصى"

إلى أننا في هذا الذي نقوله لا نتوقع الإعلان المسيحي كاملاً بيد أنه إذ لم يكن أيوب على سعة من الأفق بدرجة كبيرة. فقد كانت لديه. في القليل نواة لما هو عتيد أن يُعلن فيما بعد.

(ع١٥-١٩) امتحان قيمتها التي تفوق التقويم.

في هذا الجزء الذي سنتعرض له الآن. نجد أيوب يتناول الكلام عن شيء له من القيمة ما لا يقوّم بمال، يمتحنه أيوب بكل ما يعده الإنسان كنزاً. فالذهب الخالص والفضة، ولو وُزنا بمعيار كبير، لا يشتريانه. وكذلك ذهب أوفير، والجزع الكريم والياقوت الأزرق "فدية الملك" لا مكان لها هنا. ومرة أخرى يجيء ذكر الذهب جنباً إلى جنب مع البلور اللامع. "ذهب نقي كزجاج شفاف".

والجواهر الجميلة النادرة: المرجان، اللآلئ- ثمن الحكمة يفوق هذه جميعها. وياقوت كوش الأصفر يرى بريقه منطفئاً إلى جانب جوهرة مجد الله المشرقة هذه. فالإنسان ينقّب الطبيعة عبثاً لعله يعثر على شيء يعادل هذه التي

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ثمنها يفوق كل الكنوز الأرضية. ألا ليت الناس يدركون هذا، حتى يجدوا تلك اللؤلؤة الوحيدة ذات القيمة الأبدية. وكل شيء بدونها تافه القدر، بلا قيمة.

فلو ملكنا العالمين، وكل كنز ونعيم

وما ربحنا ذا الأمين، لكان خسرنا عظيم

(ع٢٠-٢٢) خبرها.

"الهلاك والموت يقولان بآذاننا قد سمعنا خبرها" أي نعم، هذا هو عين ما حدث، لقد كان هناك خير وأي خير، عن ذاك الذي هو نفسه الحكمة والذي هو معطي الحكمة للودعاء. إنه بالموت جاءتنا الحكمة ولكنهم لم يعرفوها فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة.

لكن لماذا الكلام عن هذا الشيء الذي كل بحث لا يجدي في العثور عليه، وكل ثروة لا تنفع ثمناً لشرائه؟ سؤال (العدد١٢) يتكرر هنا، ليس من قبيل اليأس في الجواب عليه، بل لكي يتبين الإنسان عدم جدوى المطلب الطبيعي "فمن أين تأتي الحكمة وأين هو مكان الفهم؟" صحيح أن الطبيعة تتحدث عن الحكمة لكنها لا توصلها للإنسان. يقول أحد الشعراء: "النجوم فوقنا صامتة، والقبور من تحت سكوت" على أنه لو كان للشاعر للسمع أذنان

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لاخترقت أذنيه همسة من القبور تقول له عن الحياة الحاضرة ليست كل شيء- إن الحكمة تكمن خلف الزمن "الهلاك والموت يقولان بآذاننا قد سمعنا خبرهـــا" وكم هو صحيح أن أولئك الذين يراجعون نهايتهم الأخيرة، هــــم أقـــرب إلى الحكمة، وعلى استعداد لأن يتقبلوا الإعلان الذي يمنحه الله. هذه هي الحكمـــة النازلة من فوق، مبذولة للمتواضعين.

(ع٢٣-٢٧) المُعلِن.

"الله يفهم طريقها وهو عالم بطريقها. لأنه هو ينظر إلى أقاصي الأرض. تحت كل السماوات يرى. ليجعل للريح وزناً".

لنقف هنا ونتأمل. لقد كان بعد ذلك ببـــضع آلاف مـــن الـــسنين أن اكتشف الإنسان أن للريح وزناً. وهو ما يُعرف بالضغط الجوي ولكن هذه هي الحقيقة الطبيعية لم تدخل في نطاق الفلسفة ولا في حساب الفلاسفة وقتذاك فلم يكونوا يعرفون عنها شيئاً. ولكن ها هو أيوب يتحدث عن وزن الـــريح. بـــل الأكثر من ذلك والأعجب "يعاير المياه بمقياس". حتى إنه بالرغم من كـــل مـــا يحدث فإن البحار والمحيطات لا تتخطى حدودها أبداً. فهناك دورة الماء تسير في طريقها باستمرار تتصاعد مياه في شكل بخار بكميات هائلة وبتـــأثير الـــشمس

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

عليها ترتفع أطنان كثيرة منها كل يوم ولكن هذا كله بحساب قيـــاس معـــين موضوع في فكر الله.

هنا يتحول من الطبيعة إلى مصدرها، إلى أصلها من الخليقة إلى الله. هو- تعالى- يفهم طريق الحكمة، وهو وحده يقدر أن يعلنها للإنسان. ليس فقـــط بوصفه الخالق، بل كالمعلن في شخص ابنه الذي قال بفمه الكريم "أنا هو الطريق والحق والحياة" ومرة قال له المجد "أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال... ليس أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له" هو الذي عيناه اللتان تنظران كل شـــيء تخترقان السماوات، هو الذي يجعل للريح التي لا تُرى وزناً، ويمنح الماء معاييره المقررة، ويرسل المطر اللطيف، ومعه يعطـــي مـــذهباً (أي مـــسلكاً، طريقـــاً) للصواعق. هو رأي الحكمة، بل هو تلك الحكمة.

ولا يسعنا أن نفعل للذكرى، ذلك الفصل المجيد في (أمثال ٨) الذي فيه يعلن أخلاقه وصفاته وقوته ذلك الأقنوم الإلهي، الحكمة الحقيقية. "لمـــا ثبّـــت السماوات كنت هناك أنا. لما رسم دائرة على وجه الغمر، لما أثبت السحب من فوق.. كنت عنده كمن نشأ معه، وكنت كل يوم لذته... ولذاتي مـــع بـــني آدم".

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

(ع٢٨) الإعلان.

"هو ذا مخافة الرب هي الحكمة والحيدان عن الشر هو الفهم". وهذا هو عين الشعور الذي يستولي على النفس عند تجديدها فالإنسان المتجـــدد قـــد لا يعرف شيئاً أكثر من ذلك. فهو يرى كم كان غائصاً في الشر ولكنه الآن قـــد حاد عنه. والتطلع الحقيقي للمسيح كفيل بإحداث هذه النتيجة بعمل روح الله ومخافة الرب. ذلك ما يدوم ويثبت حتى عندما لا تكون النفوس مشغولة بشرها وتتكلم عن مخافة الرب والحيدان عن الشر.

ولكن ذلك ليس الإنجيل تماماً، وهو ليس العلم اليقيني بأن جميع شرنا قد دين في شخص المسيح على الصليب. وإن خطايانا قد محيت محواً كاملاً. وإننـــا قد صرنا أولاداً أبيض من الثلج بدم المسيح أمام الله. ذلك هو الإنجيل، كلمـــة الحق التي بعد قبولها يقبل الإنسان الروح القدس للتمتع بالحق والـــشهادة لـــه. التمتع به أولاً ثم الشهادة له بعد ذلك. ليس التحدث عنه للآخرين أولاً. كلا. ليس هذا هو الشيء الأول كما قد يتصور البعض بعض الأحداث في الإيمـــان. ولكن الشيء الأول هو التمتع بالحق مع شكر الله وحمده في السجود له والتعبد هذا ما نأتي إليه أولاً. وهذا هو تأثير عمل روح الله الحقيقي في النفس. وهـــو يؤدي عادةً إلى نشاط كبير في الخدمة والكرازة للآخرين دون أن يجعل مشغولية

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المؤمن بحاجات الغير أكثر من مشغوليته بالنعمة والحق اللازمين لنفسه طوال الطريق.

ما هي إذن الحكمة الحقيقية؟ ما هي بحسب إعلان الله؟ واضح كل الوضوح إنها ليست مجرد الحق، بل هي الحق مطبقاً على الضمير، الحق الذي يضع الإنسان في مكانه، وبذلك يؤهله ويمكّنه من أن يتقبّل ما يقوله الله. هو ذا مخافة الرب هي الحكمة (الرب أدوناي، الحاكم المطلق والسيد). الحكمة التي معناها الانحناء في خضوع قدام ذاك الذي في حضرته يغطي السرافيم وجوههم، والذي صرخ أشعياء من حضرته قائلاً "ويل لي لأني هلكت". وهذا الخوف ليس هو مجرد فزع وارتعاب، بل توقير، وخضوع، وسجود. هي تشمل التوبة كما تتجلّى في أقوال اللص "أولاً أنت تخاف الله؟" فمعرفة الله هكذا تمهيد لمعرفة رحمته ونعمته. وفيما يتعلق بنا معرفة الإنجيل كاملة، والإعلان المسيحي الذي يصاحبه. هي ليست معرفة عن الله بل الإتيان إليه تعالى، وتعلم نعمته ومحبته. وهذا أكبر من مجرد المعرفة. هو مفتاحها، وهي الحياة الأبدية.

إن استطاعة أيوب للكلام هكذا تبين أنه كانت له هذه الحكمة بدرجة ما، ولذلك لم يكن يوضع في زمرة الأشرار. ولكن ما أضعف ما أدركه عن تلك الحقيقة السامية التي تحدّث عنها غير أنه بعد وقت قليل سوف تقوده مخافة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الرب إلى "الحَيَدَان عن الشر". الحيدان عن قلب شرير، الحيدان عن ذاته. هـــذه هي الحكمة الحقيقية، له ولنا ونستطيع، ولنا هذه الحكمـــة أن نمـــسح الأرض، وننقب في أغوارها السحيقة، ونعبر البحار. ونحلّق في السموات العلى إنما لكي نجد الله ونشاهده في كل مكان.

هذا الطابع الأدبي هو الذي بالذات يميز كلمة الله دون سائر الكتابـــات الأخرى. فهو يتجه صوب ضمير الإنسان، وتنشئ فيه "مخافة الرب"- "خوف الرب" الذي هو "نقي، ثابت إلى الأبد".

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الثامن والعشرين

ص	ع	الكلمة	معناها
٢٨	١	معدن	منبت الجواهر من ذهب وفضة.
٢٨	٣	طرف	الطرف منتهى كل شيء.
٢٨	٤	منجم	معدن.
٢٨	٧	كاسر	العقاب (طائر).
٢٨	٧	باشق	طائر من الطيور الكواسر موصوف بحدة البصر.
٢٨	٨	أجراء	صغار الأسد أو الكلب.
٢٨	٨	يعدو	ص ٩: ٢٥
٢٨	٨	الزائر	الأسد.
٢٨	١٠	سرب	جحر الوحوش. أو قناة تحت الأرض.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

٢٨: ١٤ الغمر الماء الكثير.

٢٨: ١٧ إبريز الذهب الخالص الصافي.

٢٨: ١٨ مرجان صغار اللؤلؤ.

٢٨: ١٨ اللآلئ الجواهر الكريمة (أمثال ٣١: ١٠).

٢٨: ٢٥ يعاير يكيل.

٢٨: ٢٦ رعد هو الصوت الذي يعقب البرق والرب هو الذي يوجهه مجازياً يعتبر أنه

صوت الرب في غضبه.

٢٨: ٢٦ صواعق نار تسقط من السماء في رعد شديد

يقال عنه نار الله (ص ١: ٦) وستر الرعد (مزمور ٨١: ٨) أي السحاب

الذي يستتر به الرب.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح التاسع والعشرون

إحساناته تمدحه

في بداية السفر كلمنا الله باختصار عن حالة أيوب الأولى وفي هذا الإصحاح تكتمل الصورة ولكن في هذه المرة أيوب نفسه هو الذي يصف ذاته.

كل ما يقوله عن أعماله هو صحيح بالتأكيد وهكذا فإن اتهامات صوفر (ص٢٠: ١٩) وأليفاز (ص٢٢: ٦، ٧، ٩) كانت كلها افتراءات (قارن ع ١٢: ١٣). ترى من منا له هذه الأوصاف التي ترضي الله وتحوز احترام الناس؟

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولكن أيوب وهو يصف حالته الأولى يضع قلبه عليها. لم يكن قد تعلّم مثل الرسول أن يكتفي بما هو فيه من ظروف، فكان أيوب قليل الاحتمال للإتضاع والحرمان ويفضّل أن يستفضل (فيلبي ٤: ١١، ١٢)، ويعلن ذلك كثرة استعماله لصيغة المتكلم مثل "أنا" و "نفسي" في هذا الإصحاح حيث تصل إلى حوالي مائة مرة.

وإن كانت كلمات وحروف صغيرة لكنها تكشف عن رأي أيوب العالي عن شخصه وتقديره العظيم لنفسه. إلى هنا كان قد أخفى في قلبه تحت تواضع ظاهري هذا الشعور الذي تفجّر الآن وصار جليّاً. وهذا ما خلّصه الله منه ولكن بعد أن اعترف به.

* **

وينقسم هذا الإصحاح إلى خمسة أجزاء متميزة واضحة:

(ع١-٦) الرخاء في البيت.

(ع٧-١٠) الكرامة في الخارج.

(ع١١-١٧) إحساناته تمتدحه.

(ع١٨-٢٠) انتظار الرخاء المقيم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع٢١-٢٥) معزٍّ للمكروب.

(ع١-٦) الرخاء في البيت

يستهل أيوب حديثه بالقول "يا ليتني كما في الشهور السابقة" والحقيقة إنها دائماً علاقة رديّة عندما يتطلع الإنسان إلى الخلف ويركز انتباهه فيما مضى. أليس لنا أن نتقدم وننمو؟ أيجوز أن تنحصر كل مشغولية أولاد الله في إحسانه العظيم الماضي وكفى؟ لا شك أن كلاً منا قد انتزع انتزاعاً من بين أنياب الشيطان ولكن ما هذا بالمقارنة مع التقدم في معرفة الله والنمو في النعمة نمواً إيجابياً؟

لا شك أن إنقاذنا من الهلاك شيء عظيم للغاية، ولكن أليست معرفة الله أعظم بما يقاس من مجرد عمل النعمة في خلاص الخاطئ المسكين البائس؟ إنه من الجميل أن يتذكر الخاطئ دائماً أمر خلاصه ويشيد به فرحاً، ولكنه من المحزن أن يرجع ببصره إليه كأسمى وأبهج شيء في حياته المسيحية، فذلك يدل على أنه لم يتقدم في حياته إطلاقاً.

وأنه كان دائماً يتطلع إلى ذلك العمل كالإحسان الإلهي الوحيد الذي استحوذ على كل كيانه. ولكن كلا، فالحياة الإلهية هي بكل يقين حياة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

استمتاع متزايد لا يقف عند حد، وقوامها النمو في النعمة وفي معرفة المسيح والله. وهذا الكلام يقصد به المؤمنين المتجددين بطبيعة الحال.

ولكن حتى في حالة أيوب لم يترك الله نفسه بلا شاهد، فإن الله يتلاقى دائماً مع النفوس التي تسير معه بإخلاص. فمن ذا الذي يشك في أن أخنوع سار مع الله، وهل يظن أحد أن أخنوع كان يتطلع إلى أول لمحة أخذها عن الله ويقول إنه عرف الله بهذه اللمحة مهما كانت في ذاتها مجيدة وبهيجة. كلا إن أخنوع كان يسير مع الله متشوقاً باستمرار إلى الاستزادة من معرفته.

إن الكثيرين من المسيحيين للأسف يقفون عند نقطة الخلاص، ويجعلونها المحور الذي يدورون حوله حتى لقد صارت لغتهم لا تخرج عن هذه الدائرة، ولكن ذلك في الواقع يدل على إنهم يجهلون معنى المسيحية وما هو المسيحي الحقيقي؟ إنهم يفكرون فقط في اللحظة التي فيها صاروا مؤمنين مسيحيين. ويبدو أنهم يظنون أن هذا هو الشيء الأعظم في حياتهم.

لا شك أن المسيحي بخلاصه قد عبر الحدود وانتقل من دائرة الظلام والموت إلى دائرة النور والحياة- مجرد عبور للحدود- ولكنه ليس الدخول فيما وراء ذلك من أنوار وأمجاد... فأين الوليمة وأين العيد. أين فرح الآب، أين

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحلة الأولى ومتعلقاتها الأخرى المجيدة؟. كلا. ولكنه كان تالياً للخلاص ويعطينا بصورة رمزية مكان البركة الإيجابي أو "النعمة التي فيها نقيم" في الوقت الحاضر وليس مجرد النعمة التي أنقذتنا في الماضي. أنه مكان النعمة المستديم نتمتع به أكثر فأكثر على قدر نمونا في معرفة الله والحكم على ذواتنا. ولكن هنا بالذات كان فشل أيوب لقد كان معجباً بنفسه، ولذلك هو يتطلع إلى الوراء. ويقول "يا ليتني كما في الشهور السالفة" و لم يدر أن الله كان معترفاً أن يفعل له ما هو أحسن من ذلك بكثير صحيح أن أيوب اجتاز عملية غربلة قاسية جداً ولكن ذلك لخيره، وليس لخيره فقط بل لخيري وخيرك وخير كل المؤمنين الذين استفادوا من هذا السفر النفيس منذ كتابته. فقد قصد الله به أن يكون بركة للجميع. لم يكن المقصود بطبيعة الحال أن يقوم إنسان آخر يجتاز نفس الاختبار بنجاح، فالله قد سرّ واكتفى بما أظهره أيوب من احتمال للتجربة باعتباره بشر كما هو مكتوب "قد سمعتم بصبر أيوب" ولكن في هذا بالذات- أي الصبر- فشل أيوب، فشل حتى أنه أخيراً أظهر الضجر وعدم الصبر حتى مع الله، والسبب لأنه لم يكن بعد الرجل المنكسر انكساراً تاماً وكان لا بد أن تنكشف له ذاته فيعرف حقيقة نفسه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

آه. ما أندر أن يجد الإنسان حتى الآن قديساً من قديسي الله تنطبق عليه هذه الحالة التي يجب أن يكون عليها كل قديس من قديسي الله، ولكن ذلك في الواقع شيء نادر حتى بين المسيحيين "وكالأيام التي حفظني الله فيها. حين أضاء سراجه على رأسي وبنوره سلكت الظلمة. كما كنت في أيام خريفي (أو أيام شبابي)... ولماذا؟ إن هذا الشيء غريب حقاً. "خريفي أو شبابي"- فلا تقدم مع الله في دور نضوجه أو شيخوخته! فيم كان يفكر أيوب وإلام كان يرمي؟.

"والقدير يعد معي وحولي غلماني". ألم يكن القدير معه وهو ينطق بهذه الأقوال؟ ذلك ما لم يره أيوب عندئذ وذلك ما لم يعرفه. "إن من يحبه يؤدبه" ذلك درس من دروس سفر أيوب العظمى لا شك أنه كان تأديباً مريعاً- لدرجة أن جعل الأصحاب الثلاثة يظنون أنه كان عقاباً جزائياً وقصاصاً انتقامياً وإنه كان من المستحيل على أي شخص أن يتحمل مثل هذه الدرجة القصوى من الألم ما لم يكن منافقاً شريراً إلى أقصى حد وما لم يكن قد اقترف إثماً شنيعاً. ومما زاد الأمر شناعةً أن أيوب كان يبدو بحسب الظاهر رجلاً باراً وصالحاً مما جعلهم يظنونه مرائياً كبيراً. وفي هذا كانوا مخطئين غاية الخطأ وقد ترتب على ذلك أنه كان عليهم أن يدركوا أنهم أقل من أيوب، وأنه كان على أيوب أن يصلي من أجلهم حتى لا يموتوا. وهذا ما فعل أيوب في نهاية الأمر.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"إذا غسلت خطواتي باللبن" طبعاً الكلام هنا مجازي. "والصخر سكب لي جداول زيت". ومن هذا ترى أن البترول شيء قديم في هذا العالم.

هي علامة تكاد تكون دائمة، علامة على الشيخوخة أن يضطر الإنسان للرجوع إلى الماضي ملتمساً فيه آثار الرضا الإلهي. وهي عرضة أن تكون مرتبطة بكبرياء الماضي العابر، وبالعزيمة الخائرة في الوقت الحاضر.

ففيما يتصل بأمور الله، نحن نتمتع برضائه الشخصي، وسراجه يضيء علينا الآن، وبركته على ضيقاتنا. والمستقبل متفتح أمامنا حلواً بهيجاً "نفتخر على رجاء مجد الله". وإذا نظرنا إلى الماضي، فإنما إلى النعمة ننظر النعمة التي خلّصتنا وشعارنا المسيحي، شعار كل مسيحي، هو "أمتد إلى ما هو قدام".

فأن بولس صاحب هذا القول، يعده خسارة ذلك الماضي الذي كان يفتخر فيه ماضيه في اليهودية. حتى الخدمة الماضية، والشركة والفرح في المسيح، قد تركت في لفافة الماضي. فإن منّ الأمس لا يصلح لغذاء اليوم. ونور شمعة الأمس إنما هي فتيلة اليوم. لكنّ مسيحياً حاضراً في كل ملئه، لكنّ روحاً حاضراً يسدد بالكلمة حاجتنا، هذان هما الموضوعان الرئيسيان اللذان يشغلان

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

من فكر المؤمن كل حيّز. فأيوب إذاً كان- من الخطوة الأولى- ينـــصرف إلى الاتجاه الخاطئ.

"كما كنت في خريفي". المقصود بالخريف الإشـــارة إلى وقـــت جمـــع الحصاد. وقت النضج الكامل، يوم كان كل شيء ناجحاً من حوله غلمانـــه- أي أولاده- كانوا حوله، كما نرى في الإصحاح الأول. والعدد السادس يبـــيّن لنا أنه كان مترفهاً في وفرة خيراته وموارده.

(ع٧-١٠) الكرامة في الخارج.

"حين كنت أخرج إلى الباب في القرية وأهيئ في الساحة مجلـــسي. رآني الغلمان فاختبأوا والأشياخ قاموا ووقفوا".

كل ذلك كان شيئاً مرضياً جداً لأيوب. ونحن معرضون لأن نفكر نفس التفكير، فالناس يقولون أنه لا يوجد شيء ينجح مثل النجاح ولكنه قول خبيث وبعيد كل البعد عن طريق الله وتفكيره. فهو قول فيه إنكار للحقيقـــة الإلهيـــة وهي أننا الآن في مكان الألم وفي مكان الاحتقار والرفض من أجـــل المـــسيح ولكنه على كل حال قول عالمي وهو أمر يفتخر به العالم ويجد فيه لذّته، فالناس يمدحونك إذا كنت تصنع حسناً لنفسك، أي إذا كنت ناجحاً. تصنع ثـــروة،

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تقيم حفلات وولائم وسهرات سمر وغير ذلك. "العظماء أمسكوا عن الكلام ووضعوا أيديهم على أفواههم".

ومن صفات أيوب الجميلة أنه لم يزعم أنه عظيم أو نبيل و لم يسع لأن يكون من العظماء أو النبلاء، لقد كان كملك في عظمته ونبل أخلاقه، أي ما يجب أن يكون عليه الملك. كان نبيلاً حقاً في صفاته وتصرفاته، وكل ذلك يكون جميلاً وعجيباً لو لم يتحدث عنه أو يفكر فيه لأن هذه هي النقطة المهمة "لا تعرّف شمالك ما تفعله يمينك". ليس معنى أن الناس الآخرين لا يعرفونه ولكن الخطأ هو أن شمالنا تعرف ما تفعله يميننا. أن أننا يجب أن لا نفكر فيه فمهما فعلنا إنما نفعله لله وما هو في الحقيقة إلا إرجاع لفائدة ضئيلة جداً لرأس المال العجيب. رأس المال الروحي الذي أودعه الرب في سلطاننا. أما هنا فالحال لم يكن كذلك. فأيوب كان مسروراً للغاية وكان فخوراً جداً بتفكير الناس فيه.

وبعد ما ألقى نظرة على رخائه الماضي في بيته، يتنقّل بذاكرته من خلال أبوابه، ليأخذ مكانه المرموق بين أصحابه. ومن المؤسف حقاً أن نستمع إلى رجل عظيم بحق، وهو يصف تفوقه على الآخرين.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يومئذ كان الغلمان يختبئون، والأشياخ يقومون ويظلّون وقوفاً حتى يجلس. أو لم يكن هذا الإحساس بعظمته ليغذي فيه الكبرياء التي جعلت سقوطه نوعاً من معادلة الله لابدّ منه؟ لقد كان أمير الأمراء، الشرفاء ران الصمت عليهم في حضوره فهو يصف مكانته بين مستشاري المدينة، حيث كان رئيسهم وزعيمهم.

(ع١١-١٧) إحساناته تمتدحه.

كان أيوب يتطلع إلى ما يمكن أن نسميهم موضوع عطفه ومحبته لأن أيوب كان يضم بين جوانحه عطفاً ومحبة.

"والعين رأت فشهدت لي" وهو يشير إلى الناس الذين أعانهم في شدائدهم وأنقذهم من ضيقاتهم فيقول "لأني أنقذت المسكين المستغيث، واليتيم ولا معين لي". وذلك كان حقاً، فإن الله كان في الواقع مسروراً به، لكنه لم يعرف ذلك أيوب إلاّ بعد التجربة. أما قبل التجربة فكان أيوب مشغولاً بما يقوله الناس عنه وكان مرفوعاً فوق مشغوليات الناس العادية بواسطة ما يلقاه من مظاهر الخضوع والتكريم والإحساس بعطفه الفائق. كل ذلك كان يرفعه ويملأ نفسه بالرضا. وهذا شيء طبيعي جداً ولكنه ليس شيئاً روحياً، وهو ذات الشيء الذي كان الله يحطمه بشدة في أيوب، أكثر جداً مما لو كان الأمر مختصاً

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بإنسان أقل من أيوب ارتباطاً بالله. إن أكبر التجارب هي التي يوقعها الله على أقوى المؤمنين أي الذين يستطيعون أن يحتملوا التجربة. أولئك الذين يعرفون معظم طرقه، هكذا كان الحال مع أيوب.

"بركة الهالك حلّت عليّ وجعلت قلب الأرملة يُسرّ، لبست البر فكساني" ذلك كان صحيحاً للغاية، وقد تطلع إلى لباسه أيضاً وكجبة وعمامة كان عدلي، أي نعم، لقد كان أيوب مسروراً جداً وراضياً بنفسه" كنت عيوناً للعمى وأرجلاً للعرج أب أنا للفقراء، ودعوى لم أعرفها فحصت عنها، هشّمت أضراس الظالم ومن بين أسنانه خطفت الفريسة".

على أن هذه المكانة البارزة لم يكن مردّها إلى الحكمة والكرامة فإن الأذن التي سمعته طوبته. والعين كانت ترمق فيه محسناً رحيباً. وإنها في الحق لصورة جذابة، تفسدها- بكل أسف- كبرياء القصة الشخصية. "ليمدحك الغريب لا فمك". لقد اكتسب أيوب احترام الجميع ومشاعرهم. فكان معواناً لمن لا معين له. ومخبأ لليتامى والأرامل. اكتسى البر كجبة. ربطه على هامته كتاج حقاً، هي أقوال شديدة، نشتّم منها قليلاً من التواضع الذي يليق بنا. لقد كان أيوب مزيجاً من الإنسان "البار" الذي بالجهد يموت لأجله أحد، ومن الإنسان "الصالح" المحسن الذي لأجله ربما يجسر أحد أيضاً أن يموت كان عيوناً

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

للعمى، وأرجلاً للعرج، كان يسعى باجتهاد من أجل دعاوى المعوزين الغامضة، وإلى جانب ذلك كان يوقع العقوبة الصارمة على فاعل الشر: لقد كان حقاً رجلاً مثالياً. أما من جهتنا فلا نفتخرنّ إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح.

(ع١٨-٢٠) انتظار الرخاء المقيم.

"فقلت إني في وكري (أي عُشّي) أسلّم الروح" كلا. إن الله كان مزمعاً أن يقلب ذلك العش الجميل الدافئ المريح. "ومثل السمندل أكثر أياماً (أي حبات الرمل)". آه، إنه الآن يتمنى لو أن الله قصّر أيامه، لأنه كان الطريق الوحيد الذي يراه لإخراجه من كل المتاعب التي كان يجتازها.

"أصلي كان منبسطاً إلى المياه والطل بات على أغصاني كرامتي بقيت حديثة عندي وقوسي تجددت في يدي".

كل هذه الكرامات، إلى جانب إحساناته للآخرين، جعلت الحياة جذابة في عين أيوب. وإذا ما جاءت النهاية، التي كان يباعدها طويلاً، فإنها ستجده هادئاً في "وكره" كان يتمنى أن تطول أيام حياته كعديد من حبات الرمل (كالترجمة الإنجليزية) أو "كالسمندل" أي العنقاء، ذلك العصفور الخرافي الطويل العمر. وهنالك اقتراح آخر يقول أن أيوب يشير إلى النخلة قياساً إلى القول

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"الصديق كالنخلة يزهو". وعلى أية حال فالمعنى واضح، وهو أن أيوب كان يتمنى أن يعيش طويلاً، وبلا توقف، كشجرة مرتوية وهكذا تكون له جدة الطل، وبيت قوسه في شدة.

(ع٢١-٢٥) معزٍّ المكروب.

"لي سمعوا وانتظروا وأنصتوا عند مشورتي، بعد كلامي لم يثنوا. وقولي قطر عليهم وانتظروني مثل المطر وفغروا أفواههم كما للمطر المتأخر. إن ضحكت عليهم لم يصدقوا" أي أنهم كانوا يعتبرون ذلك شيئاً أسمى من أن يكون حقيقياً (ونور وجهي لم يعبسوا. كنت أختار طريقهم وأجلس رأساً (أو رئيساً) وأسكن كملك في جيش، كمن يعزي النائحين" إنه لا يدهشنا أن يكون اليهود أول الناقدين الناكرين لهذا السفر فهم. أي اليهود المتفلسفون- لم يصدقوا أن قصة أيوب حقيقية شأنهم في ذلك شأن سائر النقاد العقليين.

أما إلى أي مدى وجدت هذه القصة طريقها إلى المجمع اليهودي بصفة عامة فهذا ما لا نستطيع أن نقرره على وجه التحقيق سوى إننا نؤمن أنه كان هناك ولا شك أناس بسطاء القلب كانوا يؤمنون بكل كلمة في هذا السفر الإلهي ولكن من أكبر الأسباب التي جعلت اليهود لا يقبلون هذا السفر هو أن أيوب لم يكن يهودياً، إن هذا لا يمكن أن يكون إن جميع الأمم في نظر اليهود

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كلاب- كل شخص ماعدا اليهودي- هذه هي عقيدهم. أما أن يقال عن أيوب الأممي أنه كان من الاستقامة بحيث لم يكن مثله في كل الأرض وهو ما لم يقله الله عن إبراهيم ولا عن اسحق أو يعقوب فهذا ما لا يمكن تصديقه من جهة اليهود. كانوا يعرفون أن الأمر يتعلق بواحد من آباء تلك الأيام ولذلك فإهم رفضوا رفضاً باتاً إمكان تعظيم الله لواحد لم يكن من الجنس المختار ولا من العائلة أو الأمة التي لها المواعيد.

وهنا نسأل ما هو الباعث الحقيقي الذي يجعل الناس كفرة ملحدين أو فلاسفة ناقدين. الجواب هو أهم يفضلون أفكارهم الشخصية عن كلام الله. ذلك هو السر في عدم الإيمان هذا ما يجعل الشخص عديم الإيمان وقد يتطور الأمر فيصير كافراً ملحداً. أو بمعنى آخر إنساناً هالكاً.

يبدو أن هذا الجزء الأخير من الإصحاح يعود إلى عظمته وحكمته. غير أن هنالك قدراً من التطور بالنسبة للتعبيرات السابقة. فعلى صنائع إحساناته- لا على رفقائه المستشارين- كانت تبدو آثار قراراته. فكان القرار الذي يصدره بمثابة الكلمة الأخيرة بالنسبة إليهم، ومع ذلك فلم تكن أقواله كالأحكام القاسية يصدرها قاضي لا يرحم، بل رقيقة مثل قطر الندى وبسمته كانت شعاع من نور تضيء لهم. على أن الفكرة هنا غامضة نوعاً ما.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

هل يقصد أيوب أن يقول أن ابتسامته كانت بركة لهم، أو إنها كانت علامة على رضائه الدائم؟ غير أن الفكرة المألوفة ليست غامضة فإذا كانوا هم في شك أو مشقة فإن ابتسامته كانت طمأنينة لهم، وليس في مقدور أي حزن من جانبهم أن يغيّر ابتهاجه. لقد كان ملكاً بينهم يحملون له من التوقير ما يكاد يقارب حدّ العبادة.

ولكن، أين هو الآن من تلك الكرامة؟ التفكير في وضعه الراهن إنما كان يضاعف تعاسته.

ولن يستطيع ما تخلّف عن تلك المباهج العابرة من رماد، أن يحمل الدفء لقلبه العاني التعيس، إنما ذرات الرماد تغذي لهيب تلك الكبرياء التي تشتعل ويزداد اشتعالها وسط خرائب ماضيها.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح التاسع والعشرين

ص ع الكلمة معناها

٢٩: ٣ سراج يذكر في العهد القديم السراج الذي يحمل النور طبيعياً أو معنوياً. وقال الحكيم أن "سراج الأثمة ينطفئ" (أمثال ٢٤: ٢٠) وقال عن المرأة الفاضلة الحكيمة "سراجها لا ينطفئ في الليل" (أمثال٣١: ١٨).

وفي العهد الجديد يقصد بالسراج المعنى الرمزي أي الشهادة لله. إن الذين هم للرب ينبغي أن تكون شهادتهم ظاهرة ولامعة ولا تختفي تحت إناء أو تحت سرير (لوقا ٨: ١٦، ١١: ٣٣) وعن أورشليم المقدسة يقول إنها لا تحتاج إلى سراج نور أرضي لأن الرب الإله ينير عليهم (رؤيا ٢٢: ٥) وكلمة سراج هي نفسها كلمة مصباح. إن العشر العذارى عندما خرجن لملاقاة العريس أخذن مصابيح لكن المصباح بدون زيت لا يعطي نوراً فهو مثل واضح أن مجرد الاعتراف بالمسيح بدون الحصول على الروح القدس لا قيمة له (متى ٢٥: ١-٨) والزيت لأجل النور نراه أيضاً في منارة زكريا (زكريا ٤) حيث السرج السبعة تزود بالزيت بواسطة سبع أنابيب من زيتونتين- قارن (رؤيا ١١: ٤) في المستقبل سيقيم الرب شهادة مشبهة بزيتونتين ومنارتين.

٢٩: ١٣ الهالك المراد الجائع والفقير.

٢٩: ١٨ وكر عش الطائر.

٢٩: ١٨ السمندل طائر يعيش بالهند. وقيل الرمل.

٢٩: ١٩ أصلي أصل الشيء أسفله.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٢٩: ٢٠ قوس المراد هنا القوة (تكوين ٩: ١٣).

الإصحاح الثلاثون

هوان الحاضر

يا للمباينة بين هذا الإصحاح والإصحاح السابق! إن أيوب الذي كان مغموراً بالكرامة ويتمتع بشعبية كبيرة. يجد نفسه فجأة محتقراً ومداساً بالأقدام، إن العالم مرائي وخائن.

والمؤمنون الذين كانوا يظنون أن في استطاعتهم منحه ثقتهم عاجلاً أو آجلاً هذا الاختبار المؤلم. القلب البشري يجد سروره في بلايا الآخرين. ألم يبتهج بمكر بإتضاع الرب يسوع؟ (قارن ع٩ مع مزمور ٦٩: ١٢). إن بركات أيوب الأرضية بادت هكذا. أما بركات المؤمن فهي على العكس "روحية في السماويات في المسيح" (أفسس ١: ٣). ولا يمكن للشيطان ولا للعالم ولا الموت نفسه أن تنزعها منه... إن أيوب الذي كان يظن أن تقواه تعطيه الحق في النجاح، يذهب لدرجة أن يشتكي من الله. هل نحن متأكدون أن هذا لا يحدث لنا أبداً؟.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولأسباب أقل بكثير من أسباب أيوب: "إليك أصرخ فما تستجيب لي" (ع٢٠). هذه كلمات (مزمور ٢٢: ٢) ولكن ما أعظم الفارق بين مرارة أيوب التي تنسب لله مشاعر الجفاء والاضطهاد (ع٢١) وبين خضوع الرب يسوع الكامل إذ لم يتخلى لحظة قط عن ثقته في الله.

ليتأمل أيوب في ماضيه ما شاء له أن يتأمل، فها هو الآن وفي آخر المطاف يُرغم على التحول إلى الحاضر بما ينطوي عليه من مفارقة بائسة.

* * *

هذا الإصحاح يمكن أن ينقسم إلى سبعة أجزاء، وفي دلالة هذا الرقم (٧) نجد فكرة التعاسة التامة، التي تزيد على عظمته السالفة.

(ع١-٨) المستهزئون به التاعسون.

(ع٩-١٢) هو أغنيتهم وأضحوكتهم.

(ع١٣-١٥) اضطهادهم.

(ع١٦-١٩) آلامهم.

(ع٢٠-٢٣) لا عون من الله.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع٢٤-٢٧) نصرة التعاسة.

(ع٢٨-٣١) ويلٌ تام.

(ع١-٨) المستهزئون به التاعسون.

إذ نتقدم إلى هذا الإصحاح نجد قصة مختلفة كل الاختلاف هنا يقول أيوب "وأما الآن فقد ضحك عليّ أصاغري"، ويمكننا أن نتصور كم كان ذلك مؤلماً لرجل كان يعيش إلى حد كبير على شهادة الغير عن أعماله العظيمة وما يظنه الناس فيه من أفكار سامية.

"الذين كنت أستنكف من أن أجعل آباءهم مع كلاب غنمي". آه، يا أيوب كم أنت لاذع في أقوالك. وكم تستطيع أن تضرب بعمق إذا أحسست بأنك مهان! لقد كان يستنكف أن يجعل آباءهم مع كلاب غنمه! فقط لنتأمل في هذا. وهو يعطينا السبب فيقول "قوة أيديهم ما هي أيضاً لي؟" أي ما فائدة قوتهم لي. إن أيوب كان رجلاً عاقلاً وإذا كان عنده عبيد فإنهم كانوا من العبيد الذين يستطيعون أن يؤدوا واجبهم على الوجه الأكمل. ولكن كما يحدث عادةً فإن تعساء العالم وفقراءه المعدمين تجدهم دائماً من الضعف البدني بحيث لا يستطيعون بسهولة أن يؤدوا عملهم اليومي حسناً وكل ما يؤدونه إنما يؤدونه بكيفية تثير كل من ينظر إليهم ولذلك فهو يقول "في العوز والمحل (الجدب)

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مهزولون عارقون اليابسة (البرية) التي هي منذ أمس خراب وخربة الذين يقطعون الملاح (نبات حامضي يأكله الفقراء) عند الشيح وأصول الرتم خبزهم (أي يصنعون خبزهم من جذور نبات الرتم وهو أمر يلجأ إليه الفقراء في أيام القحط والمجاعات) من الوسط (وسط الناس) يطردون يصيحون عليهم كما على لص".

كانوا في منتهى العار والشنار وما كان أيوب ليقبل بحال من الأحوال أن يستخدم واحداً منهم بين عبيده. كان يسّره جداً أن يعطيهم طعاماً إذا كانوا جياعاً. وإذا كانوا في حاجة إلى كساء كان يمنّ عليهم بذلك أيضاً. ولكنه كان يستفظع جداً أن يضحك عليه أمثال هؤلاء الناس أو أن يسخروا من آلامه و لم يكن الأمر قاصراً على ما يفعله أولئك الناس بصفة عامة بل إن الصغار أيضاً كانوا يحاولون أن يعرقلوا خطواته المتداعية المترنّحة لأن باطن قدميه كانت مضروبة بالقروح- من هامة الرأس إلى باطن القدم، ليس فقط كل عصب مضروباً متألماً بل إن الدود ذاته بدأ يأكل فيه وهو لا يزال حياً، من خلال جروحه وأحباطه الكثيرة. إنها كانت حالة مريعة حقاً. ولكن ما هذا بالمقارنة مع الآلام النفسية؟ أيظن أحد أن الرسول بولس لم تكن له آلام نفسية أكثر جداً من آلامه البدنية؟ لقد تألم كثيراً هذا الرسول المغبوط من إخوة كذبة، ولا

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

شك أنه تألم كثيراً من إخوة حقيقيين- وربما كانت آلامه من هـــذه الناحيـــة أكثر من آلامه من ناحية الأخوة الكذبة وإن اختلفت في نوعها.

"للسكن في أودية مرعبة وثقب التراب والصخور بين الشيح (الشجيرات العليق) ينهقون" إنه يأبى أن يقول أهم يتكلمون بل ينهقون كـــالحمير (تحـــت العوسج شجرة الشوك) ينكبّون. "أبناء الحماقة بل أبناء أناس بلا اسم" أي أهم منحدرون من آباء محتقرين مثلهم. "سيطوا من الأرض (أي طردوا مـــن الأرض ضرباً بالسياط".

لقد كانت أقوال أيوب عن عظمته الغابرة، وصفاً على إشفاقه الإحساني من أجل الطريد من البؤساء الذين كان يؤدي لهم حق العـــزاء والتـــشجيع وإذ يتجاوز الماضي إلى الحاضر يبدو أنه بادلهم المواقف. وبدوره يتحـــدث عنـــهم بأسلوب الرثاء ولكن في سخرية عميقة. الكبرياء إذاً هي التي تتحـــدث عنـــهم "الذين كنت أستنكف من أن أجعل آباءهم مع كلاب غنمـــي" لقـــد كـــان أشياخهم تحت احتقاره، والآن يضحك عليه الأحداث، من يـــصغرونه أيامـــاً. والأعداد التالية تصف هؤلاء الأشخاص البؤساء الذين يتعاظمون عليـــه. فهـــم ضعاف، عاجزون، لا نفع منهم- كالشيخوخة العاجزة. إذ هم مهزولون مـــن الجوع فإنهم يقضمون جذوع الغاب ("أصول الرتم") الذي يطلع في البادية التي

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

هي منذ أمس خراب وخرب وقد كفت عن أن تعطي الإنسان طعاماً حقيقيـــاً، وقد صار الملاّح والشيح طعامهم. هؤلاء البؤساء الحقراء هم يسخرون اليوم من ذاك الذي كان يوماً ما عظيماً. وإذ هم مطرودون من بين الناس كلـــصوص، يتخذون مساكنهم في أودية وخفر (ثقب التراب) ينهقون كالبهائم والوحوش. يسكبون عليه تحقيرهم! إنها لصورة مرعبة، تذكرنا بذاك الذي قال مرة بـــروح مغايرة لروح أيوب "أغانيّ شرابي المسكر" (مزمور ٦٩: ١٢). أما أيوب فلسنا نرى فيه تحولاً إلى الله إزاء مثل هذه المعاملة الظالمة. واضـــح أن الطعنـــة الـــتي أصابت كبرياءه. حين سخر منه السوقة الغوغاء، هي أعمق قطعة مـــن آلامـــه الذهنية. لقد وصف من قبل (ص٢٤) أشخاصاً مثل هؤلاء كمثل على النصيب الغير المتعادل الذي يهبط على الناس، ومثّل أيضاً على ظلم الأشرار الناجحين. لكنه في إصحاحنا لا يدافع عن هؤلاء الناس المدوسين، إن نفسه تتلوى تحـــت تحقيرهم. هي صورة للكبرياء محزنة، الكبرياء التي تزداد مرارة وهـــي تنـــاقش وتتأمل في أخطائها.

(ع٩-١٢) هو أغنيتهم وأضحوكتهم.

"أما الآن فصرت أغنيتهم وأصبحت لهم مثلاً... يكرهونني" لنتفكـــر في هذا، إنها أقوال كلها صحيحة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"يكرهونني... يبتعدون عني"... لا يحتملون التطلع إليّ، إلى ما كان يعانيه من ألم مرير. وإلى الأثر المريع الذي كان لكل هذه القروح في جسمه لا يحتملون الاقتراب منه. "وأمام وجهي لم يمسكوا عن البصق لأنه أطلق العنان" وهذا ما كان يؤلم قلب أيوب المسكين أكثر من أي شيء آخر أن الله هو صاحب الأمر في هذا كله. إن أيوب لا يقصد الشيطان بهذه الإشارة. كلا. ليس الشيطان هو صاحب الأمر في هذا الموضوع لأنه أطلق العنان وقهرني.

ليسخر منهم أيوب ما شاء، فها هو ذا يُضطر بدون أن يعترف بأنهم طالما سخروا به، كان أغنيتهم واضح لهم مثلاً. ولا يسعنا إلا أن نقارن عظمته إزاء تعبيراتهم بوداعة ذاك "الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد" وفي خلال حياته على الأرض كان أمام شخصه العزيز خلال رفض الإنسان واقعاً عليه، ولكن أقسى الساعات- "ساعتكم وسلطان الظلمة"- صبّوا كل شتائمهم وتعييراتهم. أما هو، فكمن لا يسمع "بذل ظهره للضاربين وخديّه للناتفين، وجهه عن العار والبصق لم يستر" من ذا القائل هذا؟ ليس إنساناً يندب مجداً غابراً، بل هو ذاك الذي طوعاً واختياراً تخلّى في المحبة عن مجده من أجل أعدائه هو ذاك الذي كان في إمكانه أن يخلّص نفسه في أي وقت شاء من متاعبه، إما أن يطلب من أبيه، أو باستخدام سلطانه الشخصي. لكن

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"كيف تكمل الكتب أنه هكذا ينبغي أن يكون؟ (مــتى ٢٦: ٥٤). وإنــه لا يعوزنا إلا أن نتأمل في مثل هذه الأقوال لكي نتبيّن الفرق، في مباينة أليمة. فقد كان خلال آلامه يحسّ

- كما أعلن مراراً- بيد الله عليه، ويربط هذا بسخرية أولئك الرجــال التافهين الذين استغلوا معاملات الله لكي يطلقوا العنان لعدائهم ضــده "إن الله قد تركه": ألحقوه (أو اضطهدوه) و أمسكوه" "عن اليمين الفروخ" أو "السوقة الغوغاء" "يقومون"— يضغطون على يمناه، يزيحون رجله من موضع وقــوفهم، ويعدون طرقهم الهدامة، طرق البوار، ومرة أخرى لا يسعنا إلاّ أن نلاحظ كيف كان يختلف أيوب عن سيدنا المبارك في ظروف متشابهة.

(ع١٣-١٥) اضطهادهم.

إن السخرية والهزء، اللذين رأيناهما يتضاعفان عنفــاً، ينفجــران الآن في عاصفة من الاضطهاد. فهؤلاء الرجال التافهون العاجزون يتحولون الآن ضــد أيوب في عنف وقسوة. أفسدوا طريقه، ذاك الذي كادت "تترلــق خطواتــه"، أعانوا، أي أسهموا في إسقاطه وهدمه. انفجروا عليه كطوفان يحطّم الجــسور المانعة، يتدحرجون فوقه، وضوضاء وقع أقدامهم تصّم الآذان. "سيول الهــلاك أفزعتني". وكقطيع من الثعالب الترلاء ينقضّون على المسكين المتهاوي، الــذي

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أمحت كما بريح "نعمته" أو "نبالته" "فعبرت كالسحاب سعادتي". هذا شعر في غاية الإبداع. جريء في التشبيه، لكن لا يظهر ذاته كمن هو راضـــي. فـــإن ضعف روحه يتجلّى في انعدام الكرامة، تلك الحالة التي تلازمه وهو في مواقف الأسى. وواضح أن إيمانه في حالة الكسوف، وسيتضح أكثر فيما سيلي.

(ع١٦-١٩) آلامهم.

انهالت عليه نفسه، وصارت أيام الألم نصيبه. ولم تكن الليـــالي لتفـــضل الأيام، لأن الألم الناخر لا يهجع. إذ يعرّي عظامه من لحمه. وثيابه ماذا منـــها؟ لم تصبح بعد زينة، بل لصقت بجسمه الهزيل، كما أن "ياقة قميصه" تكـــشف عن عظم عنقه المسكين. كل ذلك واضح كصورة، وكشيء بغيض المنظر ومع الأسف أن أيوب ينسبه جميعاً إلى الله. فإنه قوته العظيمة هي التي أهزلته ومرّغت كرامته في التراب. طرحه في الوحل وجرّده من كل قيمة، مثل التراب والرمـــاد الذي يجلس فيه هل سمعناه يحدث نفسه في وقت الآلام هذا؟ هل اشترك مع أخ من بعد حين قال "لماذا أنت منحنية يا نفسي، ولماذا تئنين فيّ! أرتجـــي الله لأني بعد أحمده، خلاص وجهي وإلهي" (مزمور ٤٢: ١١). كلا! وعـــوض أن يشدد نفسه بمثل هذه الأقوال، فإنه يتهم صانعه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن أيوب لا يشير إلى أصحابه الثلاثة الآن، وإنما هو يتطلع إلى هذه التجربة الرهيبة التي أصابت جسده وعرّضته لكل هذا الهوان والاحتقار من جانب أحط المخلوقات على وجه الأرض.

(ع٢٠-٢٣) لا عون من الله.

يصرخ إليه تعالى مستنجداً به، ولكن لا جواب من الأعالي. هو يقدم في كل تعاسته قدام الله الذي ينظره ولكن بغير إشفاق. وهذه هي قوة (ع٢٠) فليس هو "فما تنتبه إليّ"فقط، لأن أسلوب النفي غير موجود في الأصل. فالله ينتبه إليه فعلاً. بمعنى النظر إليه وعدم التأثر بويلاته. "تحولت إلى جافٍ من نحوي" آه، لو أن أيوب عرف المحبة اللطيفة التي كان بودّها أن تعفيه من كل آلامه لولا خيره! فهو لم يعلم أن الرب كثير الرحمة ورؤوف". وسيعلم ذلك حينما يرى "عاقبة الرب"– الهدف المستقبل (يعقوب ٥: ١١). أما الآن فهو لا يرى سوى اليد القوية الممتدة لتصنع معه حرباً. هي تلك الريح الصرصر التي رفعت المتألم الهزيل كالعصافة وحملته لكي يذوب ويتلاشى في العاصفة القاتلة ذلك شعر جميل حقاً. لكنه عدم إيمان شقي، فإن أيوب لا يرى أمامه سوى الموت، البيت المعدّ لكل حيّ. ويبدو أن إيمانه يعاني قدراً كبيراً من الكسوف.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أو لسنا نرى علّة ذلك في مشغوليته بذاته التي تلوّن هذين الإصـــحاحين ومـــا بعدهما؟.

(ع٢٤-٢٧) نصرة التعاسة.

لقد اكتملت تعاسته، بحيث فاقت كل تفكير. إن الترجمة العربية، وهـــي قريبة من فكرة أحد أعلام الكتاب المقدس الألمان. واضحة الفكرة: فإن أيـــوب في (ع٢٤) يصف صرخاته. وكأنه يريد أن يقول: أليس من الطبيعي أن يمدّ يده في طلب الاستغاثة؟ "ألا يمد الإنسان يده في الخـــراب، في البليـــة ألا يـــصرخ للمعونة؟" وهذا يتفق مع الأقوال التالية. هو إنما يتساءل عما أظهره للآخرين في زمن ضيقهم. فقد بكى لمن في مشقة، واكتئب على المعـــوزين. وفي العـــددين (٢٦، ٢٧) يلخص تعاسته. ففي نجاحه ورضائه كان يتطلع كل أيام حياته إلى الخير، ولكن عوض ذلك باغته الشقاء. والدجى أحاطه بدلاً من النور المرجّى. وبدلاً من القلب الهانئ المرتاح، كانت أمعاؤه، كان إنسانه الباطن، كرجل من الحزن. "تقدمتني أيام المذلة".

(ع٢٨-٣١) ويلٌ تام.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وأخيراً نصل إلى نهاية النواح والنحيب. آخر المراثي التي تمزق القلـــب. فهو يصوّر نفسه كطريد وحيد في الدجى، رفيق للوحوش والطيور (*) التي تنفر من وجود الإنسان أو تتحاشاه. وكان يتمنى أن يختبئ من وجهها جميعـــاً لأن جلده كان يتساقط عن لحمه المتعفّن (التراجم الإنجليزية تضع (ع٢٠) هكـــذا "اسوّد جلدي وتساقط عني"). وعظامه احترقت وجفت. إن تعاسة مثل هذه لا بدّ أن تؤثر على أغلظ الناس عاطفةً. أفلا ينبغي أن يصغي أصحابه إلى مثل هذا الويل، ويشفقوا؟ لقد أعلن أيوب بصوت داوٍ كل أعماق آلامه وأحزانه فهو ذا عوده قد خلا من كل نغمة إلاّ نغمة النحيب الحزينة ومزمـــاره لا يـــصاحب الراقص، بل انقلب هزيجاً من الألم. هكذا انتهى الانتحاب في ندبة حزينـــة، لا نغمة فيها للإيمان. ألا فشكراً لإلهنا لأن آخر رفع صوته من خلال ظلمة أعمـــق من ظلمة أيوب، ونطق بأقوال اليقين الحلوة "الكأس الـــتي أعطـــاني الآب: ألا أشربها؟" "يا أبتاه في يديك أستودع روحي" إليه، إلى مخلصنا، إلى ســـيدنا، إلى كل شيء لنا نتحول ونتعلم أن نقول في أحزاننا "لتكن مشيئتك" "لأن ضـــيقتنا الخفيفة الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً، ونحن ناظرون لا إلى الأشياء التي ترى بل إلى التي لا تُرى. لأن التي ترى وقتية وأما التي لا تـــرى فأبديـــة" (٢كورنثوس ٤: ١٧، ١٨).

(*) الكاتب يساير الترجمة الإنجليزية التي تضع بدلاً من "النعام" "البومة" وهي طير.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الثلاثين

ص ع	الكلمة	معناها
٣٠: ١	أستنكف	أستكبر.
٣٠: ٣	المحل	ص٥: ٢٢
٣٠: ٣	عارقون	القاطعون الطريق.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣٠: ٤	الملاّح	نبات حامضي يأكله الفقراء.
٣٠: ٤	الشيح	نبات له زهر أصفر ذو رائحة زكية.
٣٠: ٤	الرتم	نبات ينمو في الصحارى ويؤكل جذوره في زمن المجاعة ويصنع من جذوعه الفحم (مزمور ١٢٠: ٤).
٣٠: ٧	ينهقون	ص٦: ٥
٣٠: ٧	العوسج	شجرة الشوك (قضاة ٩: ١٤).
٣٠: ٧	ينكبّون	انكب على أمر فعله لزمه.
٣٠: ٨	الحماقة	التحقير والاستخفاف.
٣٠: ٨	سيطو	ضُربوا بالسياط.
٣٠: ١٠	البسق	البصق.
٣٠: ١١	العناق	الترك حبل اللجام.
٣٠: ١١	الزمام	يقود.
٣٠: ١٢	الفروخ	الفرخ الرجل الذليل الضعيف المطرود.
٣٠: ١٢	العدّة	الاستعداد.
٣٠: ١٢	بوار	كساد- هلاك- اضمحلال- عطب.
٣٠: ١٤	صدع	الشق في شيء صلب.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣٠: ١٤ الهدّة ما يسقط من الحائط.

٣٠: ١٧ عـارقي العظـم إذا أكـل لحمـه- كـأن مـصائبه أنــاس عـارقون عظامه.

٣٠: ١٧ تهجع تنام.

٣٠: ١٨ تنكر تغيّر عن حال تسره إلى حال يكرهها.

٣٠: ١٨ حزمتني ضبطتني.

٣٠: ٢٢ تشوهاً القبيح الشكل- المشوّه.

٣٠: ٢٩ رئال الرأل صغار النعام- ابن سنة.

٣٠: ٢٩ النعام حيوان يأكل الرمـال والجمر ويـذكّر ويؤنّـث ويجمـع بـين الحيوان والطير

وتشتهر النعامة بالغباء.

٣٠: ٣٠ حرش الحرش الخشونة والميل إلى السواد.

٣٠: ٣٠ النكر المصيبة الثقيلة.

٣٠: ٣٠ احترت اشتدت حرارتها.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

© Copyright 1998−2005, All rights reserved.

الإصحاح الحادي والثلاثون

إعلان زكاوته (زكيٌّ أنا)

ها قد وصلنا الآن إلى الجزء الختامي من مناجاة أيوب كان في الجزء الأول قد تناول غابر عظمته وصلاحه، وفي الثاني وازن بينهما وبين حالته الحاضرة التاعسة. وفي كلا الجزأين نجد غذاء الكبرياء، أما في إصحاحنا هذا الأخير من مناجاة أيوب فقد أوفى على القمة، حيث أكّد طهارته، وصلاحه وبره بأكمل أسلوب. على أن الإصحاح يخلو من المرارة التي اتسمت بها ردوده السابقة وهو يتخلص من اتهامات أصحابه، كما هو يخلو أيضاً من الصراخ عبثاً من الظلم الذي توقعه عليه يد الله. وفي سرعة ملحوظة، وبصورة كاملة، نراه يجري مسحاً شاملاً لحياته وخلقه. ويستخلص أو يختم مسحه بأنه يرحب بدعوى الإنسان وقضاء الله.

إننا لا نرتاب في صدق وإخلاص كل ما يقول، بيد أننا نتساءل- وبحق- هل خاتمته خاتمة سعيدة حتى لنفسه؟ لقد أغلق أفواه أصحابه، ويبدو أنه شخصياً قد اقتنع وشبع، ولنفرض أن الله سمح للأمور أن تجري كما سارت، فهل منظر إنسان يبرر نفسه على طول الطريق، منظر يسرّ الخاطر؟. إن الحق

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإلهي، بل المحبة الإلهية، لن تدعه يشتبك في حشائش البر الذاتي هـــذه. فهـــي أقمصة من عند الله، الله الذي لم يعطه أيوب ذرة واحدة من المجد، وما عـــداها ليس سوى "ثوب عدة" من متعلقات التراب والرماد اللذين سيضع أيوب نفسه فيهما بعد قليل وبمعنى آخر، الله ليس في خاطر أيوب إلاّ فيما يتصل ببره الذاتي: أما عظمته، وصلاحه، وقداسته، كموضوعات للـــسجود والبهجـــة: فكلـــها أصبحت نسياً منسياً. وفي ختام الأقوال التي شاء أن ينطق بها، كان أيوب بعيداً عن الله كما كان منذ البداية، بل وأكثر بعداً. وإذا ما ذكرنا أن كل طـــرق الله مع الإنسان إنما غايتها أن تأتي به تعالى قريباً قريباً، حينئذ نكتشف غباء وخطية مسلك أيوب. فلا عجب أن يقتضي الحال أن يسمع أيوب أصـــواتاً أخـــرى، بموضوعات أخرى، قبل أن تصل "عاقبة الرب".

لكن هيا نحاول تحليل هذا الجزء من مناجاة أيوب ونستخلص لأنفـــسنا دروساً رشيدة من هذا السعي الباطل الذي بذله أفضل قومه. والـــدرس هـــو- بكل يقين- "كفوا عن الإنسان".

في (ص٢٩) أفاض أيوب الكلام عن أعماله الصالحة، وهـــو يـــستعرض الآن بتفاصيل، الشر الذي لم يعمله: الدعارة (ع١-١٢)، الظلم (ع١٣-١٥)، الأنانية (ع١٥-٢٣)، الوثنية (ع٢٤-٢٨). ويمكن للإنسان أن يمجّد ذاته بهذه

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الطريقة أو بتلك ناسياً أن الله وحده هو الذي يدفعنا لعمل الخير وهو الذي يحفظنا من عمل الشر، بقي إن كان يحق لأحد أن يستند على أعماله، فبالأولى كان لأيوب هذا الحق. وبولس يكتب نفس الشيء في الرسالة إلى الفيلبيين (ص٣: ٤) ولكنه يضيف القول "لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارةً". إن إمتيازاته الطبيعية كإسرائيلي صالح وبره الماضي كفريّسي ذي ضمير، قد حسبها كلها نفاية وبذلك فلا حاجة لله أن ينزع منه شيئاً كما في حالة أيوب، وبولس بالنعمة وضع جانباً كل ما كان خلاف المسيح نعني الأشياء الصالحة التي يظنها أيوب عن نفسه وعن أعماله الماضية.

وأخيراً في نهاية هذا العرض عن كل استحقاقاته، يضع أيوب توقيعه رسمياً ويتحدى الله أن يجيبه! (ع٣٥).

الموضوعات الرئيسية للإصحاح تتجمع تحت سبعة رؤوس وهي:

(ع١-١٢) تأكيد العفة والاستقامة.

(ع١٣-٢٣) إشفاق في البيت وفي الخارج.

(ع٢٤-٢٨) رفض كل صور الوثنية.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع٢٩-٣٢) الصداقة وكرم الضيافة.

(ع٣٣-٣٤) لا رياء ولا خشية الإنسان.

(ع٣٥-٣٧) تحدي للإنسان ولله.

(ع٣٨-٤٠) أرضه شاهدة له.

(ع١-١٢) تأكيد العفة والاستقامة.

نأتي الآن إلى إصحاح متميّز جداً عن كل من سابقيه ويمثّل استئناف "أيوب الأخير" لله، فهو يوجه الكلام هنا إلى الله أكثر من توجيهه إلى الأصحاب الثلاثة. فقد كان يضرب على وتر الماضي البهيج في إصحاح (٢٩) ثم على وتر الحاضر التعيس في إصحاح (٣٠) والآن يوجّه استئنافه الخطير لله على مسمع منهم جميعاً.

"عهداً قطعت لعيني فكيف أتطلع في عذراء؟ وما هي قسمة الله من فوق؟ ونصيب (أو ميراث) القدير من الأعالي؟" لا شيء على الإطلاق لرجل فاسد. "أليس البوار (أو الخراب) لعامل الشر؟ والنكر (أو المصيبة الثقيلة) لفاعلي الإثم؟ أليس هو ينظر طرقي؟"، لقد كان أيوب رجلاً مؤمناً باراً للغاية. "ويحصي جميع خطواتي؟ إن كنت قد سلكت مع الكذب أو أسرعت رجلي إلى

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الغش. ليزّني في ميزان الحق فيعرف الله كمالي"، كان له ضمير صالح جداً ولكن ذلك لا يكفي فهناك المبدأ العظيم الخاص بالخضوع المطلق لله وتبريره في كل طرقه وأعماله. وإنه محق وحكيم في كل شيء، ليس فقط فيما يفعل بل أيضاً فيما يسمع به، فالكل للخير، قد يبدو الأمر رديئاً جداً من ناحية الآخرين. كما كان الحال من ناحية أصحاب أيوب، ولكن الله كان له مقصد خير في هذا كله.

من الواضح أن أيوب كان رجلاً خالياً من العيب في سلوكه وحتى في حالة قلبه. ففي مطلع هذا الاحتجاج السباعي. الاحتجاج بالطهارة والاستقامة، يتناول أيوب جانباً من خلقه ومسلكه، لم يحاول حتى أصحابه أن يتحدوه بشأنه علناً. فإنه مهما تكن تلميحاهم إلى الشر العام- الانحراف عن الله، قسوة المعاملة مع المعوزين وغيرهم فإهم لم يلمسوا موضوع الطهارة الشخصية.

على أنه كان لا بدّ أن يتبرأ أيوب قدام الناس وقدام الله، فلا مفر من بحث هذا الشق من حياته. وإننا لنراه يقدم على مناقشته في جرأة الإحساس بالطهارة. فعيناه- مدخل القلب- قد أغلقتا عمداً وبكل إصرار: فقد قطع "عهداً" حتى ضد النظرة إلى ما قد يثير العاطفة. وسيدنا الكريم في موعظة الجبل قد بيّن أن الطهارة الجوهرية ينبغي أن تكمن في القلب وليس في مجرد الامتناع

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

أو التعفف في المسلك الخارجي (متى ٥: ٢٧، ٢٨). وفي طريق إثبات طهارته، يعلن أنه كان مسوقاً بخوف الله الذي لا بدّ أن يجازي الأشرار عن خطيتهم. "ومرة قال يوسف يوم هاجمته التجربة كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله". أما داود، ففي ساعة من الركود الروحي، فقد سمح لعينيه أن تجولا، ومن ثمّ سقط. وهكذا كان أيوب يحسّ بأن الله يرقب كل خطوة يخطوها، فطلب أن يمتحنه وأن يزنه في الميزان (ع٥، ٦).

ويبدو أنه يتكلم هنا عن الاستقامة والكمال بصفة عامة. وفي عددين تاليين، غير أنه يعود إلى الموضوع العام الذي بدأ به، ويتناول خطية الزنا ضد القريب (ع٩-١٢). في كل ذلك كان زكياً طاهراً، يهون عليه أن يغتصب بيته إذا كان الأمر غير ما يؤكد. وهنا نجد لمحة عن حياته الأسرية التي تتعادل في القداسة مع حياة اسحق ويوسف وأقدس الآباء.

لكن ينبغي أن نلاحظ البر الذاتي الذي دفع أيوب للحديث هكذا عن نفسه. فقد كان يكسو نفسه بدلاً من أن يعطي المجد لله. من المؤكد أنه في صميمه كان رجلاً صحيح التقوى، **غير أنه ليس من الفخر أن يعلن الإنسان مجده.**

(ع١٣-٢٣) إشفاق في البيت وفي الخارج.

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

هنا يتوسع فيما يتناوله من قبل- الأمر الذي ينكره عليه أصـــحابه- أي إحسانه وعطفه واستقامته. وإذ يبدأ بالبيت الذي لم يكن ترتيبه وتنسيقه سوى نتاج طهارة سيده، الطهارة الدفينة. فإنه يثبت أنه كان يتساوى في كل معاملاته مع عبيده، معترفاً بأن لهم وله الطبيعة الواحدة، والموقف الواحد قدام الله الذي لا يحابي الوجوه. ثم يتقدم إلى الفقراء المعوزين فيقول أن اليتيم والأرملة كانـــا يقاسمانه الطعام، وإنه كان يمنحنهما الدفء بما يعطيهما من ثيـــاب. وخلاصـــة القول: كان أباً لليتامى و إبناً للأرملة، وهنا نجد أنفسنا أمام صـــورة واقعيـــة "للديانة الطاهرة النقية".

وإذ يتحدث عن إحساناته يبيّن كيف إنه لم يستغّل أي حق شرعي ممـــا يمكن أن يبرره إزاء أية معاملة قاسية مع المعوزين. فلما رأى "عونه في البـــاب". أي القضاة الذين على استعداد أن يؤيدوه، ليس كمن يرشوهم، بل تقديراً منهم لمطالبه العادلة. لم يرفع دعوى ضد اليتامى. وإذا كان قد هزّ، أو رفـــع، يـــده عليهم، يقول "لتسقط عضدي من كتفي" إزاء هذا جميعـــه لا يـــسعنا إلا أن نقول: هذا حق وجميل، ولكن لماذا يتكلم عنه؟ لماذا لم يترك مخافة الله تحفظه من هذه الأمور عوض الافتخار بها؟.

(ع٢٤-٢٨) رفض كل صور الوثنية.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"إن كنت قد جعلت الذهب عمدتي" هذا شرك كان يمكن أن يقع فيه "أو قلت للإبريز أنت متكلي. إن كنت قد فرحت إذ كثرت ثروتي". وما أكثر الذين يفعلون هذا. "ولأن يدي وجدت كثيراً...إلخ" فلم تكن ثروته موروثة مجرد ميراث. بل قد اصطنعها بجدّه واجتهاده وبركة الله الخاصة عل عمل يديه. والآن هو يتطلع إلى شيء آخر مختلف كل الاختلاف عن النواحي السابقة فيقول "إن كنت قد نظرت إلى النور (الشمس) حين ضاء أو إلى القمر يسير بالبهاء" أي إن كنت قد نظرت إليهما نظرة تعبدية. وهي أول صورة من صور العبادة الوثنية. إننا لا نقرأ هنا عن آلهة نظير البعل أو عشتاروت أو أي غرض آخر من أغراض الوثنية الباطلة الدنسة التي ظهرت فيما بعد، وإنما عن عمل من أعمال الله الطبيعية في أسمى مظاهرها، ومع ذلك فلم يخشع لها أيوب بأية كيفية. "وغوى قلبي سراً ولثم يدي فمي" أي أقل مظهر من مظاهر الشكر والاعتراف التعبدي بالمخلوق- "فهذا أيضاً إثم يعرض للقضاة لأني أكون قد جحدت الله من فوق".

هذا صحيح ونحن في الواقع نجد هنا تعليماً سامياً للغاية وحقاً من الحقائق الإلهية الثمينة. بعد أن أعلن أيوب إحسانه، ينتقل طبيعياً للحديث عن الثروة ويستنكر محبة الذهب، وهي صفة مألوفة عند الإنسان: صفة "الطمع الذي هو

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

عبادة الأوثان" فلما كثرت ثروته، لم يضع قلبه عليها: الذهب لم يخدعه ولما رفع عينيه إلى السماوات اللامعة لم يعط المجد للشمس خليقة الله، ولا للقمر "ملكة السماوات"، القمر الذي يسير بالبهاء أي في عظمة. كلا ولا طوّح نحوهن قبلة ساجدة، لأن معنى ذلك نكران الله وجحوده، هو يكون إذاً مرائياً، يستحق العقوبة.

(ع٢٩-٣٢) الصداقة وكرم الضيافة.

"إن كنت قد فرحت ببليّة مبغضي أو شمت حين أصابه سوء" هذا شرك كثيراً ما يقع فيه الناس فيفرحون عندما يقع خصومهم في مصيبة أو يشمتون عندما يكتنفهم بليّة "بل لم أدع حنكي يخطئ في طلب نفسه بلعنة إن كان أهل خيمتي لم يقولوا من يأتي بأحد لم يشبع من طعامه؟ غريب لم يبت في الخارج"!.

إن النقطة الحساسة عند أيوب هي عطفه على رفاقه. وهنا يعلن أنه كان باراً حتى بأعدائه. لم يفرح ببليتهم. كلا ولا أراد لهم سراً لعنة لحياتهم. وله في أهل بيته شهود في جانبه. فهل منهم من يقول أنه يعرف جائعاً لم يشبع من طعامه؟ غريب ترك ليبيت في الشارع إلى جوار بيته؟ أبوابه كانت مفتوحة لهم.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع٣٣-٣٤) لا رياء ولا خشية الإنسان.

"فتحت للمسافر أبوابي إن كنت قد كتمت كالناس (كآدم) ذنبي لإخفاء إثمي في حضني" نرى من هذا أن أيوب كان ملماً إلماماً تاماً بقصة سقوط آدم المليئة بالتعليم والفائدة، والعجيب أنه ينظر إليها كما ننظر إليها نحن الآن في ملء نور المسيح. فهنا كانت خطية آدم العظمى بدلاً من التذلل وإخضاع ذاته أمام الله والذهاب لملاقاة الله وإخباره كيف أهان نفسه وأوصلها إلى ذلك الوضع المزري المشين، نراه يختفي من وجه الله ويخبئ نفسه وراء الأشجار. والعجيب أن الملابس التي اصطنعها لتغطية عريه كانت هي أكبر دليل فضحت حاله وأظهرت أنه لم يعد بريئاً كما كان.

هنا يعلن أيوب صراحته التامة. فهو لم يكن ليرهب العظماء، ولم يكن ليضع شيئاً خلف أبواب مغلقة. مما كان لا يود إعلانه. لم يتصرف كما يفعل الناس عادةً، إذ يحجبون خطاياهم عن عيني الإنسان كما يقول "إن كنت قد كتمت كآدم ذنبي" يوم اختبأ من حضرة الله ليخفي عار ذنبه. نعم إن أيوب كان يسلك في النور، حيث استطاع أن يراه الجميع.

(ع٣٥-٣٧) تحدّي للإنسان ولله.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"من لي بمن يسمعني" هنا صيحة أيوب الأخيرة "هو ذا إمضائي ليجبني القدير" إن شوق أيوب أن يسمع صوت الله ويعرف رأيه في القضية "ومن لي بشكوى كتبها خصمي فكنت أحملها على كتفي" إيماناً منه بأنها شكوى باطلة، "كنت أعصبها تاجاً لي" كشيء يشرفه بدلاً مما يشينه. "كنت أخبره بعدد خطواتي وأدنو منه كشريف" والضمير هنا عائد على القدير أو على الخصم.

هو بهذا يصل القمة، فهو عف نظيف، عادل، يخشى الله، لطيف، مخلص. إذاً ما الذي يدعوه أن يخاف؟ ما الذي يخشاه؟ إنه يتحدى الكل: فليت له من يسمعه. إنه يصرخ "هو ذا إمضائي" وكأنه يقصد أن يقول: إنني أوقّع باسمي على قائمة فضائلي "ليجبني القدير من لي بشكوى كتبها خصمي" أو "ليبرز خصمي شكاواه كتابة".

نحن لا نصدق أنه في إمكان أحد أن يتحدى متهميه، إلا أن يكون إنساناً مخلصاً. فإذا كان الله خصمه فليكتب الشكاوى في كتاب! فإن أيوب على استعداد أن يحمل الكتاب على كتفه منتصراً، دليلاً على الكمال، أو كتاجٍ على هامته! كان يلهو به كأمير، شريف!

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولكن لننتظر قليلاً حتى نسمع هذا "الشريف" قائلاً "بـسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني". لقد كانت أفكار أيوب مختلطة، فهو لم يكن ليلتقي بالله كخاطئ بل كإنسان يُحسّ أن "الكلام الأصلي" أو "أصل الأمر" في قلبه. وغلطته أنه خلط بين هذا وبين تفاهته الشخصية وبذلك أفسد فكرة النعمة ذاتها. ومَن مِن بني آدم استطاع أن يقف أمام الله المثلث القداسة ويقول "زكيٌّ أنا"؟ "لن يتبرر قدامك حي".

(ع٣٨-٤٠) أرضه شاهدة له.

أما الخاتمة فتكاد تكون مروّضة لأن أيوب بعد أن اتجه إلى الله وإلى الإنسان، يترل إلى الأرض الجامدة. فهو يتجه إلى أرضه لتشهد بما إذا كان قد استحوذ عليها بغير حق. أو استغل حصيلتها لنفسه وهي تخص غيره إذا كان قد استلب أملاك الآخرين (كما فعل آخاب مع كرم نابوت اليزرعيلي) فلتبك أتلامها شاكية متهمة، ولتنبت تربتها الخصبة شوكاً بدل حنطة، وزواناً عوض الشعير.

ويقول البعض أن أيوب يتجه إلى الأرض لتعلن هل عاملها بغير إشفاق ولذا فهي بحاجة إلى سبت راحة "حينئذ تستوفي الأرض سبوها". لكن المعنى الأول أبسط، "تمت أقوال أيوب" قد دعا الأرض والإنسان، بل ودعا الله،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لإعلان برّه. كان يتمنى أن تتحد هذه الأطراف في الإشادة بحمده. وكم يختلف هذا عن الوقت السعيد حين تنطق الطبيعة كلها بتسابيح الرب الملك "ليجذل الحقل وكل ما فيه لتترنم حينئذ كل أشجار الوعر أمام الرب لأنه جاء، جاء ليدين الأرض" (مزمور ٩٦: ١٢، ١٣). ألا فلنتحول عن مديح أيوب لذاته ولنقدم السجود "للذي أحبنا وقد غسلّنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه. له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين" (رؤيا ١: ٥، ٦).

نعم لقد "تمت أقوال أيوب" والحق إنها كانت أقوالاً هائلة وعجيبة، وما كان ممكناً لأحد أن يأتي بأحسن منها في تبرير ذاته، ولكنها كانت تنم عن خطأ كبير في إدراك سر معاملات الله مع أيوب. ولذلك يظهر في الميدان متحدث آخر. متحدث جديد لم نسمع به من قبل، وهو أمر عجيب ولكنه يعطينا صورة حلوة للعادات والتقاليد البدائية القديمة. فقد كان أليهو شاباً ولذلك فإن سكوته وعدم الإشارة إليه يتفق تماماً وروح التقاليد والعادات القديمة، وهو يبين أنه يدرك ذلك تماماً ويتقبّله كشيء طبيعي لا يشكو منه إطلاقاً. ومع ذلك فإن أليهو كان رجلاً قدّمه الله ليهدم التفاخر بالشيخوخة والاختبار، والملاحظة والتقليد. فهذه الثلاثة.. الاختبار، الملاحظة، التقليد. كانت النواحي التي تمسّك بها الأصحاب الثلاثة على التوالي. فقد كانوا رجالاً

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

متقدمين في الأيام، وكانوا مغترّين فخورين بمراكزهم. كان أليفاز كما نعلم رجلاً يهتم كل الاهتمام بأحكام ومشاعر الرأي العام. الرأي العام بين الناس الأتقياء بلا شك- ولكنه في النهاية لا يخرج عن كونه رأياً بشرياً. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن طرق الله العجيبة وسياسته الثابتة التي لا تتغير إن خبرة الماضي وتقاليده لا يمكن أن تواجه ظروف الحاضر. فقد تحدث نفس الأحداث وتقع ذات الوقائع ولكن اختلاف الزمن والظروف يجعلها مختلفة كل الاختلاف من حيث أثرها وعلاجها وكل ذلك يجب أن يؤخذ في الاعتبار.

فمن هو كفؤ إذاً لهذه الأمور كلها؟ إن كفايتنا هي من الله، وهناك الحاجة القصوى للاعتماد والاتكال الكلي عليه باستمرار فنحن لا نستطيع أن نكوّم الحكمة ونختزنها من التقاليد والاختبارات الماضية لنستعملها في الأمور الإلهية. هذا صحيح وواجب في ميدان العلوم والمعرفة والآداب أو أي شيء آخر من هذا النوع، ولكن لا قيمة له إطلاقاً في الأمور الإلهية. أما صوفر فيبدو أنه كان يثق في نفسه أكثر من ثقته في أي شخص آخر، بينما بلدد كان وسطاً بين الاثنين إذ كان رجلاً يمتاز بقوة الملاحظة والقدرة على التعبير ولكنه مهما كان الأمر فقد فشل ثلاثتهم.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن أقوال أيوب ستصل إلى نهايتها الصحيحة حينما يكون على اســـتعداد أن يقدم الحمد لذاك الجدير وحده بالحمد. ويسّرنا أننا سرنا معاً، مـــع أقـــوال أيوب كما نراها مكتوبة هنا. والآن يبرز في المشهد أليهو.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الحادي والثلاثين

ص ع	الكلمة	معناها
٣١: ١٨	ندباء	النديب- الشريف الذي يتحلّى بالفضائل.
٣١: ٢٢	عضد	غليظ الذراع بين المرفق والكتف.
٣١: ٢٢	قصبة	كل عظمة ذي مخ.
٣١: ٢٤	إبريز	الذهب الخالص الصافي.
٣١: ٢٧	غوى	ضلّ.
٣١: ٢٧	لثم	قبّل: لثم اليد بالفم بعد النظر إلى الشمس أو القمر كان سجوداً وعبادة. ولثم اليد كمظهر من مظاهر العبادة للشمس. في المستقبل عندما يملك المسيح على الأرض سيؤمر الملوك أن يقبّلوا الابن ويسجدوا له لئلا يغضب فيبيدوا (مزمور ٢: ١٢).
٣١: ٣٤	غفيراً	كثيراً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣١: ٣٥ إمضائي علامة في نهاية الكتاب تثبيتاً له.

٣١: ٣٨ أتلام قطعة أرض محروثة.

٣١: ٤٠ زوان نبات يخالط نبات الحنطة وبذاره مؤذية.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الثاني والثلاثون

خواء وخيبة الخصومة

لقد أفرغ أليفاز وبلدد وصوفر كل ما عندهم من أفكار. وأيوب بدوره سكت أيضاً! حينئذ دخل في المشهد شخص جديد وهو أليهو الذي معناه "الله نفسه". وتكلم الروح القدس على لسانه (١ بطرس ٤: ١١). وقد ظهر عجز الإنسان بوضوح، ففي أيوب ظهر عدم القدرة على احتمال التجربة، وفي أصدقائه ظهر بُطل التعزيات البشرية. والآن وقد ظهر بُطل الحكمة الأرضية. يتكلم الحكمة التي من فوق في أليهو (يعقوب ٣: ١٤-١٧) لقد خزي الشيوخ الأربعة أمام هذا الرجل الأصغر منهم سناً. إن أليهو عنده تمييز. وقد انتظر بصبر نهاية الأحاديث السابقة. إن الشبان بصفة خاصة عليهم أن يتعلموا الإصغاء، وفي هذا علامة من علامات الحكمة (يعقوب ١: ١٩).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن معرفة واختبارات الأكبر منهم هي أكبر من معرفتهم واختباراتهم بصفة عامة! وفي هذا أيضاً علامة من علامات الأدب والاحترام- ولكن هذه الاعتبارات لم تمنع أليهو من أن يغضب غضباً مقدساً. لقد مسّ أيوب ورفقائه مجد الله و لم يستطع رجل الله الأمين احتمال ذلك، وليس من حقه أن يتملّق أحداً أو أن يحابي لأحد وهذان خطران قلما نفلت منهما (ع٢١).

هذا القسم تمهيدي بوجه خاص. ولنا أولاً وفي أسلوب نثري ديباجة تفسيرية تقدم أليهو- شبيهة إلى حد ما بالإصحاح الأول والأخير من السفر ويعقب هذه الديباجة تفسير مهذّب يعلل به سكوته الطويل، وتوبيخ ضار للأصحاب من أجل خيبتهم. على أنه مملوء كلاماً. وينبغي أن يتحدث دفاعاً عن كرامة صانعه دفاعاً لا ينقصه الوعي المحقق. وهو يختم ديباجته بأقوال لطيفة لأيوب، مصالحاً إياه، داعياً له بأن يجيب بأي كلام يشاء والقسم كله يؤلف فاتحة مدهشة، تمتزج فيها خصائص التواضع والسخط والتشوق واللطف.

ويمكن تقسيم الإصحاح إلى أربعة أجزاء.

(ع١-٥) مقدمة تفسيرية.

(ع٦-١٠) أسباب سكوته.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع١١-١٣) خيبة الأصحاب.

(ع١٤-٢٢) لا بدّ أن يتكلم.

(ع١-٥) مقدمة تفسيرية.

هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها أليهو. فلا نقرأ عنه بين زمرة أصحابه الذين زاروا أيوب: أليفاز، بلدد، صوفر. ولئن لم نجد أي قول مباشر عن هذا الأمر، فليس من غير المحتمل أن أشخاصاً آخرين بخلاف هؤلاء الأصحاب كانوا قد جاءوا ورحلوا خلال المجادلات. ومهما يكن من أمر فإن أليهو كان طوال الوقت مستمعاً شغوفاً، ولذا فقد كان في مركز يؤهله للكلام عندما سكت الآخرون.

وفي دلالة اسمه مناسبة كبيرة "إلهي هو" فهو لا يتكلم عن نفسه لحساب نفسه، بل عن الله ولحساب الله. ومن هنا فهو رمز لسيدنا الذي كانت غايته الوحيدة أن يتكلم نيابةً عن الآب، "عرّفتهم اسمك" (يوحنا ١٧: ٢٦).

إن كلمة أليهو التي تعني "إلهي هو" يمثل أمام الذهن الروحي صورة الرب يسوع المسيح الذي هو "الكائن على الكل الله المبارك إلى الأبد" (رومية ٩: ٥) "الله ظهر في الجسد، الوسيط الوحيد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح".

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والنقطة التي عندها يظهر أليهو في المشهد تستدعي منّا التفاتاً خاصاً. فقد فشل الأصحاب الثلاثة تمام الفشل عن معالجة أيوب لأن خدمتهم كانـــت ذات وجه واحد، فقد سلطوا عليه كمية كبيرة من الحق ولكن بدون النعمة (ص٢٥: ٤-٦). فقد استطاعوا أن يجرحوا ولكن لم يمكنهم أن يعصبوا لذلك نرى أيوب من حين إلى آخر ينطق بمرارة في نفسه قائلاً "صحيح أنكم أنتم شعب ومعكـــم تموت الحكمة" "أطباء بطّالون كلكم" "معزون متعبون كلكـــم" "حـــتى مـــتى تعذبون نفسي" "تراءفوا أنتم عليّ يا أصحابي".

هذه هي الكلمات التي فاضت بها نفس أيوب تحت تأثير خدمة أصحابه ذات الوجه الواحد ومع أنهم كانوا بلا شك مخلصين وصالحي النيّـــة إلاّ أنـــه كانت تعوزهم النعمة ولذلك لم يستطيعوا أن يخبروا أيوب أين يجد من يبحـــث عنه. لم يستطيعوا أن يعينوا من لا قوة له، ولا أن يشيروا على من لا حكمة له ولا أن يعصبوا الجريح ولا أن يعالجوا المريض. فلهجتهم كانت ناموسية قاســـية وأمثال هؤلاء لا يصلحون لمعالجة الخاطئ المسكين الأثيم. لأنهم يطلبون أن يقف الشخص أمامهم كاملاً بلا عيب ولا جرح ولا وجع. أما إن وجـــدوا هنـــاك جرحاً فحينئذ ينظرون إليه بكل حدة سائلين عن سبب ذلك الجرح، حقاً إنهـــم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أطباء بطّالون وإن وجدوا هناك مصاباً فحينئذ يسألون بكل قساوة عن سـبب ذلك المصاب.

لذلك كان من الطبيعي أن هؤلاء الأصحاب لا يصلون إلى التفاهم مـع أيوب لأهم طلبوا منه ما لا يمكنه تقديمه، وهو كان محتاجاً إلى مـا لم يمكنـهم إعطاؤه له فكانوا يتكلمون معه على أساس غير صحيح وفي الوقـت نفـسه لم يستطيعوا أن يوصلوه إلى الأساس الصحيح لمحاوبتهم فهو كان يبرر نفسه وهذه غلطته وهم كانوا يدينونه وذلك نقصهم ولو أهم تبادلوا مراكزهم معاً لأمكنهم الوصول إلى نتيجة. أما على حالتهم تلك فلم يصلوا إلاّ إلى أخذ ورد بلا نهاية. لأنه لم يرضَ أن يعترف أمامهم بشيء وهم لم يرضوا أن يتسامحوا معه في شيء. وعلى ذلك انقطع كل أمل في التفاهم.

وهنا برز أليهو فكان الرجل الكفء لهذا الموقف. وُجد ومعـه العـلاج الذي يحتاجه أيوب و لم يستطع أصحابه أن يقدموه له. فقد كان هـو الرجـل الذي طلبه أيوب وتمنّى أن يقف أمامه. وها هو قد وقف أمامه في شخص أليهو الذي يرمز لربنا المبارك الذي فيه قد أتت النعمة والحق "الناموس بموسى أعطي أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" وفي هذه الكلمات يظهر بهاء مجد الرب

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يسوع الأدبي ومجد خدمته. فقد أتى بالحق لإظهار حقيقة حال الإنسان وبالنعمة لمعالجة تلك الحالة التي أظهرها الحق.

فالحق يضع الخاطئ في مركزه الصحيح والنعمة تأتي بالله إليه حيث هو: فالنعمة لا تستطيع أن تعمل بدون الحق. والحق لا فائدة في عمله من دون النعمة. وكلاهما مرتبطان معاً في خدمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. وكل منهما له مجد خاص ولكن ذلك المجد يزداد تألقاً عندما ننظر إليهما في ارتباطهما معاً. فالحق الذي يبيّن ويقرّر مطاليب الله يزداد بهاء ولمعاناً لارتباطه بالنعمة، والنعمة التي تسدّ أعواز الخاطئ يزيدها جمالاً أنها ترتكز عل أساس الحق وسنرى هذين العنصرين. النعمة والحق واضحين في خدمة أليهو التي نتأمل فيها الآن.

هو ابن برخئيل الذي يترجم "ليت الله يبارك". ومن هذه الدلالة نستطيع أن نتبيّن أن بركة الله أو رضاءه هي من نصيب الشخص الذي يقف إلى جانبه تعالى فحسب "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" وكابن برخئيل. لنا في هذه النسبة فكرة عن العلاقة أو النسبة القائمة بين سيدنا وبين الآب "ابن المبارك" وقد كان أبداً هكذا: فلما جاء إلى العالم استطاع أن يقول "إن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت". على أنه فيما عدا هذه الفكرة الكاملة نستطيع أن نستنتج أن بركة الله تنشئ الأمانة له وتصاحبها عل طول الطريق.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ثم نقرأ عن الأسماء العائلية "البوزي من عشيرة رام" كان بوز واحداً من أبناء ناحور، ولذلك فهو مرتبط بإبراهيم. أما رام فيفترض أنه اختصار للفظ آرام. تمييزاً للمنطقة التي أقامت فيها الأسرة. إذاً فقد كان أليهو من عائلة مشهورة وبلاد معروفة. لكن عندما نتأمل في دلالة هذه الأسماء. نجد تطابقاً عجيباً مع الأقوال السالفة. فإن اسم بوزي يترجم "المحتقر والمرفوض والمرذول". واسم رام يترجم "المرتفع، المعظّم". ونحن نعلم على من تصدق هذه التسميات. "محتقر ومخذول من الناس" "يتعالى ويرتقي ويتسامى جداً" وهكذا نجد تأييداً توضيحياً لمركز أليهو وعمله الرمزيان. والآن نتقدم إلى الخطاب.

لما كفّ الأصحاب الثلاثة عن الكلام، وتُرك أيوب متحصناً في بره الذاتي، حمي غضب أليهو مضاعفاً، ضد أيوب لأنه فشل في تمجيده الله بواسطة الاعتراف ببره تعالى، وضد الأصحاب لإصرارهم العنيد على اتهاماتهم بينما عجزوا عن إقامة الدليل على صحة دعاواهم. وفي هذه الكلمات الموجزة تتضح وجهة نظر أليهو. أما الأعداد الباقية من الجزء الأول فإنها تفسّر كياسته في بقائه صامتاً. بسبب حداثته وشيخوختهم.

"على أيوب حمي غضبه لأنه حسب نفسه أبر من الله" هذا حق أن أيوب يرد نفسه، فالإصحاح السابق (٣١) الذي فرغنا منه كان كله من أوله إلى

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

آخره يدور حول تبرير ذاته. إنه كان يتناول حقائق لا شك فيهـا ولكنـها لم تكن لائقة في معرض الحديث عن معاملات الله ولماذا حلّت به هـذه الكارثـة العظيمة".

"وعلى أصحابه الثلاثة حمي غضبه لأنهم لم يجدوا جواباً واستذنبوا أيوب" ونحن نسأل: ما الذي عاق هؤلاء الأصحاب الثلاثة عن فهم أيوب؟ الجـواب نفس الشيء الذي أعاق أيوب نفسه. وهو الذات. فالذات لم تُدان. والواقع أن الذات هي إحدى الصعوبات الكبرى في طريق المسيحي كما هـي في طريـق الخاطئ.

"وكان أليهو قد صبر على أيوب بالكلام لأنه أكبر منه أياماً" نعم وذلك كان جميلاً منه.

"فلما رأى أليهو أنه لا جواب في أفواه الرجال الثلاثـة حمـي غـضبه" ولماذا؟ ليس من أجل نفسه يقيناً، ولكنه غضب عليهم من أجل الله.

(ع٦-١٠) أسباب سكوته.

والآن يعلل سكوته بعبارات ملؤها المجاملة واللباقة. على أن مجرد كثـرة الأيام ليس هو الذي يهب الحكمة، بل الروح المعطاة من الله. نـسمة الله الـتي

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تجعل الإنسان المائت يختلف عن البهائم والحيوانات. فإذا ما تكلم أليهو عن حكمة الله، فمن حقه أن يسمعه الباقون.

"فأجاب أليهو بن برخئيل البوزي وقال أنا صغير في الأيام وأنتم شيوخ لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدي لكم رأيي فقلت الأيام تتكلم وكثرة السنون تظهر حكمة". وهكذا كان يجب أن يكون "ولكن في الناس روحاً" شيئاً أسمى من الاختبار فالروح هي أسمى جزء في طبيعة الإنسان. إن الجسم هو الإناء الخارجي والنفس هي التي تجعل الإنسان إنساناً وقد تكون عامة مشتركة بين الناس في حين أن لكل إنسان روحه الخاصة التي تميزه عن عداه. فمثلاً: جاء عن يوحنا المعمدان أنه جاء في روح إيليا وقوته وما كان ممكناً أن يقال عنه إنه جاء في نفس إيليا. لأن كل واحد إنما يأتي في نفسه الخاصة فالنفس هي مركز الشخصية. ولكن الروح هي طاقة الإنسان وقدرته. ولكن النفس والروح تسيران معاً في تشابه عجيب لدرجة أنه يصعب على أي ذكاء بشري التمييز بينهما، فهما مرتبطتان ومتحدتان معاً لكونهما من طبيعة روحية وعندما يموت الإنسان تصعد نفسه وكذلك تصعد روحه. كلاهما يصعدان، ويصعدان معاً بالضرورة.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومن هنا نفهم قوة القول "إن في الإنسان روحاً". فالروح معناها الطاقة الروحية، وهذه لا تقاس بالاختبار، فقد يكون لدى الإنسان الشاب طاقة روحية أكبر جداً مما عند الشيوخ وهذا كان الحال مع أليهو الذي يقول بعد ذلك "ونسمة القدير تعقلهم" إن الله هو الذي نفخ في الإنسان نسمة الحياة وفي تلك النتيجة لم تكن النفس فقط بل الروح أيضاً.

وهذا هو السبب في أن الإنسان وحده نفساً خالدة. إن الله لم ينفخ قط في أي حيوان على الأرض ولكنه نفخ في الإنسان وحده ومن أجل ذلك فإن نفس الإنسان وروحه خالدتان، ولكنه قد يكون خلوداً في جهنم، أو قد يكون خلوداً مباركاً في السماء، فهو خلود لا يمنع الإنسان من أن يكون خاطئاً ولا من تحمل نتائج ذلك، ولا هو يمنعه من الجهة الأخرى-بالأولى- من اقتبال الحياة الأبدية من الرب يسوع. فعندئذ تعطى له حياة أخرى.

إن خدمة أليهو تمتاز بميزة خاصة وتختلف تمام الاختلاف عن خدمة الأصحاب الثلاثة. إنه يدخل الله في الأمر ويضع حداً نهائياً للمجادلة بين أيوب وأصحابه فهو لا يحاجج على أساس الاختبار ولا يستند على التقاليد القديمة ولا ينطق بنبرات الناموس والقضاء ولكنه يحضر الله وهذه هي الطريقة الوحيدة لإنهاء كل مجادلة وإسكات كل فم وإبطال كل حرب كلامية. دعنا الآن نسمع

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

ماذا يقول هذا الشخص العجيب "وكان أليهو قد صبر على أيوب بالكلام لأنه أكثر منه أياماً فلما رأى أليهو أنه لا جواب في أفواه الرجال الثلاثة حمي غضبه".

لاحظ القول "أنه لا جواب" ففي كل حججهم وبراهينهم وفي كل إشاراتهم إلى الاختبار والتقليد والقضاء لم يكن هناك من جواب، هذه نقطة مليئة بالتعليم والإرشاد فأصحاب أيوب قد طرقوا كل باب وجالوا في كل ميدان قالوا أشياء حقيقية كثيرة وجرّبوا أجوبة عديدة ولكنهم مع كل ذلك لم يجدوا جواباً. نعم فإنه لا يوجد في دائرة الأرض أو الطبيعة أي جواب للقلب المتمسّك ببرّه الذاتي. الله وحده يستطيع الإجابة على قلب كهذا وسنرى ذلك في النتيجة. والقلب الغير منكسر يستطيع أن يجد جواباً حاضراً لكل من يتكلم معه ماعدا الله.

هنا ابتدأ النور الإلهي أو بالاحرى نور الوحي ينبثق ويلقي شعاعه على المشهد ويبدد تلك الغيوم الكثيفة التي سببتها مجادلة الألسنة ونحن نشعر بما هنالك من قوة أدبية جديدة في ذات اللحظة التي ابتدأ فيها هذا الخادم المبارك يفتح شفتيه لا بل نشعر إننا نسمع رجلاً يتكلم كما بأقوال الله. رجلاً يعرف تماماً إنه واقف في حضرة الله. رجلاً لا يستمد روحه من مخزن اختباره الحقير

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الصغير ذي الوجه الواحد، كما أنه ليس بالرجل الذي يستشهد بالآثار القديمة البالية أو بالتقاليد المشّوشة المربكة أو بأصوات الآباء المتضاربة كلا فأمامنا رجل يقودنا توّاً إلى حيث "نسمة القدير" نفسه.

"ليس الكثيرون هذه الأيام حكماء ولا الشيوخ يفهمون الحق" كلا "لذلك قلت اسمعوني أنا أيضاً أُبدي رأي" فهو لم يحاول أن يقاطع أحد قط، بل سكت سكوتاً و لم ينطق بكلمة واحدة. يدهش البعض أحياناً إذ يجدون هذا الشاب يبرز فجأة في الميدان بعد أن يصمت ليس الأصحاب الثلاثة فقط بل أيوب أيضاً.

(ع١١-١٣) خيبة الأصحاب.

"فد صبرت لكلامكم أصغيت إلى حججكم حتى فحصتم الأقوال فتأملت فيكم وإذ ليس من حججّ أيوب ولا جواب منكم لكلامه" وهذا صحيح إلى أقصى حد "فلا تقولوا قد وجدنا حكمة".

كان أليهو يرى أن حل المسألة كلها عند الله، وإنهم في كل أحاديثهم لم يأتوا قط بالإله الحقيقي كما هو، "الله يغلبه لا الإنسان" هذا ما سبق أن قاله

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أيوب، ومنه ندرك أن أيوب كان إلى هذا الحد على صواب أكثر جداً من أصحابه.

لقد كان يصغي بانتباه إلى كل ما قالوه، لكنّ أحداً منهم لم ينفع أيوب أو يجاوبه إجابة شافية. وما علينا إلاّ أن نسترجع خطابات أليفاز التي تبدأ بأسلوب رفيع سامٍ وتنتهي باتهامات وحشية، وبالمثل ول في تهور أقل- خطابات بلدد، ثم أخيراً إقرارات صوفر الطائشة: فنرى كيف كان أليهو على حق في أقواله. ولقد كان في مقدوره أن يزيد، أنه لا حق لهم في الادعاء بأنهم وجدوا أو أظهروا حكمة. فالله- لا الإنسان- هو الذي أوقع أيوب وغلبه، وجعله يتحقق من عجزه.

(ع١٤-٢٢) لا بدّ أن يتكلم.

"فإنه لم يوجه إليّ كلامه" ولذلك فإني في مركز يؤهلني للتحدث معه بهدوء وفي غير هياج، لو أنه هاجمني لشيء قلته فقد يبدو كلامي تشفّياً أو انتقاماً، أما وإنه لا يوجد ضدي أي كلام، فأنا لا أحمل له أية ضغينة ولذلك أتكلم هنا لوجه الله وبالنيابة عن الله. ولو أني شاب صغير "ولا أرد أنا عليه بكلامكم" فإنهم كانوا مجردين من القوة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"تحيّروا لم يجيبوا بعد انتزع عنهم الكلام". ها هو الاختبـــار والتقليـــد والناموس يكسحون بعيداً ليتركوا مكاناً "لنسمة القدير" ولحكم الله وخدمتـــه المباشرة النافذة المفعول.

إن خدمة أليهو تتجه بقوة غريبة وكمال عجيب إلى النفس مباشرة وهي تتناقض تماماً مع خدمة الأصحاب الثلاثة الناقصة وذات الوجه الواحد. والحـــق يقال إننا نتنفّس الصعداء إذ نصل إلى نهاية مناقشة طويلة يظهر أنها كانت مزمعة على أن لا يكون لها نهاية. مناقشة بين بر الذات من جانب والاختبار والتقليـــد والقضاء من جانب آخر. مناقشة قد خلت من كل فائدة فيما يختص بـــأيوب نفسه بينما هي قد تركتهم جميعاً وهم حيث كانوا في البداية لم يتقدموا شـــبراً واحداً ومع كل فهذه المناقشة لا تخلو من فائدة لنا نحن. فهي تعلمنـــا بطريقـــة واضحة جلية أنه عندما يدخل طرفان في مناقشة فليس من الممكن البتة أن يصلا إلى تفاهم ما لم يوجد قليل من التواضع والخضوع في طرف منهما وهذا درس ثمين جداً نحتاج كلنا أن ننتبه إليه انتباهاً خاصاً إذ يوجد كثير مـــن التـــصلّف والأفكار المتشامخة ليس فقط في العالم ولكن أيضاً في الكنيسة كثير من المشغولية بالذات وكثيراً من "أنا" وهذه الروح تظهر أيضاً حتى حيـــث لا نحـــسب لهـــا وجوداً في الغالب حيث تكون مندسّة بصورة خفية أو بعبارة أخرى في الأمور

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المتعلقة بخدمة المسيح المقدسة. وبكل تأكيد فإن محبة الذات تكون أكــره مــا يكون عندما تظهر نفسها في طريق خدمة ذاك القدوس المبارك الذي لم يجعــل لنفسه أي صيت أو جاه والذي كانت حياته كلها إخلاء النفس مــن البدايــة للنهاية و لم يقصد مجده الذاتي في أي عمل من أعمالــه و لم يجــري قــط وراء مصلحته الذاتية أو إرضاء مطالبيه الشخصية.

ولكن ألا نرى كم من الأنانية ومظاهر الذات تتجلى في مشهد المسيحية الاسمية والخدمة المسيحية؟ إننا بكل أسف لا يمكننا أن ننكر هذا الأمر ومع كل ذلك تأخذنا الدهشة عندما يقع نظرنا على المناقشة الغريبة التي دارت بين أيوب وأصحابه. فعجب كل العجب عندما نرى ما يقرب من مائة مرة يــشير فيهــا أيوب إلى نفسه في الإصحاحات (٢٩-٣١) وحدها أو بالاختصار عندما نرى كلمة "أنا" تملأ المشهد من أوله لآخره.

ولكن دعنا ننظر إلى أنفسنا. دعنا نحكم عل قلوبنــا ونفحــص مــا في أعماقها. دعنا نمتحن طرقنا في نور الحضرة الإلهية، ليت الرب يجعلنا متواضعين تواضعاً حقيقياً وهكذا نكن مخلصين ومكّرسين حياتنا له.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وليتعلم الجميع درساً نافعاً وقيّماً من أليهو- درساً بكل تأكيد نحـــن في أمسّ الحاجة إليه. قد يقول البعض أنه درس صعب، ولكن كلا فإن فقط عشنا في حضرة الرب وفي الشعور المستمر بأننا في ذواتنا لا شيء وبأنه هو فيه كـــل الكفاية لا بد أننا ندرك السر الثمين لكل خدمة فعالة. ندرك كيف نعتمد على الله وحده وبذلك نكون مستقلين عن الناس بمعنى الكلمة. عندئـــذ يمكننـــا أن ندرك عمق وقوة معنى كلمات أليهو التالية "لا أحابين وجه رجل ولا أملّـــث إنساناً. لأني لا أعرف الملث. لأنه عن قليل يأخذني صانعي" (ع٢١، ٢٢) إنـــه يخبر أيوب وأصحابه جليّاً بأنه لا يعرف كيف يملّث (يداهن) إنساناً وهنا صوت "الحق" يرّن في آذاننا بوضوح تام.

إن الحق يضع كل إنسان في مكانه الخاص ولأنه يفعل ذلك لا يمكنه بحال أن يداهن مخلوقاً مذنباً حقيراً مهما كانت المداهنة مشبعة لقلب ذلك المخلوق. يجب أن يعرف الإنسان ذاته ويرى حقيقة حاله ويعترف بما هو عليه حقيقـــة. هذا عين ما كان أيوب في حاجة إليه إنه لم يكن يعـــرف ذاتـــه و لم يـــستطع أصحابه أن يوصّلوه إلى تلك المعرفة كان يحتاج إلى من يقـــوده إلى الأعمـــاق، الأمر الذي لم يستطعه أصحابه على الإطلاق، كان يحتاج إلى إدانـــة الـــذات، الأمر الذي عجز عنه أصحابه تمام العجز، ليس هكذا أليهو إنه يتخـــذ وجهـــة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أخرى تختلف عن وجهتهم تمام الاختلاف إنه يسلّط نور الحق على ضمير أيوب وفي الوقت نفسه يقدّم إلى قلبه بلسم النعمة الثمين الشافي.

أليهو لم تكن بينه وبين أيوب مخاصمة، ولا يترل إلى ساحة الآخرين ليخاصم أقوالاً غير مجدية. فإن ما ران عليهم من صمت لهو دليل، أقطع دليل، على أنهم قد غلبوا على أمرهم. والآن هو يتكلم. إذ هو ملآن، ولا بدّ أن ينفّس عن الروح التي تشتعل في داخله والتي تشبه الخمر الجديدة، تحاول الانطلاق. فهو محصور. والضرورة موضوعة عليه. وكم يختلف هذا عن المناقشات والحجج المتحذلقة التي أرغم أيوب أن يستمع إليها، أو عن الاندفاع الذي انطوى على قلة من الحكمة والعدالة. وهنا نتذكر قول الرسول "الضرورة موضوعة عليّ". كما أن أليهو لم يلجأ إلى كلمات الإطراء. هو لم يكن يحابي الوجوه، الأمر الذي أهلّه لأن يتكلم نيابةً عن الله. وذلك جميعه عظيم بديع. ثم إن أقواله لم تخل من رنّة السلطان. "وليس كالكتبة". السلطان الذي ينبّئ عن شخص يعرف لماذا يتكلم.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الثاني والثلاثون

ص ع	الكلمة		معناها
٣٢: ١٢	حجّ	:	غلب بالحجة والبرهان.
٣٢: ١٧	حصة	:	النصيب.
٣٢: ١٩	الزقاق	:	إناء مصنوع من الجلد (قربة).
٣٢: ٢١	أملّث	:	الملث ـ المداهنة ـ أداهن.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الثالث والثلاثون

هدف الله في التأديب

في مرتين طلب أيوب تدخل مصالح أو وسيط (ص ٩: ٣٣، ١٦: ٢١). وقد أجيب هذا الطلب بواسطة أليهو الذي كان مفسراً لأفكار الله بالنسبة لأيوب. وقد فهم أيوب ذلك ولم يكن ممكناً أن يفهم أيوب أن يقوم بهذه الخدمة رجل مثله (ص ٩: ٣٢). "هاأنذا حسب قولك عوضاً عن الله أنا أيضاً من الطين تقرّصت" (ع ٦).

والكتاب يعلمنا أنه يوجد "وسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح.." (١ تيموثاوس ٢: ٥). أنه سر عميق لتجسد الرب بدونه ما كان ممكناً أن يكون وسيطاً بين الله والناس. في (ع ١٤) نقرأ القول "لكن الله يتكلم مرة وباثنتين..". "الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء... كلمنا.. في ابنه" (عبرانيين ١:١). كم كان يجب أن يكون هذا الكلام موضع اعتبار بالنسبة للعالم (عبرانيين ٢: ١). لماذا يتكلم الله مرة واثنتين ولا يلاحظ الإنسان؟ ما أقسى قلب الإنسان وعدم مبالاته! لذلك نقرأ التحذير "انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم.. من السماء" (عبرانيين ١٢: ٢٥). وأليهو بكلام قليل يضع جانباً كل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحجج "الله أعظم من الإنسان" (ع ١٢) "وكل أموره لا يجاوب عنها" (ع ١٣).

إن (ع ٢٣، ٢٤) من إصحاح (٣٣) يوجهان أفكارنا إلى الرب يسوع الوسيط الأعظم رسول المحبة الإلهية. لقد جاء ليري الإنسان الخاطئ طريق الاستقامة، أي ليقوده إلى معرفة حالته وأن يدين نفسه في النور الإلهي.

إن حياة المسيح على الأرض لها هذا الهدف من الأهداف. أن تكون مباينة مع حالة الإنسان الحقيقية. ولكن لكي ينعم الله كان لابد من كفارة وهبت وقد وجدت وهي موت المسيح. بهذه الكفارة خلصنا من جب الهلاك وليس ذلك فقط فعددي (٢٥، ٢٦) يرياننا الحياة الجديدة والشركة والفرح والبر التي أصبحت نصيبنا. ونفس النتائج لقيامة المسيح وسيطنا ولوجوده الآن في المجد. وأخيراً في (ع ٢٧، ٢٨) نجد الشهادة التي نحن مدعوون لتأديتها أمام الناس عما فعله الله لنا.

الإصحاح من ملامحه البارزة ينقسم إلى خمسة أقسام:

(ع ١ - ٧) المصالح.

(ع ٨- ١٣) تفنيد اتهام أيوب لعدالة الله.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع ١٤ـ ٢٢) معاملة الله المزدوجة، وأطرافها.

(ع ٢٣ـ ٣٠) إعلان بره وشقاء الإنسان.

(ع ٣١ـ ٣٣) هذه الأقوال امتحان لأيوب.

(ع ١ـ ٧) المصالح.

تقسيم الإصحاح غير مناسب هنا. فأعداد الافتتاحية تخص الإصحاح السابق إلى حد بعيد. يا له من اختلاف في كلام أليهو هادئ ومهذب وطيب ويؤكد بأن قوله يأتي من القدير والآن أيوب إذا لم يستطع أن يجيبه يرتب كلامه "هاأنذا حسب قولك وعوضاً عن الله" نؤمن بهذا أن أليهو يشير إلى رغبة أيوب للمصالح، الآن أتى في شخص أليهو يشجع أيوب ألا يخلف "أنا أيضاً من الطين" كم يكون استخدام كل هذه للمصالح الحقيقي ربنا يسوع المسيح.

يتجه أليهو إلى يعقوب ليس في غضب بل في هدوء وعطف وهو يرجو أيوب أن يصغي إليه لأنه سيكون عادلاً. فإن حكمته لم تصدر من المعرفة البشرية أو الاختبار بل من القدير. ولأيوب الحرية في محاوبته إذا لم يقبل كلامه، لأن له كما لأليهو صلة بالله. وهذه على ما يبدو فكرة الجزء الأول من العدد السادس. فهذا القول يذكر أيوب بأن الله قد أوضح فكرة بطريقة لطيفة حتى

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يتسنى لأيوب أن يتعلم ذلك الفكر. على أن يذكرنا بالسلطان الإلهي الذي عرف لماذا تكلم هكذا. ثم أن أليهو إنسان، فلا داعي يحمل أيوب على الرهبة. وكان في مقدوره أن يقول، كما قال بطرس: "أنا أيضاً إنسان" (أعمال ١٠: ٢٦).

نلاحظ أن الإصحاح السابق (ص٣٢) لم يكن إلا مقدمة، فيها تحدث أليهو عن قصوره، كما تحدث في الوقت نفسه عن يقينه الكامل بأنه كان يرى حقاً ما لم يره أيوب ولا أصحابه الثلاثة. وهذا ما لابد أن يتقدم ليعبر عنه.

"ولكن اسمع الآن يا أيوب أقوالي... هاأنذا قد فتحت فمي" وقد كان متباطئاً جداً قبل أن يفعل ذلك. "لساني نطق في حنكي... استقامة قلبي كلامي". كلمات كلها إخلاص وحق مهما قال أولئك الأدعياء من أصحاب النقد العالي. "ومعرفة هما تنطقان بها خالصة". وهكذا فعلت شفتاه "روح الله صنعني. ونسمة القدير أحيتني... هاأنذا حسب قولك عوضاً عن الله" لقد تمنى أيوب أن يسمع الله متكلماً إليه. ومع أنه في شوقه هذا كان قلبه يتجه نحو الله، إلا أنه كان يخشى أن تكون المواجهة أرهب من أن يتحملها. ومع ذلك فقد اشتاق أن يجد الله.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

غير أن الخوف كان لازال يملأ جوانحه فاشتاق وتمنى أن يجد شخصاً يستطيع أن يتكلم إليه بلسان بشري وفي الوقت نفسه يتكلم عوضاً عن الله تماماً. وهذا ما يفعله أليهو بحسب مقياسه: إن أليهو وسيط، واحد من ألف، ولذلك هو يتكلم عوض الله. وهذا عين ما كان يطلبه أيوب ويتمناه، مع الفارق الهائل بين هذا الوسيط الرمزي والوسيط الحقيقي العظيم – رئيس الأنبياء، الرب إله الأنبياء، الذي هو في الوقت نفسه نبي، نعم. فرق هائل بين أليهو والمسيح. ومع ذلك فإن وجود أليهو شهادة عظيمة للنعمة المطلقة. أنه من أندر الأشياء في الدنيا أن نجد إنساناً عرف عن الله ما عرف أليهو. وقد كان المقصود به كسر كبرياء الرجال الأكبر منه سناً. وقد عرف أليهو ذلك وشعر به، ومع ذلك، فهو يتقدم إليهم باعتذاراته لأنه في الحقيقة لم يكن راغباً أبداً في الظهور كمن يريد أن يردهم عن خطئهم أو أن يصحح الحماقة التي خرجت من أفواههم وإنما كانت مشغوليته الكبرى هي في أيوب أكثر من أي شيء آخر. وذلك جميل منه للغاية، فلم يتعرض لأليفاز أو بلدد أو صوفر ليبين كم كانوا مخطئين. ولكن بقيت النقطة المهمة التي تتطلب توضيحاً.

إن اللغز لم يحل بعد. وقد أسهم أليهو في الحل لأول مرة، ولكنه لم يحل اللغز حلاً كاملاً. كان الأمر يتطلب الله ليفعل ذلك. وقد ظهر الله فعلاً. ولسنا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نقول كيف ظهر، هل اتخذ صورة إنسان كما فعل مراراً في العهد القديم. نحن لا نقرأ شيئاً عن ذلك هنا. لربما اقتصر الأمر على مجرد صوت في هذا الموضوع، ولكننا سنرى عندما نأتي إلى ذلك الجزء من السفر إنه كان صوتاً إلهياً، فليس هناك من شك في ذلك. أما هنا فالذي أمامنا إنسان كما يقول عن نفسه، وإنسان شاب. "أنا أيضاً من الطين تقرصت هوذا هيبتي لا ترهبك وجلالي لا يثقل عليك".

لقد اشتكى أيوب من ثقل يد الله عليه، وكانت هناك غلطتان كبيرتان فيما قاله أيوب. ظن في نفسه حسناً أكثر من اللازم واستغلظ الله. وهذا ما يبينه هنا أليهو بصورة واضحة.

(ع ٨- ١٣) تفنيد اتهام أيوب لعدالة الله.

إن مهمة أليهو الرئيسية هي تبرير صفات وأخلاق الله من الاتهامات التي وجهها أيوب. وهو ليس يعنيه في كثير، ما هدف أيوب أو ما كانه أيوب – ولو أنه لا يحتضن أي شكوك غير لائقة، لكن أيوب كان قد تفوه في مسامعه بما لا يصح، إن أليهو يتركه يمضي دون توبيخ. وهذا ما يجب أن يكون فينبغي أن يكون الله أولاً وجلال مجده المهمة الرئيسية لكل الذين يعرفونه وفي هذا الميدان تجلت خيبة أيوب في صورة محزنة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يشير أليهو إلى كثير من أقوال أيوب للتدليل على ما لحق بالله من هوان. ويقتبس بعضاً منها بالتمام ويقدم كثيراً مما قاله أيوب. فيقتبس قوله: "أنا بريء بلا ذنب، زكيٌّ أنا ولا إثم لي" (ع ٩) بالمقارنة مع هذه الأقوال: "في علمك أني لست مذنباً" (ص ١٠: ٧).

"مع أنه لا ظلم في يدي وصلاتي خالصة" (ص ١٦: ١٧). "حتى أسلم الروح لا أعزل كمالي عني. تمسكت ببري ولا أرخيه. قلبي لا يعيّر يوماً من أيامي" (ص ٢٧: ٥-٦).

قد يقال إن أيوب إنما كان يفند اتهامات الشر التي حاول أن يلصقها به أصحابه. لكنه كان أيضاً يتهم الله بمعاملته الظالمة إياه، إذ يعاقب إنساناً بريئاً.

وهذا واضح من الاقتباس التالي: "هوذا يطلب عليّ علل عداوة يحسبني عدواً له" (ص ٣٣: ١٠). وهكذا كان قد أعلن: "لكنك كتمت هذه في قلبك... تصطادني كأسد... نوب وجيش ضدي" (ص ١٠: ١٣-١٧). "لماذا تحجب وجهك وتحسبني عدواً لك" (ص ١٣: ٤٢). هكذا تنجلي إهانته للجلال الإلهي فأيوب بريء، زكيٌّ، لكن الله عامله كمتهم: "وضع رجلي في

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المقطرة يراقب كل طرقي" (ص ١١:٣٣). وهذا اقتباس حرفي من قول أيوب: "فجعلت رجلي في المقطرة ولاحظت جميع مسالكي" (ص ١٣: ٢٧).

فأليه إذاً لا يتجنى على أيوب ولا يتصيَّد أقواله. والواقع أن الحزن الغالب الذي كان يسيطر على أيوب هو أنه يبدو وكأنه قد خسر ذلك الإله المحسن الذي مرة وجد فيه مسرته. وليس يكفي أن نقول أنه برغم هذه الشكوك فإن أيوب كان يعرف ويسلم بقوة الله ومعرفته. وأنه كذلك كان يفصح عن ثقته بالله وعن رغبة جامحة في نفسه في أن يدافع قدامه عن دعواه. ولكن كيف ينسجم هذا مع مثل الأقوال التي كان يقتبسها أليهو؟ مثل هذه الاتهامات يجب مواجهتها، وأيوب لابد من إقناعه ببطلانها. وإلا فإنه لن يتمتع بالسلام في نفسه، وإلا فإن وصمة قائمة تستقر على كرامة الله.

فكيف إذاً يرد أليهو؟ هل يقلد الأصحاب في الدخول في بيانات معقدة؟ هل يعتذر عن التناقض الواضح في طرق الله ويحاول تفصيل كلامه، وفي عبارة واحدة موجزة يلغي كل حجة بشرية: "الله أعظم من الإنسان وبعبارة أخرى: الله هو الله. وإذا شئنا أن نجادل فلا نبدأ من الأدنى إلى الأعظم، بل من الأعظم إلى الأدنى. فنقول: كيف يتأتى للإله القدير، الكلي الكمال، أن يجري عملاً

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ظالماً؟ "أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً" وهكذا أجاب بولس على من أراد أن يناقش بر الله أو يجادل في أمره.

"من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟" بل والأعظم من بولس وجد راحته في عصمة الله المطلقة "نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك".

وطالما ارتاب الإنسان في صفات الله، فإنه لا يكون في الحالة التي يجد فيها تسوية لمشكلاته. لتتخاصم كل شقفات الأرض معاً ولينازع أحدها الآخر، فإن الله لن يتنازل لمثل هذا الصراع. "لماذا تخاصمه؟ لأن كل أموره لا يجاوب عنها" (ع ١٣). هذا هو مفهوم الفقرة العام الواضح. هناك تغيرات هينة في ترجمة العددين (١٢،١٣). فإحدى التراجم تقول: "الله مترفع جداً إزاء الإنسان"، هو أرفع بكثير من أن يدخل في مخاصمة مع الإنسان (أنوس، أي الإنسان الزائل). ثم تقول عن (ع ١٣): "لماذا تخاصمه لأنه لا يجاوب عن كل أموره؟" أي لماذا يشكو أيوب من أنه لا يحصل على ردود كاملة للحجج التي يدلي بها؟ لكن يجب أن تجد النفس راحتها في الله. لا فيما لدينا من مناقشات وبراهين. "ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء؟" (رومية ١١: ٣٣).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لقد قصر أيوب في تقدير الوقار اللائق بالله، ونسي كلية المسافة اللانهائية التي بين الله والإنسان. نسي جلال الله. ولذلك فبدلاً من تخطئة نفسه ولومها على هذا التقصير فإنه استخطأ الله. لم يفهم طرق الله تماماً، وكان الواجب عليه الآن أن يخضع لها ويثق بها وإن لم يفهمها.

(ع ١٤ـ ٢٢) معاملة الله المزدوجة وأطرافها.

مع أن الله أسمى من الإنسان بهذا القدر، ومع أنه بعيداً عن متناول إحاطته، فإنه ليس غير مبال بمخلوقاته الضعيفة الواهنة، وليس مستبداً في معاملاته معها. وإذا ما تعلمت النفس مرة أن تخضع لله، وتأخذ مكانها الصحيح الخليق بها، فإنه تعالى يعلن لها طرقه. وسرعان ما تسلم بأن لله غرضاً حكيماً، فإنه له المجد يريها أن الضيق والمشقة ليس إلا إحدى وسائل معاملات الله مع الناس، إن للضيق أو المشقة هدفاً معيناً. وأليهو يتقدم ليشرح ذلك. إن أيوب طالما ينطق بالاتهام فلن يحصل على جواب، وإنما ليسلم ويخضع، والله سيوضح كل شيء.

إن أليهو يتكلم عن اثنين من أساليب المعاملات الإلهية: الأول إن الله يعلم بالأحلام، والآخر، بالضيق. والأسلوبان مرتبطان معاً ارتباطاً وثيقاً، لهذا فلنتكلم عنهما معاً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نستطيع أن نقول أنه لم يكن في أيام الآباء إعلان من الله سوى ما كان يبلغ للأفراد. وعلى هذه الصورة أعلن الله فكره لنوح وإبراهيم، وحتى لأولئك الذين كانوا يجهلونه كثيراً مثل أبيمالك ولابان (تكوين ٢٠: ٣، ٣١: ٢٤).

وكثيراً ما كان يستخدم الحلم أو الرؤيا. لكن هذا الاستخدام هو بمثابة إعلان إلهي. وأليفاز يومئ إلى مثل هذه الوسيلة التبليغية بأسلوب جميل، ولكن ليس بالتحديد كما يفعل أليهو في إصحاحنا.

ذلك بأن أليهو يوضح أن الله يكلم الإنسان هكذا. فحينما ينسحب نور الطبيعة، ويرين الصمت على كل الخليقة. فإنه تعالى يتكلم في "صوت منخفض خفيف" ويعلن فكره: ويختم هذا التأديب، أي التعليم. على قلب الإنسان. وغايته تعالى أن يصحح أفكاراً وتصرفات مغلوطة، ويحول الإنسان عن غرضه، ويمنع أو يخفي الكبرياء عن الرجل (واللفظ في العبرية معناه الجبار، البطل، القوي) والكبرياء هذه تعني أكثر من تصرف أو عمل، لأن الكبرياء تقبع في القلب والله يود أن يكتسحها ويخفيها عن الإنسان – ليبطل سيطرتها عليه. "أيضاً من المتكبرين (أي الخطايا المتكبرة، أو خطايا الكبرياء) احفظ عبدك.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهكذا يكون الإنسان بمنجاة من الهلاك. هو يخضع لفعل تـــصحيح أو تقويم حق الله، وبذلك يعفى من ضربة العصا.

وفي عهدنا المسيحي لنا الحق نفسه لكن بقوة أكمل، إذ لسنا بحاجـــة إلى الإعلان بالأحلام والرؤى. فهو بين أيدينا في كلمة الله المكتوبة. فـــذاك الـــذي تكلم بطرق كثيرة (من أحلام وغيرها) قد أعطانا الإعلان الكامل عن نفسه في ابنه، وهذا الإعلان - أي كلمة الله كلها – قد حصلنا عليه في الكتب المقدسة. ومكتوب "كل الكتاب هو موحى به من الله (أي معطى لنا عن طريق وحـــي الله) ونافع للتعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب (أي التهذيب) الذي في البر" (٢ تيموثاوس ٣: ١٦).

وبهذه الكلمة يتحدث الله اليوم إلى الناس ليحولهم عن أغراضهم وينقذهم من شراك الكبرياء. وعلى هذه الصورة كان يريد سيدنا له المجد أن يقف بطرس عن مسلكه الذاتي. ولو أنه أصغى إلى الكلمة لأعفى نفسه من اختبار فـــشله، اختبار الفضيحة والعار (لوقا ٢٢: ٣١-٣٤).

ومع أن الله يتكلم هكذا مرة، بل ومرتين، لكن الإنسان بكل أسف "لا يلاحظ". على أن عند الله وسيلة أخرى للتحدث إلى النـــاس، فـــإذا هـــم لم

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يستمعوا إلى كلمته، فقد يرسل إليهم عصاه. وإذ يتوسع أليهو في هذه النقطــة، فهو عملياً يصف حالة أيوب. فقد حاقت به أوجاع تأديبية. وعظامه تبــدو في طريق الذبول في خصام مميت "عظامي تنخر فيّ وأعصابي لا تهجــع" (ص ٣٠: ١٧). لقد وضع حتى أنه كره ذات الطعام الذي يقيم حياته. "ما عافت نفسي أن تمسها هذه صارت مثل خبزي الكريه" "قد كرهت نفسي حيــاتي". بلــي لحمه، وعظامه تحملق فيه "عظمي قد لصق بجلدي ولحمي". هو على الطــرف الأخير من الحياة، على مشارف القبر، أو "جب الهلاك" المخيــف "لأني أعلــم أنك إلى الموت تعيدني وإلى البيت المعين لكل حي".

غير أن أليهو لا يقرر في أقوال كثيرة أن أيوب قد أبى أن يصغي إلى إنذار الله، ولا يقرر أن يصف حالته بالدقة. وإنما هو يتكلم عن أسلوب معاملة الله مع الناس. ولكن أليس في هذا صوت لأيوب؟ أليس أنه - في القليل – يرى أن الله يتكلم في الضيق وأن له ما يريد أن يقوله.

"لأن الله يتكلم مرة وباثنتين لا يلاحظ الإنسان" والآن يطالعهم أليهــو بالحقيقة الرائعة وهي أن الله تبارك اسمه ينفذ طريقته رغم كل شيء في علام قد أخربته الخطيئة، عالم فيه كل شيء قد فسد واختل، ويبدو فيه الشيطان منتصراً، بل عالم يسوده الشيطان، لأنه في الواقع رئيس هذا العالم وإله هذا الدهر كمــا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يسميه الكتاب، في العهد الجديد على الأقل، ولو أهم كـانوا يجهلـون هـذه الحقيقة حتى ذلك الوقت. أما في الوقت الحاضر فنحن نعرفها جيداً، أو يجب أن نعرفها. نعم، إن الله ينفذ سياسته العجيبة وسط هذه الأمور كلها. وقد كان له المجد يفعل ذلك حتى قبل ظهور الكتاب المقدس. فنحن يجب أن نتذكر أن وقت وقوع حوادث أيوب لم يكن هناك إعلان مكتوب، فإن سفري التكوين وأيوب كتبا على الأرجح في وقت متقارب، ولعلهما كتبا في نفس التوقيت. فلا إشارة في أي منهما إلى الناموس. ولا إشارة إلى خلاص الشعب القديم من مـصر في أيوب. ومع أن بلاد أيوب كانت بعيدة عن مصر إلا أن السفر يدل علـى أن أيوب كان يعلم الكثير عن مصر وكان ملماً بمعالمها ومميزاتها الكـبرى. فكـان يعلم الشيء الكثير مثلاً عن التمساح الذي نجد له وصفاً رائعاً في هذا الـسفر (ص ٤١) وأشياء أخرى كثيرة تدل على أن أيوب كان ملماً إلماماً تاماً بمـصر وشعبها. لقد كان أيوب يعيش على حدود الصحراء إلى الـشرق قلـيلاً مـن الأرض المقدسة أو ذلك الجزء المشار إليه بالمشرق. أما أليهو فكان من مكـان آخر. كان أبوه برخئيل البوزي من عشيرة رام. فكلمة "رام" هي نفسها "أرام" (مع اختلاف بسيط في الشكل) أي سوريا وهي الجزء من آسيا الواقـع شمـال الأرض المقدسة، ومن ذلك يتضح أنه ينحدر من جنس يمت بـصلة النـسب والقرابة للأرض المقدسة ولكنه ليس فيها، على وجه الدقة، وهذا ما يجعل لسفر

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أيوب صفته الفريدة وأهميته العظمى إذ نجد أن موضوعه هو الله والإنسان. ليس إسرائيل أو الشعب القديم على الإطلاق ولكن الله متعاملاً مع نفس الإنسان. والواقع أن الشيء الذي يزيد في الأهمية عن كل شيء آخر في الوجود هو أن تكون النفس في وضعها الصحيح أمام الله، وهذا ما نراه مبيناً بأدق صورة في هذا السفر العظيم حتى أن أيوب وصل إلى أجلّ وأحسن بركة عرفها في حياته حينما كان لايزال تحت تأثير التجربة وقبل أن توافيه البركة الخارجية المادية. على أن البركة المادية لم تتوان بل جاءته مسرعة في أعقاب البركة الروحية أو بعبارة أخرى حالما أصبح في حالة يستطيع معها احتمالها.

ولذلك فإن الله - كما يقول أليهو – يتعامل مع الإنسان في كثير من الأحيان في حلم في رؤيا الليل (ع ١٥). أن الكثيرين منا ولاشك قد عرفوا واختبروا مثل هذه الانتقادات. أحياناً يهمس إلينا بأشياء صغيرة في حياتنا ناصحاً ومنذراً بل مرغماً إيانا أن يدين كل منا نفسه بطريقة لم يعهدها من قبل. وقد يكون هذا هو المقصود في هذه الحالة فليس في الأمر شيء معجزي على الإطلاق، وكل ما في الموضوع هو أننا قد نحسب أننا غير مهمين عند الله إلى الحد الذي يجعله يتعامل معنا أفراداً وبهذه الصورة ولكن هنا بالذات موضع الخطأ إذ أننا لا نعطي الأهمية الكافية لمثل هذا التعامل الإلهي معنا.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لاشك أننا نؤمن كل الإيمان أن لكلمة الله مكانها الأول في حياتنا وهي دستورنا الأوحد. هذا أمر مفروغ منه ولا جدال فيه ولكن الله مع ذلك إله حي وهو يتعامل مع كل واحد منا بهذه الطريقة أو بغيرها. ولا يمكن أن يكون هناك أقل شك في أن أليهو كان يتكلم عن هذه الطريقة باعتبارها شيئاً مألوفاً ومؤكداً في تلك الأيام فلماذا لا تكون أيضاً في أيامنا الحاضرة؟ إنه من الخطأ الظن أنها غير جائزة الحدوث وإنما المهم في الموضوع هو أن هذه الطريقة أو غيرها خاضعة كل الخضوع لكلمة الله، وإن للكلمة السيادة المطلقة والسلطان الأعلى الذي لا يدانيه أي سلطان. فهذا هو امتيازنا الأعظم الذي نعتز به، وهو وجود الكتاب المقدس بين أيدينا، الأمر الذي لم يكن من نصيب جميع أولئك الأفاضل الذين يرد ذكرهم أمامنا في هذا السفر. نعم، وبكل تأكيد، إن للكتاب قيمته العظمى التي لا تقدر. ونحن لنا المسيح الذي ليس مجرد وسيط "واحد من ألف" بل الوسيط الأوحد الفريد، الذي هو فوق الجميع – موسى وإيليا وغيرهما – "يسوع وحده".

ولكن أليهو يقول: "في حلم في رؤيا الليل عند سقوط سبات على الناس" إنه مجرد حلم وليس رؤيا روح كما رأى أليفاز (ص ٤: ١٥) ولكن هنا شيء آخر. إنه في النوم حلم. حقيقة واضحة بسيطة مؤكدة، ولكنها حقيقة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تمثل الله متنازلاً لمساعدتنا، وهو يجب أن يفعل ذلك بطرق وأساليب لا تخطـر دائماً على بالنا، ولكنه باستمرار يفعل ذلك بطريقة أو بأخرى، إلا عندما يكون أفرايم موثقاً بالأصنام فعندئذ يقال "اتركوه" (هوشع ٤: ١٧). ويا لها من كلمة مريعة ورهيبة!.

"حينئذ يكشف أذان الناس" (ع ١٦) أي يفتح أذاهم وهذا نراه جارياً في هذا الإصحاح. ونلاحظ أنه لا يقول "الناس المؤمنين" بل الناس إطلاقاً، أعني أي إنسان لعله يؤمن. ومع ذلك، عندما لا نتصرف نحن المؤمنين كقديسين فقد تأتينا كلمة صغيرة ترينا أين نحن وإننا نسلك بحسب البشر كما يقول الرسول بولس (١ كورنثوس ٣: ٣). "ليحول الإنسان عن عمله ويكتم الكبرياء عن الرجل". من هذا نرى أنه إنسان مازال واثقاً بذاته و لم تنكسر إرادته بعد.

"ليمنع نفسه عن الحفرة. وحياته من الزوال بحربة الموت". لقد كان في الطريق المؤدي إلى الحفرة مباشرة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"أيضاً يؤدب بالوجع على مضجعه" فليس الأمر قاصراً على هذه المعاملات مع النفس بل إنها تتناول الجسد أيضاً. وهنا يمس أليهو قضية أيوب بالذات.

"ومخاصمة عظامه دائمة فتكره حياته خبزاً ونفسه الطعام الشهي فيبلى لحمه". وكم كان ذلك صحيحاً في حالة أيوب المسكين. "فيبلى لحمه عن العيان فتنبري عظامه فلا ترى، وتقرب نفسه إلى القبر وحياته إلى الميتين".

(ع ٢٣- ٣٠) إعلان برّه وشقاء الإنسان.

"إن وجد عنده مرسل". ذلك بالضبط ما كان أليهو "وسيط واحد من ألف ليعلن للإنسان استقامته" أي يليق به. وماذا يليق بالإنسان إلا الحكم على الذات. إنه إنسان ساقط خاطئ. قد يكون إنساناً مؤمناً ومع ذلك فهو إنسان فيه الجسد، وذلك الجسد قد يكون عاملاً بقوة كما كان في أيوب وللآخرين، عندئذٍ: "يتراءف عليه" عندما يتواضع الإنسان وعندما يخضع لله: هذه هي استقامة الإنسان. التواضع أمام الله وهذا هو عين ما يحدث عند تجديد الإنسان الخاطئ يخضع لله. وكذلك عندما يضل الإنسان المؤمن ويبتعد، كبطرس، يقال له أيضاً "وأنت متى رجعت" فإن رد نفس المؤمن هو عملية كثيرة الشبه من تجديد الإنسان الخاطئ. فهو رجوع إلى الله في الحالتين على حد تعبير الرسول

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"كيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحي الحقيقي" (١ تس ١: ٩) فالإنسان في الحالتين يكون تاركاً ناسياً الله ثم يرجع إليه ويذكره. ذلك كان الحال مع الرسول بطرس. وذلك ما نجده نحن أيضاً أحياناً. عندئذ: "يترأف عليه ويقول أطلقه عن الهبوط إلى الحفرة. قد وجدت فدية" (ع ٢٤).

وهنا نقول أن أحداً لا يستطيع، على ما نعتقد، أن يجد في كل أجزاء العهد القديم الأخرى وصفاً كهذا الذي نجده أمامنا الآن لمعاملة الله مع النفس الخاطئة أو التي ضلت الطريق. ولا يوجد وصفٌ كاملٌ شاملٌ لهذا الوصف، أو وصفٌ أكثر انطباقاً على الحالات الفردية من هذا الوصف العجيب الرائع ليس في العهد القديم فقط، بل وفي العهد الجديد أيضاً، ما عدا مثل الابن الضال الذي يعطيه لنا السيد، هناك حقاً نجد صورة كاملة تامة. وبطبيعة الحال لم يكن ممكناً قط أن يعطينا الوحي في سفر أيوب كل ما يعطينا إياه الرب في مثل الابن الضال ولكننا مع ذلك نجد هنا شيئاً عجيباً غالياً ثميناً في تلك الأيام الخوالي. وهو لا يعني أن الفدية قدمت فعلاً. ولكنها كانت هناك أمام الله. الأمر الذي يعبر عنه في رسالة رومية بكلمة "الصفح" عن الخطايا السالفة. أو التجاوز. وليس الغفران الذي هو من خصائص العهد الجديد والذي ما كان ممكناً أن ينطبق على قديسي العهد القديم حيث كان "الصفح" أو التجاوز "بإمهال الله".

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

فكان الأمر في ذلك الوقت يشبه ديناً مستحيل السداد فيأتي الدائن ويقول "لا فائدة لابد لي من التجاوز. فمن المستحيل أن أنتظر شيئاً" وهذا هو ما فعله الله في ذلك الوقت حيث كان "بإمهال الله" أما الآن فليس هو إمهال الله على الإطلاق ولا هو "الصفح" ولكنه "الغفران". إنه بر الله معلناً وظاهراً بكل وضوح، فالمسيح قد حمل خطايانا ولذلك قد أصبح من البر والعدل محو هذه الخطايا. ليس الأمر فيما بعد مجرد قول الدائن "مسكين هذا الإنسان. إنه لا يستطيع أن يدفع" بل ها هو شخص كريم يتقدم فيدفع الدين فعلاً وفي أمجد وأعظم صورة – أمجد بكثير وبما لا يقاس مما لو لم تكن خطيئته على الإطلاق – أمجد بكثير لله وأبرك بكثير للإنسان لأنه في وقت "الإمهال" و"الصفح" كان حالنا حال المفلسين الذين لا يرجى منهم شيء. أما الآن فحالنا حال الغالبين المنتصرين بانتصار سيدهم وربهم.

لقد كانت هناك تلك الحقيقة الكبرى وهي أنه على الصليب لم يتم عمل عظيم جليل فحسب ولكن الرب يسوع قد ربط ذلك العمل بمجد الله معطياً إيانا ذلك اليقين الكامل العجيب بأنه لم يعد يعوزنا مجد الله (رومية ٣: ٢٣). أي إننا لم نقصر عن الوصول إليه. ذلك كان أمراً لم يكن ممكناً تحقيقه أو إدراكه في الأيام السابقة لمجيء المسيح. لم يكن ممكناً تحقيقه ليس فقط بدون

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

غفران الخطايا بل بدون مجيء المسيح وتمجيده لله فيما يتعلق بالخطيئة وبالتـــالي صعوده إلى مجد الله باعتباره مخلصنا وفادينا. هذا هو الحال الآن. أما في الفـــصل الذي نحن بصدده فلا شيء من ذلك وإنما فقط "قد وجدت فدية".

"يصير لحمه أغض من لحم الصبي. ويعود إلى أيام شبابه. يـــصلي إلى الله فيرضى عنه. ويعاين وجهه بهتاف" (ع ٢٥، ٢٦).

هنا لا نجد شيئاً عن الطبيعتين في المؤمن. تلك حقيقة لم يكـــن يعرفهـــا قديسو العهد القديم إطلاقاً. والواقع أننا لا نجد شيئاً عن إدراك هذا الحق العظيم في أي جزء من أجزاء العهد القديم – ذلك الحق الذي لا يستطيع إنسان الإفادة منه أو فهمه حتى يرى المسيح بالإيمان، أو بعبارة أخرى يرى الابن ويؤمن بـــه، ولذلك فإننا نحن الآن لنا هذه الاستطاعة. نحن الآن مؤهلون لفهم هـــذا الحـــق فهماً بسيطاً كاملاً.

"فيرد على الإنسان برّه. يغني بين الناس فيقول قد أخطـــأت وعوجـــت المستقيم و لم أجاز عليه". هذا ما تقوله النفس التائبة ولو إننـــا لا نجـــد كلمـــة "التوبة" هنا. إننا نجدهم في إرميا حيث يعطينا إرميا النبي وصفاً جميلاً للتوبة في (إرميا ٣٢: ٢٥-٣٠) وإنه لمن الأمور المعزية حقاً أن تعلم أن الله جل جلالـــه

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

كان يفعل ذلك في تلك الأيام، وإنه كان معروفاً أنه يفعله، لأن الإنجيل لم يكن مكروزاً به عندئذ. كان هناك ولاشك الإعلان المجيد عن "نسل المرأة" الذي يسحق الشيطان، ولكن مهما كانت روعة وعظمة ذلك الإعلان. الذي لم يكن في تلك الأيام أقل روعة أو عظمة مما هو الآن. فإنه مع ذلك كان تقريباً الإعلان الوحيد الذي كان لديهم في تلك الأيام.

جاءت بعد ذلك إضافة صغيرة مع نوح باعتباره رمزاً. والطوفان ونجاة الإنسان منه بالفلك. ثم بعد ذلك إبراهيم كالشخص المختار. ونسله من بعده، لأنهم جميعاً كانوا يعرفون أن من ذلك النسل يأتي المسيّا. أي نعم، إن جميع اليهود المؤمنين كانوا يدركون إدراكاً كاملاً أن نسل إبراهيم الموعود. المرموز إليه بإسحق سيكون المسيّا. وكم كان جميلاً أن يتأيد ذلك بتقديم إسحق محرقة على المذبح كرمز ثم يؤخذ ثانية كما لو كان بالقيامة من الأموات، إذ منع الله إبراهيم من ذبحه، ولكنه كان تحت حكم الموت لمدة ثلاثة أيام إلى أن جاءت اللحظة الحاسمة التي فيها تدخل الله فأنقذه.

ولكن لم يكن هكذا مع ابن الله. ففي حال الصليب كان كل شيء كاملاً وفي الصليب نفّذ كل شيء في كل كماله وبركته، وهذا ما كان ممكناً أن يتم إلا في ربنا يسوع.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن شاء للإنسان أن يستفيد من تأديب الله هذا، فلزاماً عليه أن يفهم الهدف من التأديب، ولهذا اقتضى الأمر أن واحداً يفسره. ولاحظ أن كلمة "مرسل" في (ع ٢٣) معناها "ملاك" وهذا يشير إلى شخصية خارقة للطبيعة، شخصيته تعلن فكر الله. وذلك نراه كثيراً في العهد القديم بطوله حيث نفهم أن "ملاكاً" أعلن أو أوضح مشيئة الله (انظر قضاة ٢: ١، ١٣: ٣.. الخ) و"ملاك الرب" هو في الواقع ممثله تعالى، وبصورة تامة بحيث يشار إليه كالرب نفسه "ملاك حضرته" (إشعياء ٦٣: ٩) وهنا إشارة إلى الوسيط، مما تؤيده الكلمة التالية "وسيط" أو "المترجم" الترجمان (تكوين ٤٢: ٢٣، ٢ أخبار الأيام ٣٢: ٢١). شخص باعتباره سفيراً قد أرسله الله لإيضاح فكره تعالى. على أن رسولاً عادياً لا يكفي للقيام بهذه المهمة، فلابد أن يكون "واحداً من ألف". وهو تعبير أو اصطلاح يذكرنا بالقول "معلم بين ربوة (عشرة آلاف)".

إن أليهو لم يستطع أن يذهب إلى أبعد من ذلك فلابد أن يضع البرقع أو الحجاب حتى يأتي "الابن الوحيد" لكي يعلن الله إعلاناً كاملاً. ولكن هل نستطيع أن نرفض ما تنطوي عليه أقوال أليهو من دلالة رمزية (*).

(*) يقول أحد المعلقين: "إن الصلوات اليهودية تبين أن المترجم أو الترجمان مرتبطان في أذهان اليهود بفادي إسرائيل الرفيع، فيصلون هكذا: أقم لأجلنا الترجمان البار، يقول قد وجدت فدية" وهي صلاة لاتزال ترفع في الممالك الأوربية في مساء يوم الكفارة عند تقديم الذبيحة.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إذاً من هو كفؤ لتوضيح طرق الله غير ذاك الذي "أنار الحياة والخلـــود"؟ به نعلم "أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله".

"ليعلن للإنسان استقامته". ولكن استقامة من؟ يظن البعض أنها استقامة الإنسان، بمعنى أن الترجمان يعلن للإنسان كيف يعمل لكي يرضي الله. والبعض الآخر يعرفها الإنسان ولئن كان من المحتم أن يوضع الإنسان إذا أردنا أن يترفع الله ويتمجد، ولكن ألا يعنى بالترجمان شخص يعلن الله؟ ألم تكن المشكلة الـــتي واجهت أيوب أنه لم يكن يفهم استقامة الله في معاملاته معه؟ أو لم يكن الغرض الذي يستهدفه أليهو أن يجلو حقيقة هذه الاستقامة. أن ينشئ في أيوب الحكـــم على الذات أن الثقة في استقامة الله هي أساس السلوك المستقيم. "قد علمت يا رب أن أحكامك مستقيمة وبالحق أذللتني" (مزمور ١١٩: ٧٥).

استقامة الله أو برّه هو إذاً المعلن. ومرة أخرى نجد أن نور العهد الجديـــد الكامل يزودنا بلغة ملائمة "لإظهار (أو إعلان) برّه في الزمان الحاضر ليكـــون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع" (رومية ٣: ٢٦) هذا في الواقـــع أعمـــق وأبعد مدى من إعلان لاستقامة الله في طرقـــه، وتبيـــان لـــصفات عدالـــة الله الجوهرية ظاهرة في صليب المسيح حيث وجدت العدالة الفدية الملائمة.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وفي أقوال أليهو تعبير جميل عن ملاك الله، أي المرسل الوسيط. "يتراءف عليه ويقول أطلقه عن الهبوط إلى الحفرة، قد وجدت فدية" أو – بحسب أسلوب العهد الجديد – "إذ وجد فداءاً أبدياً".

هكذا يفوز بجدّة أفضل من جدّة الشباب. كما نجد مثلاً كذلك في نعمان السرياني "فرجع لحمه كلحم صبي صغير وطهر" (٢ ملوك ٥).

هي الولادة الجديدة بزرع كلمة الله التي لا تفنى. ها نحن نرى الآثار المباركة لعمل الترجمان في الإنسان المفدى فهو يستطيع الآن أن يصلي بثقة ويبتهج برضى الله، ويعاين وجهه بهتاف. فقد وجد برّاً، ليس برّ صلاحه بل برّ شخص آخر. "البر الذي من الله بالإيمان". وهذا بلا ريب يشمل تمييز الأمانة في أولاد الله. كما في حالة أيوب، غير أن المبدأ يحملنا إلى أسمى من ذلك بكثير.

وكما أنه يستطيع الآن أن يتحدث إلى الله في الصلاة، وأن يعاين وجهه بهتاف، هكذا يستطيع الشخص المفدى أن يتحدث إلى رفقائه "يغني بين الناس" أو "للناس" فقد تعلم جزءاً من أغنية جديدة سوف يسمعها الكثيرون فيتحولون إلى الرب "قد أخطأت وعوجت المستقيم" وعما قريب سيعترف أيوب بخطيئته إذ عوّج – أي أساء فهم – صفات الله البارة. وهكذا يستطيع الخاطئ أن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يسترجع في ذاكرته الوقت الذي كان فيه "مجدفاً ومفترياً". على أن هذا الإثم لم يكافأ عليه الشخص المذنب "فدى نفسي من العبور إلى الحفرة فترى حياتي النور".

هذا، كما يعلن أليهو، هو سر طرق الله. مرة رأيناه في قضية الخاطئ الذي اتضع في حضرة الله بفعل الاقتناع المقدس بكلمته، والإحساس بأن يده تعالى عليه، كما رأيناه في حالة القديس الذي يستطيع أن يقول "خير لي أني تذللت".

(ع ٣١- ٣٣) هذه الأقوال امتحان لأيوب.

هنا أليهو يهيب بأيوب (ع ٣١) أن يصغي إلى هذا كله ويستمع وإذا كان عنده شيء يقوله فإنه يسره جداً سماعه لأنه يريد تبريره. وهنا نرى الفرق بين أليهو والآخرين. أليهو يريد تبريره في حين أراد الآخرين إدانته. كانوا متأكدين تماماً من وجود شيء رديء للغاية في أيوب وكان كل همهم اكتشاف هذا الشيء وإظهاره، ولذلك فإنهم بذلوا غاية الجهد في محاولاتهم اليائسة لرفع الستار عن هذا الشيء الدفين، حتى أنهم كانوا يزدادون حنقاً وغيظاً على أيوب لأنه بدلاً من الاعتراف بخطئه كان يواجههم بحقيقة حالهم فيخبرهم بأنهم نظريون سطحيون، وبدلاً من أن يكونوا أطباء نافعين لم يكونوا سوى مجادلين

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

متعبين وأن كل ما قالوه لم يكن سوى خطأ في خطأ، ولاشك أن هـــذا أثـــار ثائرتهم وملئهم غضباً وغيظاً.

والآن. بم تجيب على هذا كله يا أيوب؟ لقد كان أليهو يود أن يكشف حالة أيوب على حقيقتها – لم يشأ أن يبرر خطأه بل أن يعامله بالعدالة. هـــو يتوقف ليسمع من أيوب رداً، لا داعي لإرغامه، ولكن ألا يقر بكل ما قيـــل؟ ألسنا نعلل شكوته بأنه اعتراف وتسليم بكل هذا الذي كنا نتأمل فيه؟.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الثالث والثلاثون

ص ع	الكلمة		معناها
٣٣: ٣	خالصة	:	صافية.
٣٣: ١١	المقطرة	:	(ص ١٣: ٢٧).
٣٣: ٢٤	فدية	:	ما يعطى عوض المفدي.
٣٣: ٢٥	أغض	:	الغصن الطري – ناضر – أكثر نعومة.
٣٣: ٢٦	هتاف	:	الصياح بصوت ممدود.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الرابع والثلاثون

الدفاع عن صفات الله

بعدما وقف أليهو منتظراً من أيوب استجابة، أخذ يواصل دعواه، والفكرة الرئيسية في إصحاحنا هي الدفاع عن صفات الله وتبريرها من مطاعن أيوب. ذلك أنه كان، ضمناً، يتهم الله بالظلم. وهذا ما كان يعنى به أليهو بصفة رئيسية. فلا تعنيه المجادلات المتعلقة بالجرائم الخطيرة التي ينسبها إلى أيوب أصحابه، ولا يتدخل في الظنون أو الغمزات أو المطاعن. إنما هو يناقش رأي الإنسان. هو يقرر حقائقه، ويستلفت أيوب إلى ضرورة الاعتراف بصفات الله التي يدافع عنها ويبررها من بضعة وجوه، ويختم هذا الجزء بتحريض رزين لطيف، ليأخذ أيوب مكان التلميذ المتواضع لكي يستفيد من التأديب الذي اجتازه. إذ تجلّت خيبته في احتلال هذا المكان، فلا شيء بعد ذلك إلا تكرار الامتحان حتى يتعلم درسه. والواقع أن الأسلوب الذي عالج به أليهو هذا الموضوع، كان معتدلاً وموضعاً للإعجاب، مشابهاً لأسلوب الأصحاب ظاهرياً فقط، والاتجاه إلى مخاطبة العقل، وإلى جانبه إبراز الحق الخاص بطبيعة الله. يقود إلى الاستنتاج الرشيد بأن أيوب هو المخطئ وليس الله. وقد أيدت حقيقة هذا الخطأ من شفتي المتألم نفسه، ومن فكرته نحو الله.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

في هذا الإصحاح يضطر أليهو أن يتكلم بطريقة قاسية. لأن أيوب وهو يبرر نفسه اتهم الله بالظلم (ص ٣٢: ٢) وهذا كان أمراً خطيراً لأنه بذلك ضم نفسه لعديمي الإيمان والأشرار وكان يجب أن يوبّخ صراحة (رومية ٩: ١٤).

لا يمكن لإنسان أن يكوّن حكماً عن الله من أفكاره الشخصية. لأنه سيضطر إلى مقارنته بالإنسان نظيره. إن الله كان يجب أن يعلن ذاته حتى تتمكن خليقته من معرفته، أضف إلى ذلك أن فهمنا بالرغم من ذلك لا يمكننا من استيعاب هذه المعرفة لكن الإيمان وحده هو الذي يستطيع ذلك، إن الله يظهر ذاته الآن بروحه لأن أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله (١ كورنثوس ٢: ١١). وهو يقود المؤمن إلى كل الحق (يوحنا ١٦: ١٣). وأليهو وهو يعلم أيوب مثال لذلك. لقد بين له أن أبعاد معرفة الله عن اختباراته تقوده إلى الضلال! ألم يستذنب الله "البار الكبير" (ع ١٧)؟.

ماذا كان يجب أن يفعله أيوب عوضاً عن التعبير عن كل هذه الأفكار الخاطئة عن الله؟ كان يجب أن يسأل بتواضع "ما لم أبصره فأرينه أنت" (ع ٣٢) إنها صلاة قصيرة نحتاج كلنا أن نوجهها إلى الرب في كل لحظة من اليوم. ولاسيما ونحن نعلم أن الناس في عماهم وجهلهم صلبوا الرب يسوع المسيح

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهو الشخص البار الوحيد "حكمتم على البـــار. فقتلتمــــوه، لا يقـــاومكم" (يعقوب ٥: ٦).

* * *

ويمكن تقسيم الخطاب إلى أربعة أقسام رئيسية، ثالثها يمكن تجزئته طبقاً لموضوعاته:

١ - (ع ١-٤) مخاطبة الحكماء.

٢ - (ع ٥-٩) اتهام أيوب لله بالظلم.

٣ - (ع ١٠-٣٠) تفنيد التهام، ويقسم إلى:

أ- (ع ١٠-١٢) لأنه الله.

ب- (ع ١٣-١٥) بسبب عنايته المحسنة.

ج- (ع ١٦-٢٠) بسبب عظمته.

د- (ع ٢١-٢٥) بسبب علمه الكلي.

هـ- (ع ٢٦-٣٠) بسبب أحكامه.

٤ - (ع ٣١-٣٧) حاجة أيوب إلى امتحان آخر.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع ١ـ ٤) مخاطبة الحكماء.

واضح أن أليهو لا يوجه خطابه إلى الثلاثة الأصحاب بوصفهم "حكماء". ولا إلى غيرهم من الأفراد المعروفين. ويُظن أنه كان يخاطب جمهوراً من المستمعين كانوا قد اجتمعوا من حولهم ليصغوا إلى الجدل. وقد يكون هذا الفكر في محله، غير أن التعبير كما يبدو ينصرف إلى رأي أو حكم الحكماء في أي وقت وفي كل مكان. ذلك بأن أليهو كان يتناول مبادئ ذات تطبيق شامل. إنما انتهز فرصة امتحان موقف أيوب.

إذ يقتبس كلماته لأيوب (ص ١٢: ١١) جاءت في صورة مثل على ما يبدو، فإنه يذكر سامعيه أن الأذن هي مدخل لقبول وامتحان الأقوال كما أن الحنك لاختبار الطعام. فليسايروه إذاً في بحثه عن مدى الحق في اتهامات أيوب أو مدى بطلانها. وهكذا اتجه الرب مرة إلى سامعيه قائلاً "ولماذا لا تحكمون بالحق من قبل نفوسكم" أي من تلقاء ذواتكم والرسول بولس يقول: "أقول للحكماء، احكموا أنتم فيما أقول".

يستمر أليهو موجهاً اللوم ليعقوب للمرة الثانية: "فيقول اسمعوا أقوالي أيها الحكماء... لنمتحن لأنفسنا الحق ونعرف بين أنفسنا ما هو طيب (أي صالح)".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع ٥- ٩) اتهام أيوب لله بالظلم.

إن أليهو، كما سبق القول – يعالج أقوال أيوب بإنصاف فهو إما يقتبسها أو يلخصها. أو يخرج منها باستنتاج. ولقد طالما أعلن أيوب، المرة بعد الأخرى، أنه بار. ولا ذنب له (انظر ص ١٠: ٧) وهذا هو محصل شكواه ضد الله. وأعلن أن الله نزع حقه (ص ٢٧: ٢)، فإذا اعترف بخطيئته، وهو بريء، فإنه يكون كاذباً، وجرحه عديم الشفاء برغم كونه دون ذنب (ص ٢٣: ٢، ٣٠: ٢٣... الخ).

على أن أليهو يشبه هذه الأقوال بأخلاق الأشرار الذين يضع أيوب نفسه في زمرهم بتوكيداته وتبريراته. فكان يشرب الهزء كالماء. (انظر ص ١٥: ١٦). ذلك أنه إذا فقدنا الإيمان ببر الله، فما الذي يبقى؟ هذا سلوك "في مشورة الأشرار" أشد خطراً من صور الشر الظاهرية.

النتيجة لتعلم كهذا هي أنه لا فائدة من السعي لإرضاء الله أو الشركة معه تعالى. ويا لها من تهمة مرعبة تخرج من شفتي أحد أولاد الله! نحن نشكر الله لأن إيمان أيوب لم يفن على الرغم من سحابة عدم الإيمان هذه، لكن أمانة أليهو اقتضته أن يضع المشرط على رأس الدمل الذي كان أشد خطراً من أوجاعه الجسمانية. وكم ذا يختلف ما تكلم به سيدنا المبارك وهو في طريق وحدته

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"حبال وقعت لي في النعماء". وفي أحلك الساحات كان يبرر طرق الله قـــائلاً "وأنت القدوس".

"لأن أيوب قال قد تبررت والله نزع حقي". أو "أنا بار" وهو في الواقع كان كذلك بالمعنى الذي أنكره عليه أصحابه الثلاثة ولكنه لم يكن بـــاراً فيمـــا يتعلق بتمجيده الله، إذ هو بالأسف قد استذنب الله – قائلاً: "الله نزع حقـــي! عند محاكمتي أكذب. جرحي عديم الشفاء. من دون ذنـــب" (ع ٦). يقـــول أيوب، إن هذا شيء لا يحتمل ولا يطاق، وهو قول غير لائق منه على الإطلاق. "فأي إنسان كأيوب يشرب الهزء كالماء". ذلك لأن قدراً كبيراً مـــن الكبريـــاء كان رابضاً في قلب أيوب الذي: "يسير متحداً مع فاعلي الإثم" (ع ٨). وكان أليهو يقول: "إنه شيء بغيض من غير المؤمنين أن يقولوا مثل هذا القول، فهـــل تقوله أنت يا أيوب! "لأجل ذلك اسمعوا لي يا ذوي الألباب".

(ع ١٠- ٣٠) تفنيد الاتهام.

يتقدم أليهو ليفند الاتهامات الموجهة ضد الله، سواء بطريقة مباشـــرة أو تضمينية. وإنه ليبرر، صفاته تعالى، إذ يخاطب الحكمة. فإنـــه لا يـــتكلم بغـــير وضوح "ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً" إنه يعـــالج القـــضية إلى التمـــام.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ونستطيع أن نميز الأقسام التي ينقسم إليها تفنيد الاتهام أن الله بـــار، وعـــادل، كالآتي:

أ ـ (ع ١٠ـ١٢) لأنه الله.

ب- (ع ١٣ـ١٥) بسبب عنايته المحسنة.

ج- (ع ١٦ـ٢٠) بسبب عظمته.

د- (ع ٢١ـ٢٥) بسبب علمه الكلي.

هـ- (ع ٢٦ـ٣٠) بسبب أحكامه.

أ ـ (ع ١٠ ـ ١٢) لأنه الله.

هنا يوجه أليهو كلامه لأيوب قائلاً: "حاشا لله من الشر وللقـــدير مـــن الظلم.. من وكّله بالأرض ومن صنع المسكونة كلها (أو جعله مدبراً للمسكونة كلها)".

من هو الإنسان الذي وكّله الله على شيء في الأرض أو جعلـــه مـــدبراً للمسكونة كلها؟ من ذا الذي فعل ذلك لله؟.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن حقيقة كونه الله، ينفي أنه ظالم. فالكامل كمالاً مطلقاً لا يمكن أن يفكر أو يفعل شراً. وهكذا يقرر يعقوب في رسالته "الله غير مجرب بالشرور". ولنفحص جيداً أسلوب النقاش هذا. إنه يتحول عن كل الأسباب الثانوية، عن المشكلات العويصة ومعميات الألغاز في العالم، ويتجه إلى الله الذي هو نور. إنه يجد راحته في الله، ويالها من راحة مباركة "حاشا لله من الشر"، "الله نور وليس فيه ظلمة البتة".

إن القدير الكلي القدرة، يستطيع أن يفعل كل شيء. ولكنه "لا يكذب". "لن يقدر أن ينكر نفسه" وفي هذا ضمان بعدالة كاملة في معاملاته مع الناس. وهو يجازي الإنسان على فعله، ويجعله يجد نتائج طرقه الخاصة. وليس يعني هذا أن أصحاب أيوب كانوا على حق في اتهامهم، بل أن الله كان يعامل أيوب في عدالة مطلقة، ليجعله يتعلم دروسه اللازمة. فكيف يفعل الله سوءاً أو يعوّج القضاء والحق؟ إنه لن يكون الله إذا كان هذا جائزاً. والجواب كما ترى غاية في الإقناع.

ب- (ع ١٣- ١٥) بسبب عنايته المحسنة.

"إن جعل عليه قلبه. إن جمع إلى نفسه روحه ونسمته" إن تخلى الله لحظة عن الإنسان فإنه يهلك لا محالة.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومن هنا نرى أن أليهو لم يكن على الإطلاق ممن يشاطرون ذلك الرأي الذي يعتقد به كثيرون حتى من الرجال الأتقياء في الوقت الحاضر، وهو أن الكون بأجمعه يسير سيراً رتيباً بفعل قانون الجاذبية. لا شك أن الله هو المحرك لجميع الأجرام السماوية ومن بينها الأرض. فهو الذي أعطاها حركتها جميعاً، ولكنه هو أيضاً الحافظ لاستمرار هذه الحركة. إن الناس ينسبون استمرار الحركة لعلل أو مسببات ثانوية، ولكن ليس من طبيعة الحركة الاستمرار من تلقاء نفسها. هذا خطأ كبير ولا وجود له إطلاقاً (*).

إن الله هو الذي يحفظ كل شيء سائراً متحركاً، وإذا سحب الله تأثير قوته المباشرة لحظة واحدة فإن كل شيء سينهار على الفور. هذا ما يعلنه أليهو هنا. إن جعل عليه (أي على الإنسان) قلبه.

"إن جمع إلى نفسه روحه ونسمته يسلّم الروح كل بشر جميعاً ويعود الإنسان إلى التراب".

ليتأمل أيوب في اهتمام عناية الله بخليقته. هي له، لم تسلم إليه من آخر. فلنفرض أنه عوض أن يذكر حاجة خليقته المعتمدة عليه، حوّل قلبه إلى ذاته

(*) لا يمكن استمرار الحركة بدون طاقة.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فحسب، لكنه غ=في غنى عن غيره. كفايته الكلية عند ذاته. لا يعوزه شيء من الخارج. وطوال الأزل الساحق وجد الله. الآب والابن والروح القدس. المسرة الكاملة في الدائرة الإلهية.

فلنفرض، كما يقول أليهو، أنه يعود إلى الكفاية الإلهية ويجعل قلبه على ذاته (وهذا معنى العدد ١٤) فماذا يكون من أمر خليقته؟ الجواب: "يسلم الروح كل بشر جميعاً ويعود الإنسان إلى التراب" (ع ١٥). "تنزع أرواحها فتموت" (مزمور ١٠٤: ٢٩). "الرب صالح للكل ومراحمه على كل أعماله". وهكذا نرى الرسول بطرس يوصي القديسين أن "يستودعوا أنفسهم" في وسط الألم "لديه في عمل الخير، كما لخالق أمين" فكم هو حسن إذاً، أن نذكر أن "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" هو أيضاً مخلصنا وسيدنا وحبيبنا.

ج- (ع ١٦- ٢٠) بسبب عظمته.

"فإن كان لك فهم فاسمع هذا وأصغ إلى كلماتي.. ألعل من يبغض الحق يتسلط؟". بهذا يبين أليهو شناعة استذناب أيوب لله "أم البار الكبير نستذنب؟" ثم يتساءل: "أيقال للملك يا لئيم؟".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

قد يكون للملك أخطاؤه ولكن مقامه ومركـــزه يـــستوجبان التـــوقير والاحترام من الناس. فنحن مطالبون لا أن نخاف الله فقط بل أن نكرم الملـــك (أي رئيس الدولة) أيضاً (أفسس ٦: ٩، كولوســـي ٣: ٢٥، ١ بطـــرس ١: ١٧).

"أيقال.. للندباء يا أشرار؟"

قد يسمح الله أحياناً بمثل هذا التطاول والنتيجة ثورة ثم انقلاب وتغيير في صورة الحكم.

وفي هذا الجزء نرى أليهو يذكر أيوب بكرامة الله وعظمته. فإذا كان من الخطأ أن تناقش استقامة الملك داعياً إياه لئيماً أو بليعال، فمن ذا الذي يجسر أن يتهم بالشر ذلك الكلي البر؟ فهو ينظر إلى الرؤساء وعامـــة الـــشعب نظـــرة متعادلة، وجميعهم عمل يديه. حياقم معلقة على مشيئته وفي لحظة يـــستطيع أن يقطعهم.ز فهل نتصوره إذاً متردداً أو غير منصف؟ الوثنيون يقولون هكذا عـــن آلهتهم أما نحن العارفون لله الحقيقي من المستحيل أن تكون لنـــا مثـــل هـــذه الأفكار.

د - (ع ٢١- ٢٥) بسبب علمه الكلي.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وبالمثل، هو ديّان – هو يرى كل شيء، ولا يخفى عليه سر ما. يقول عنه المرنم "اختبرتني وعرفتني". عينه على كل خطوات الإنسان، والشر لا يمكن أن يختفي عنه. ليس بحاجة لأن يدرس طرق الإنسان، بل للوهلة الأولى يعرفه ويدخل معه في المحاكمة. كلا ولا هو بحاجة إلى الفحص ليقرر تحطيم الأشرار. فهو يتغلغل في أعمالهم ويجلب على رؤوسهم قضاءهم الساحق فكيف نظن في إله مثل هذا، عيناه اللتان تريان كل شيء تخترق أعمق مداخل القلب، أن يكون هو بحاجة إلى حكم وتدبير؟.

هـ- (ع ٢٦- ٣٠) بسبب أحكامه.

وأخيراً، وفي كلمات قليلة يذكّر أليهو سامعيه بأحكام الله الفعلية، فهو يصفق فاعلي الشر الذين ينصرفون عنه، يذكر دعوى المسكين والمعوز. كذلك إن هو منح الهدوء والسكينة. فمن ذا الذي يشجب أو يدين؟ "الله هو الذي يبرر، من هو الذي يدين؟". إذا حجب وجهه، من يتطلع إليه، سواء في تعامله مع الأفراد أم مع الجنس البشري بوجه عام. إنه يضع الأشرار حتى لا يكونوا شركاً للشعب.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هكذا استطاع أليهو بسرعة أن يملأ الميدان. فهو لا يلقي حكمه بحسب مرأى عينيه، إنما يستمد أفكاره من الله الذي يعرفه، وبذلك يجلو لكل ذهن مستقيم ويوضح له صحة استنتاجاته.

(ع ٣١ـ ٣٧) حاجة أيوب إلى امتحان آخر.

"ولكن هل الله قال احتملت؟" احتملت التأديب؟.. ذلك ما كان يحاول أليهو توصيله إلى أيوب أو توصيل أيوب إليه. "لا أعود أفسد.. الخ".

ولكن أيوب قد تكلم بلا حذر. لأنه أضاف إلى خطيئته معصية، يصفق بيننا ويكثر كلامه على الله. هذا يأتي بنا إلى نهاية خطابه. فإذا كان أيوب يتهم الله ظلماً، فأمامه درس خطير ينبغي أن يتعلمه. ماذا في موقفه مما يفيد؟ إصرار جريء على بره الذاتي، اتهامات ضد الله، أم قرار متواضع بغلطته في احتضان مثل هذه الأفكار؟ مع هذه الصلاة: "ما لم أبصره فأرينه أنت، إن كنت قد فعلت إثماً فلا أعود أفعله" (ع ٣٢).

هل فعل أيوب هذا إن نظرة واحدة على المخاصمة وعلى مناجاة أيوب تكشف لنا العكس. فهو يخطّئ أحكام الله لأنها لم تكن طبقاً لانتظاره المحدود، القصير البصر. فأيوب إذاً كان هو الذي يختار إذلاله وليس أليهو الذي يتمنى له

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أن يعلن الحقيقة ويبرئ نفسه، إنه يعود ويخاطب رجال الفهم، ذوي الألباب. أليس الجميع ينضمون إليه في أن "أيوب يتكلم بلا معرفة وكلامه ليس بتعقل؟". ونحن، ألسنا نقر لأليهو على هذا الاستنتاج؟.

وهكذا يعبر أليهو بأمانة عن رغبته في أن أيوب يمتحن إلى النهاية، حتى يستطيع بنفسه أن يدين أجوبته التي تشبه أجوبة الأشرار. فإنه كان يقاوم الله، وبجسارة يتحداه. على أن رغبة أليهو سوف تُمنح، وأيوب – بعد قليل – يستنكر اتهاماته الباطلة ضد الله كما فعل أليهو تماماً بتمام.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الرابع والثلاثون

ص ع	الكلمة		معناها
٣٤: ١٠	الألباب	:	اللب ما زكى من العقل فكل لب عقل.
٣٤: ١٨	لئيم	:	من كان دنيء العقل – وقيل بليعال.
٣٤: ١٨	الندباء	:	مفرده ندب. شريف يتحلّى بالفضائل.
٣٤: ١٩	موسعاً	:	غنياً.
٣٤: ١٩	دون	:	نقيض فوق.
٣٤: ٢٤	الأعزاء	:	العزيز الشريف والمكرّم.
٣٤: ٢٦	يصفق	:	ضربه ضرباً يسمع له صوت.
٣٤: ٣٦	الغاية	:	النهاية.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الخامس والثلاثون

امتحان الله للإنسان

كان أليهو في الإصحاح السالف قد كرس نفسه للدفاع عن سـجايا الله وتبريرها، على أساس ما يتجلى منها في سياسته الخيرية، كما في الحقيقة الجلية وهي أن مصدر كل حق وعدالة وحكم لا بد أن يكون هو نفسه التجسيم الشامل لكل ما تراه على قياس جزئي في هذه الخليقة الساقطة.

والإصحاح الذي أمامنا الآن وثيق الصلة بالماضي بحيث أنه طالما اعتبر جزءاً من القسم ذاته، على أن من البداية الجديدة الواضحة في العدد الأول. كما في مضامين الإصحاح نفسه، سيبدو من الأوفق أن نفرد لهذا الإصحاح مكاناً منفصلاً. وباعتباره الجزء الرابع من خطاب أليهو فإن هذا الإصحاح خير امتحان للإنسان – وهو أوفق لهذا الغرض منه لتبرير الله كما في الإصحاح السالف، على أن هذا الامتحان هو إلى حد كبير على نفس نمط السير الذي مسلكه موضوع تبرير الله. وكم هو صحيح فعلاً أن ما يعلن سجاياه تعالى في كمالها، يكشف طبيعة الإنسان وطرقه: الإنسان كما هو.

استخلص أيوب من بلاياه هذه الخاتمة:

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لا ينتفع الإنسان لكونه باراً ولا فرق بينه وبين الخـــاطئ! (ص ٩: ٢٢، ٣٤: ٩، ٣٥: ٣). إنه كشف بذلك عمق قلبه! "هل مجاناً يتقي أيـــوب الله؟" (ص ١: ٩). هذا يشبه تقريباً للناس المكتوب عنهم "فاسدي الذهن وعـــادمي الحق يظنون أن التقوى تجارة" (١ تيموثاوس ٦: ٥، اقرأ أيـــضاً ملاخـــي ٣: ١٤).

لقد كان أيوب حتى ذلك الوقت لا يدري بوجود مثل هذه المـــشاعر في قلبه. كان يعرف أعماله الصالحة دون أن يعرف الدوافع السرية لها.

ليتنا ندع الروح يخبرنا بالكلمة ويميز ويكشف نيات قلوبنا (عبرانيين ٤: ١٢). هذه الخدمة قام بها أليهو نحو أيوب وهو يقول له الحق. أن بعض الأمور لا نحب سماعها ولكن "أمينة هي جروح المحب" (أمثال ٢٧: ٦، انظـــر أيـــضاً كولوسي ٤: ٦).

وعندما نتعلم هذه الدروس الـــضرورية تنتـــهي الـــدموع والـــصراخ والاستغاثات وتحل محلها "الأغاني في الليل" (ع ٩: ١٠).

هذا الإصحاح يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء:

(ع ١ ـ ٨) عظمة الله التي لا تدانى.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع ٩- ١٣) صراخ المظلومين لماذا لا يجاب.

(ع ١٤- ١٦) دعوة للثقة بالله.

(ع ١- ٨) عظمة الله التي لا تدانى.

ومرة أخرى نلاحظ ما يتسم به أليهو من نغمة الإشفاق في خطابه. ذلك بأنه لجأ في أيوب إلى عقله وضميره، رغبة منه في كسبه وإبعاده عن أفكاره القاسية الخاطئة ضد الله. حتى يثق في بساطة بذاك الذي وإن كان يستتر بالظلام إلا أنه لابد أن يكون صالحاً في كل ما يفعل. لقد رأينا قبل ومضات من هذا في أيوب. غير أنه لابد له من الحكم على كل ما يتعارض مع الأقوال السامية النبيلة التي نطق بها في البداية. يوم قال: "الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً".

وإذ يُدرج أليهو في الجزء الذي أمامنا على عادة الاقتباس من أفكار أيوب ولو بغير النص الحرفي، واستخلاص النتائج منها، فإنه ينتهي إلى هذا الاستنتاج الخطير"أنا أبرّ من الله" أوليس أيوب نفسه هو الذي قاد نفسه إلى هذا الاستنتاج؟ وذلك لسان حاله " لم أخطئ بحيث أستحق هذه المعاملة. حياتي بغير ملامة قدام الناس والله، وليس من سبب يدعو الله للتأديب والإذلال سوى

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

التعديات الخطيرة. إذاً فهو ظالم" إنه لخير لنا أن نواجه استنتاجاتنا ونتعلم غباء حججنا.

يبدو أن العددين (٢،٣) تكرار لما جاء في (ص ٣٤: ٩). مع شيء من التوسع. فقد أعلن أيوب أن دعواه أبر من دعوى الله (ع ٣) لأن الله لم يكن يبالي بما يفعل أيوب. ولا فائدة من البر كما لا جدوى من الخطيئة. تصور يا أخي إنساناً مستقيماً يخشى الله، يقود نفسه إلى مثل هذا الاستنتاج وهو استنتاج ينتهي بالضرورة إلى التعلل القديم "لنأكل ونشرب لأننا غداً أموات".

على أن رد أليهو ليس هو الرد الذي كنا نتوقعه. ذلك لأنه لا يتصدى لاستنتاج أيوب معارضاً إياه في وضوح، بل الواقع أنه يأخذ منه فكرته ويستخدمها لتبرير سجايا الله والدفاع عنها. وكأنه يقول له: "أنت تقول يا أيوب، وأصحابك لم يقنعوك فيما أبدوه من حجج – أن المسلك الذي تسلكه هو بلا جدوى سواء الخير أو الشر. لأن الله غير مبال بأيهما. نعم فالله فوقكم جميعاً. ولن تتدخل تصرفاتكم ومسالككم معه تعالى بطريقة مباشرة. فلماذا تتهمه يا أيوب بعدم الإنصاف والأنانية المستبدة في إذلالك وتأديبك؟" نعم. فإن الله – تماشياً مع رأي أيوب – لم يكن ليتأثر بما يفعله الإنسان. إذ يضار بخطيئته، ولا هو كان ليفيد من بره. ولذلك يتساءل أليهو: "كيف بك تقول أنه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ينتبه إلى الإنسان حتى أنه يؤدبك ظالماً؟". هذا من الواضح تناقض من جانب أيوب.

إن أليهو، كعادته، يتناول جانب الله. على أنه لا يتكلم الآن عن علاقاته تعالى بالإنسان، أو اهتمامه الوثيق الإلهي بمسلك الإنسان. وإنما كان يرجو لأيوب أن يتطلع إلى تلك السموات بالذات التي كان يزعم أنها ضده، ويفكر في سجايا ذلك الكامل كمالاً مطلقاً الذي لا يتأثر بنشاط الناس التافه على الأرض، الناس الذين هم في نظره تعالى كالجندب فكيف لمثل هذا القدوس قداسة مطلقة، الذي فيه لنفسه كل الكفاية، كيف له أن يتصرف بعدم إنصاف نحو من قد تؤثر فيه وفي رفاقه أخلاقه ومناهج تصرفاته، غير أنها لن تخترق تلك الأعالي الصاخبة؟ هذا ليس إلا جانباً من الحق، جانباً رأيناه من قبل، وبدرجة ما، سواء في أقوال أيوب (ص ٧: ٢٠) أو أقوال أليفاز (ص ٢٢: ٢.. الخ).

فأجاب أليهو وقال: "أتحسب هذا حقاً. قلت أنا أبر من الله؟" فهو لم يتكلم فقط ضد الله، بل حسب نفسه أبر من الله. هكذا كان فكر أيوب عن نفسه حتى حسب أن بره الذاتي أكثر من بر الله. هذا ما كان يقصده فعلاً وإن لم يقله صراحة. ولكن أليهو يضع إصبعه على الداء قائلاً لأيوب: "لأنك قلت ماذا يفيدك؟ بماذا أنتفع أكثر من خطيئتي (أو ماذا لو طهرت من خطيئتي). أنا

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أرد عليك كلاماً، وعلى أصحابك معك. لاحظ الغمام أنها أعلى منك". أتستطيع في مواجهة هذا كله أن تتكلم ضد ذاك الذي هو فوقها جميعاً؟ إن الإنسان لا يستطيع أن يتطلع إلى الشمس، وجهاً لوجه، فمن هو إذاً حتى يواجه الله؟ "إن أخطأت فماذا فعلت به؟.. لرجل مثلك شرّك ولابن آدم برّك".

(ع ٩- ١٣) صراخ المظلومين لماذا لا يُجاب.

وبعد أن أوضح أليهو أن رأيه فيما يتصل باستقلال الله عن الإنسان إنما كان رداً على اتهامات أيوب. فإنه يتقدم من فوره ليعلن أن هناك اهتماماً إلهياً بطرق الإنسان، لأنه تعالى لا ينعس، هو يرى ويسمع، ويحزن في قلبه عندما يخطئ الناس. كمالات مطلقة يثيرها الشر. ومن أجل ذلك فإنه تعالى في أمانته – لا يجيب ولا يستطيع أن يجيب على صراخ المظلومين للاستغاثة. وأليهو لا يتحدث هنا عن أيوب بطريقة مباشرة بل عن جميع المذلين وهو منهم. وهنالك سبب في أنهم لا يفوزون من القدير بالإغاثة.

هذا هو السبب: فإذ هم مشغولون بتعاستهم، ولا يطلبون الإغاثة إلا لأجل ذواتهم، فإنهم لا يفكرون في مشيئة الله أو مجده، هم لا يسألون قائلين: "أين الله صانعي؟" ما الذي أتعلمه من هذه الأشياء عنه؟ أوليس هذا يكاد يكون عاماً شاملاً؟ أين نجد الناس يتحولون إلى الله في ذلهم؟ فالجياع يطلبون خبزاً،

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولكنهم لا يحتاجون إلى الله، أعطهم خبزاً، يكتفون به ويقنعـــون أن يواصـــلوا طريقهم في جهل مطلق به تعالى. "أنتم تطلبونني.. لأنكم أكلـــتم مـــن الخبـــز فشبعتم. اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية"، "هذه هـــي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت". فهل الناس شاكرون الله من أجل بركاتـــه؟ أم أنهم يطلبون من أجل من هو في ذاته؟

ومع ذلك ألسنا أسمى بما لا يقاس من الوحوش؟ فإنه تعالى يعلمنا أكثر مما تعرفه تلك. نعم، فهو يؤتينا الأغاني في أحلك ساعات ليالي التجربة. إن عـــدم المبالاة بهذا جميعه أدى إلى تلك الحقيقة الكاسرة للقلب "لأنهم لما عرفـــوا الله لم يمجدوه كإله ولا كانوا شاكرين". فهل من عجب أن يترك الله الفقير يحس ثقل آلامه لعله يطلب ذاك الذي يستطيع وحده، لا أن يغيث فقط بل أن يكون هو النصيب المشبع؟

إن الكبرياء والبطل والإرادة الذاتية هي التي تقلب السماء نحاســاً. لأن الرب قريب من المنكسري القلوب. وهذا هو فحوى مـــا يـــسمى "الـــصلاة الربانية" أن يكون مجد الله في الطليعة. فإن تجاهل الناس ذلك، فلـــيس لهـــم أن يستغربوا من إغفال صلاتهم اليومية طلباً للخبز اليومي.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولاحظ أن أليهو يتناول المبادئ، ومن تحصيل الحاصل أن نقول أنه إنما كان يفسر سكوت الله عن صراخ الناس، دون إشارة إلى عطفه أو اهتمامه بمخلوقاته. "الرب صالح للكل ومراحمه على كل أعماله" أو ما كان في استطاعة أيوب أن يتعلم الدرس اللازم. لو أنه انتبه؟ إذاً لتقبل الوفير من مراحم الله، أوليس من سبب لسكوته الواضح تعالى في الموقف الآن؟.

(ع ١٤ـ ١٦) دعوة للثقة بالله.

هناك بعض اختلافات بالنسبة للعدد (١٤). غير أن ترجمتنا العربية تكاد تقارب الحقيقة حيث أن مفهومها يصح أن يكون خاتمة ملائمة "ومع أنك تقول أنك لست تراه فالحكم قدامه فاصبر له". لا تظن أن الله قد نسي، كن صبوراً، تعلم الدرس الذي يريدك أن تتعلمه. وما أعجبها نصيحة. هي بالفعل ما يحتاج إليه أيوب "انتظر الرب، ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب".

وكذلك يضع أليهو الجانب الآخر أمام أيوب. فلا يخامرن الوهم فكره، إنه مادام الله لا يعرف فهو لا يعلم. فإنه تعالى يرى كل عجرفة الإنسان. وهذا هو المعنى المحتمل للعدد (١٥) الذي يبدو في وضعه الحالي غامضاً. "وأما الآن لا يفتقد في غضبه. أفلا يبالي بكثرة الزلات؟". والنتيجة "الله لا يُشمخ عليه" فلا يحتقرن الناس صبره.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لهذا فغر أيوب فمه باطلاً، بلا جدوى، أكثر الأقوال بلا معرفة. وهذا هو ما سوف يضعه الله فيما بعد أمام ضميره بذلك السؤال التمهيدي المخيف: "من هذا الذي يظلم القضاء بكلام بلا معرفة؟" وهكذا تهيئ أيوب لسماع ذلك الصوت. حقاً لقد كان أليهو يجيب رغبة أيوب في المصالح. وما كان صمت أيوب إلا علامة على بداية الاقتناع.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الخامس والثلاثون

ص	ع	الكلمة		معناها
٣٥:	٥	الغمام	:	السحاب الأبيض. ومعناه يغم السماء يحجبها.
٣٥:	١٢	ثَمَ	:	اسم يشار به إلى المكان البعيد.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح السادس والثلاثون

معاملات الله مع الناس

إننا نستطيع أن نقدم مخططاً عن الإصحاح السادس والثلاثون الذي نرى فيه طرق الله مع الناس بتقسيمه إلى الأجزاء الآتية:

(ع ١ - ٤) تمهيد

(ع ٥- ٧) عناية الله بالأبرار.

(ع ٨- ١٥) هدف الضيق.

(ع ١٦- ١٨) التطبيق على أيوب.

(ع ١٩- ٢١) تحريضات.

(ع ٢٢- ٢٥) عظمة الله في أعماله برهان على استقامته.

(ع ٢٦- ٢٩) كما تتجلى في السحب وفي الأمطار.

(ع ٣٠- ٣٣) آيات حضوره تعالى.

(ع ١- ٤) تمهيد.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

في ختام الجزء السابق من الخطاب لم توجه الـــدعوة إلى أيـــوب لكـــي يتكلم، غير أن أليهو يستطرد حتى النهاية. ويرجو من أيوب أن يدعـــه يـــتكلم نيابة عن الله، فهو حينئذ يحمل المعرفة من ذاك الذي يسكن بعيـــداً. إن كـــل غايته، كل هدفه المستمر، هو أن يبرره تعالى. وإذ يفعل هذا فإنه سيتكلم بمعرفة "صحيحة" ونحن لا نحس نفخة متكبرة مردها إلى مؤهلات شخصية، بل نتـــبين إدراكاً خطيراً بأنه – أي أليهو – يتكلم نيابة عن الله.

أخبر أليهو أيوب في العدد الأخير من الإصحاح السابق بأنه فـــتح فمـــه بالباطل وكثرة كلامه بلا معرفة. وبذلك فسر لأيوب لماذا لم يجب الله ولـــيس هناك إجابة من أيوب لذا يستمر أليهو "أنسب براً لصانعي".

ويخبر أيوب "صحيح المعرفة عندك" كيف استطاع أن يقول هـــذا؟ لأن أليهو عرف في التعليم عن الرب بروحه، يتكلم فيه لأيوب وكل ما قاله أيـــوب كان باطلاً. مع كون الله قديراً فهو لا يرذل أحداً.

(ع ٥- ٧) عناية الله بالأبرار.

إن أليهو – في عبارة واحدة – يكتسح الشكوك الغير المقدسة التي كان أيوب يحتضنها "هوذا الله عزيز ولكنه لا يرذل أحداً" فمع أنه تعالى غير محـــدود

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

القوة، لكنه ينظر بعطف إلى أضعف خلائقه. هناك ناحيتان مطلقتان، طرفان متناقضان، يتجلى فيهما الله: العظمة اللانهائية، والصغر اللانهائي. فكم يعزينا الفكر بأنه تعالى "لا يرذل أحداً" لأن عظمته لم تكن على الإطلاق فرصة للتحقير أو السخرية. وحكمته قوية بلا حدود ولا قياس. لكنه لا يستخدمها ضد المساكين الضعفاء. لا يتجاهل الخطيئة، بل هو أخيراً لا يستبقي حياة الأشرار، بيد أننا نثق أنه بالعدالة الكاملة يتعامل في جميع الضيقات التي يسمح بها. فإن الأبرار موضوع عنايته، لا يحول عينيه عنهم. هم آمنون كما لو كانوا ملوكاً، أبداً يرتفعون. وهنا جواب مجادلات أيوب كلها. فبوصفه إنساناً باراً. ليس ما يحمله على الخوف. هو في أمان، وفي الوقت المعين سوف تثبت ويرتفع. ولقد كان إيمانه يبصر هذه الحقيقة من خلال الظلمة التي اكتنفته، وهنا تتقرر مرة وإلى الأبد.

"هوذا الله عزيز (أي قوي) ولكنه لا يرذّل أحداً". يا له من قول عجيب قد يظن الناس، وأكثرهم يظنون فعلاً أنه بمقدار ما يعظم جلال الله بمقدار ما يقل اهتمامه بأصغر شيء على الأرض. ولكن العكس هو الصحيح. فالله يظهر قوته وعظمته وجلال اقتداره باستطاعته السيطرة على كل شيء واهتمامه وإظهار عنايته بأصغر حشرة في الوجود.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع ٨- ١٥) هدف الضيق.

إذاً فلماذا الضيق؟ هؤلاء الأبرار الذين هم أهداف عناية الله، كم ذا "يوثقون بالقيود ويؤخذون في حبالة الذل؟" فهل هذا مناقض لما قاله أليهو؟ هو كذلك بالنسبة لأيوب إذ لم يستطع أن يتبين في قلبه إمكانيات الشر، تلك الكبرياء التي هي معصية حقيقية مثل المساوئ والشرور البارزة التي حاول الأصحاب أن ينسبوها إلى أيوب ظلماً. على أن مقصد الله من الذل والتأديب هو يطّلع الإنسان على مجفوء قلبه الشرير، ويفتح أذنيه لإنذاراته ويحوله عن الكبرياء. فإن قبلوا واتضعوا فإن آلامهم – إن آجلاً أو عاجلاً لابد أن تنتهي، حتى في هذه الحياة. وإلا فالتأديب يلازمهم إلى النهاية، فيضربون كما بحربة يده.

طبيعي أن أليهو لا يستطيع أن يتجاوز الحياة الحاضرة. لأن الحجاب لم يرفع بعد. ذاك الذي يفصل الحاضر عن المستقبل، أما نحن فنستطيع بالنور الذي لنا أن نتحدث عن "خفة ضيقتنا الوقتية" ولو ظلت طيلة العمر. إن الآلام التي من أجل البر، التي من أجل المسيح، عوض أن تكون سحاباً وظلاماً، فإنها "روح المجد والله" (١ بطرس ٤: ١٤). إن أليهو – بالضرورة – لم يكن في مقدوره أن يتكلم عن هذا. إنما هو يشير إلى المبادئ العظيمة التي تحكم البؤس

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحاضر: أي رفض المرائي الذي يغذي غضبه بدلاً من أن يصرخ إلى الله باتضاع في طلب الرحمة، هو إنما يضاعف الغضب والمحتقر سوف يلاقي قضاءه مع كل الدنسين، لكن الله يخلص المتألم المتضع. ينجيه في ذله، والذل "ينشئ" له بركة، "إنه لا يحي الشرير" فالإنسان هو موضوع عنايته الكبرى، ولكنه يهتم بكل شيء آخر. "بل يجري قضاء البائسين. لا يحول عينيه عن البار". وهذه العبارة الأخيرة هي محور هذا الإصحاح.

ففي (ص ٣٣) كان الموضوع "الإنسان" بصفة عامة أما هنا فالموضوع هو الإنسان "البار" بصفة خاصة. فالتدريب الذي يجريه الله مع الإنسان يحيطه به لكي يريحه ويقربه إلى نفسه يتجه بصفة خاصة نحو الإنسان البار لكي يحفظه مستقيماً حتى يثبت أنه إن كان الله قد برره فلا يكون ذلك لإهانته وجلب العار على مجده، لأنه في الواقع شيء مريع أن يضل قديسي الله. "لا يحول عينيه عن البار بل مع الملوك يجلسهم على الكراسي (أو العرش). فيرتفعون "إن أوثقوا بالقيود، إن أخذوا في حبالة الذل فيظهر لهم أفعالهم. ومعاصيهم لأنهم تجبروا" وأحياناً يقع الملوك فعلاً في مثل هذه الأحوال المذلة "ويفتح آذانهم للإنذار" والكلام هنا يدور حول الملوك بصفة خاصة. فيقول: "أما فجار القلب

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فيذخرون غضباً، لا يستغيثون إذا هو قيدهم، تموت أنفسهم في الصبا، وحياتهم بين المأبونين".

(ع ١٦- ١٨) التطبيق على أيوب.

أليهو يطبق هذا المبدأ على أيوب. فإن الله يريد أن يعامله هكذا، فـيرده إلى البركة والهناء الأمر الذي سينفذه سريعاً. غير أن أيوب وقف في سبيل إتمامه بما نطق به من اتهامات دنسة ضد الله هذه هي "حجة الشرير". مـسلكهم في اتهام الله، فلا غرابة أن يمسكه القضاء، "الحجة والقضاء يمسكانه" أي أن إدانـة الإنسان لله (وهذه هي حجة الشرير كما قلنا) مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقـضاء الذي يقع عليه. إن العدد (١٨) ترجم على هيئات متعددة. فهـو ذا الترجمـة الإنكليزية المألوفة تقول: "لأنه يوجد غضب فاحذر لئلا يأخذك بضربة، وحينئذ لا تخلصك الفدية العظيمة". وترجمة أخرى تقول: "لا يقودنّـك الغـضب إلى الهزء، وغضب الفدية لا تخدعنّك". وأصحاب هذه الترجمـة تعتـبر "الفديـة" التواضع. أي أنه ثمن الخلاص. غير أن الفكرة ملتوية. كما أن القول بأن عظمة الفدية لا يجب أن تغلق عيني أيوب عن حقيقة صلاح الله، فكرة بعيـدة عـن الواقع. وبالإجماع نرى أن التحذير الخطير الذي تـسوقه الترجمـة الإنكليزيـة المألوفة يلاءم المناسبة. فإن أليهو يحذر أيوب من إصراره المتكبر على اتهام الله —

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأمر الذي لابد أن ينتهي إلى نتيجة واحدة – إلى الموت فالأمر متعلق بالحياة الحاضرة. ولذلك فليحذر أيوب من "الخطيئة التي للموت" ولو بغير نور العهد الجديد. فمن الواضح أن هناك تأديباً لشعب الله قد يصل إلى مشارف الموت، بل إلى الموت، إن هم فشلوا في الحكم على أنفسهم "من أجل هذا فيكم... كثيرون يرقدون" فالعناد من جانب أيوب، عناده في رفض التذلل والاتضاع، سينتهي إلى هذه النتيجة.

(ع ١٩ـ ٢١) تحريضات.

إن ترجمة العدد (١٩) طالما كانت موضع نقاش. فالترجمة الإنكليزية المألوفة، مع بعض التراجم الأخرى، تربطه بالموضوع السابق أي ثمن الفدية العظيمة. وواحد من علماء الكتاب المقدس يربطه بالأقوال التالية. فيقول "هل صراخك يبعدك عن الضيق، وكل جهود القوة؟" وأرى أن في هذا الموضوع معنى متطابقاً لأن أيوب كان يصرخ إلى أقصى حدود قوته ولكن دون عون. كان يشتاق أن يوافيه ليل الموت كما يوافي جميع شعوب الأرض. إذاً فليحذر وبالحري ليخضع للتأديب والذل بدلاً من أن يختار طريق الكبرياء.

(ع ٢٢ـ ٢٥) عظمة الله في أعماله، برهان على استقامته.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بديع جداً هذا الانتقال من الأعداد السابقة إلى اللاحقة. وأنت تلاحظ أن كل فقرة من الثلاث فقرات الأولى (ع ٢٢، ٢٦، ٣٠) تبدأ بكلمة "هوذا". أي إله عظيم مثل الله؟ من مثله معلماً: سواء في ذهن الإنسان أو في الطبيعة؟ أو بمثله تلصق تهمة الشر؟ هلم بالحري نعظم عمله – الذي حوله تدور أغاني الناس. ومع أن الناس يبصرون المشهد من بعيد، وبالكاد يفهمون دلالاته، فإن جميع الأمم، من العمالقة ثقافة أو الأقزام جهلاً وبدائية، يحملقون في المشهد في دهشة وإعجاب.

(ع ٢٦- ٢٩) كما تتجلى في السحب وفي الأمطار.

ومرة أخرى يعلن أليهو، أو يعترف بعظمته تعالى وسرمديته. كما نسمعها في تكرار الضباب والسحاب والمطر والعاصفة. فمن خزان المياه العظيم. سواء أعلى الجلد أم تحته. يجعل المطر يسح في قطرات لطيفة تقطر على الناس بوفرة "لأنه يجذب قطرات الماء، تسح مطراً من البخار الذي يصنعه، الذي تصببه السحب وتقطره على الإنسان بوفرة". وهنا نتساءل أيها الأخ القارئ: أيستطيع العلم الحديث أن يقرر بدقة أكثر من هذه، ما هو مصدر المطر؟ وهل يتساوى جمال الوصف الإلهي مع الشاعر الذي يقول في وصف المطر "أنا ابنة الجلد والماء"؟

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

غير أن العلم والشعر معاً يهملان الله: إن كان الناس لا يرونه فما هي قيمة الباقي؟ أي نفع نجتنيه في الحديث عن الجاذبية والتمدد والتكثيف إذا كنا لا نبصر بسط أو نشر الغيوم (أي شقها كما في الترجمة العربية). أو قصف الرعد في مظلته؟ وكم هو صالح، تبارك اسمه! فلو أنه فتح طاقات السماء دفعة واحدة، فلابد من طوفان يكتسح كل حياة. فعوض ذلك، يجعل المطر قطرات، تسح على ما تحتها إنعاشاً لها. هكذا الأمر فيما يتعلق بتأديباته، فما الألم وما الحزن إلا بركات مقنعة للإيمان.

"إن السحائب التي تخشونها كثيراً"

"زاخرة بالوفير من الرحمة. ولسوف تقطر"

"بركات هامية على رؤوسكم"

(ع ٣٠- ٣٣) آيات حضوره تعالى.

وهج النور ليس إلا رداء يتشح به تعالى (مزمور ١٠٤: ٢). ورجع ليس هو إلا صوت الجالس فوق المياه الكثيرة (مزمور ٢٩: ٣-١٠) من بين يديه طعام المعوز. وقضاء المتكبر، النور من محضره تعالى يضرب إلى ذات أعماق البحر، يداه، يدا القوة. ترسلان النبال كأنها سهام تعرف الهدف "يغطي كفيه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(أو يديه) بالبرق (أو النور) ويوجهه إلى حيث ينبغـــي أن يـــضرب" (ع ٣٢). رعدة هو الصوت الجبار العاتي الذي يخبر ويعلن حضوره، والماشية الجافلة تنبئ أنه قريب!" من البهاء الذي قدامه تعبر ســـحبه الكثيفـــة.. أرعـــد الـــرب في السموات والعلي أعطى صوته.. أرسل سهامه فشتتهم.. فظهرت أعماق المياه. وانكشفت أسس المسكونة" (مزمور ١٨: ١٠-١٥).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح السادس والثلاثون

ص ع	الكلمة		معناها
٣٦: ٣	نكر	:	أمر قبيح ـ مصيبة.
٣٦: ٧	أبداً	:	(ص ١٤: ٢٠).
٣٦: ٨	حبالة	:	(ص ١٨: ١٠).
٣٦: ١٢	الحربة	:	آلة حديدية قصيرة محددة الرأس.
٣٦: ١٤	المأبونين	:	الشواذ جنسياً (خطيئة سدوم).
٣٦: ١٦	رحب	:	وسع.
٣٦: ١٦	حصر	:	الضيق والإحاطة.
٣٦: ١٨	صفقه	:	ضرب اليد على اليد في البيع.
٣٦: ٢٧	قطّار	:	المطر قطرة قطرة.
٣٦: ٢٧	تسّح	:	تسيل من فوق، تصب صباً غزيراً.
٣٦: ٢٩	يعلل	:	علل الشيء بين علته وأثبته بالدليل.
٣٦: ٢٩	قصيف	:	قصيف الرعد، اشتداد صوته.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣٦: ٣٠ اليم : البحر.

الإصحاح السابع والثلاثون

طرق الله في الطبيعة

يأخذ أليهو أمثلة من السماء في يوم عاصفة ليكشف لأيوب عن حالة نفسه وطرق الله نحوه (انظر ٣٦: ٢٧-٢٩، ٣٢، ٣٣، ص ٣٧: ٢). إن السحب المعتمة تصور الحداد والتجارب التي حجبت إلى حين عن أيوب نور وجه الله. ومن الصعب على القلب الطبيعي أن يدرك موازنة السحاب (ع ١٦) ولكن يجب أن يعرف أيوب أن هذه السحب حملها الله بماء بركة له (ع ١١، ص ٢٦: ٨) لأن المطر يمكن أن يسقط بعدة طرق، للخير للأرض (مزمور ٦٥: ١٠) أو على عكس ذلك كتأديب، كعصا (ع ١٣، قارن مزمور ١٤٨: ٧، ٨).

وهي تنزل في قطرات فائضة تأتي بالخير (ص ٣٦: ٢٧-٢٨). أو كوابل مخصب (ع ٦) أو على عكس ذلك في سيول غامرة – أمطاراً غزيرة – تتلف

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأرض دون أن تدخل فيها، في هذه الحالة الأخيرة تكون بمثابة دينونة. بـــدون تأثير على النفس ولكن ليس هذا هو فكر الله نحو عبده أيوب.

إنه يريد أن يباركه لذا يؤدبه بحساب (أرميا ١٠: ٢٤) وتجعله يقول مع المرنم: لو أن سحابة جاءت تسلبني جمالك. يا صديقي الإلهي بعد العاصفة، كما قبلها يلمع نورك (قارن ع ٢١).

* **

يمكن تقسيم الإصحاح للأجزاء التالية:

(ع ١ ـ ٥) الإنسان التافه في الإعصار.

(ع ٦ـ ١٠) يده على الإنسان في الشتاء.

(ع ١١ ـ ١٦) العواصف وآثارها المتنوعة.

(ع ١٧ ـ ٢٤) الخاتمة.

(ع ١ ـ ٥) الإنسان التافه في الإعصار.

"فلهذا اضطرب قلبي وخفق في موضعه.. الخ"

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا شيء مختلف عن الكلام الذي ختم به الإصحاح السابق، عن اضطراب المواشي قبل الرعود، من مجرد غرائزها الطبيعية. والآن عاصفة الرعد، صوت مسموع في الرهبة والقوة، تستعرض في البرق، وأليهو في وصف مفعم بالحيوية يرتعد، ويرتجف ويدعو أيوب أن يستمع إلى صوت الله فيها جميعاً، ونحن ألا نستمع إلى صوته تعالى في عاصفة الحزن التي وقعت عليه؟ ضربة الذل البارقة العنيفة. رعد تأديبه المخيف، حلّ به شقاً شقاً. ذلك أن الله كان يعمل عجباً، أشياء تفوق إدراكنا، لكن هو الله "كفوا، واعلموا أني أنا الله".

(ع ٦- ١٠) يده على الإنسان في الشتاء.

إذا كان تساقط الجليد يغطي الأرض مثل أكفان الموتى، وإذا كانت يد الشتاء الثلجية توضع على الإنسان لتشلّ نشاطه – فذلك ثلجه وجليده تعالى، وتلك يده تعالى، ليعلن للإنسان اقتداره السامي – والحيوان يعتزل متراجعاً إلى مخبئه وكأن لسان حاله يقول: لنختبئ نحن أيضاً.. "في محاجي الصخر" حتى تعبر الكوارث. وسواء أتت العاصفة في إعصار الجنوب، أو من منطقة الشمال المتجمدة، فما هي إلا نسمة القدير. فخير لنا أن نتواضع تحت يده القوية.

(ع ١١- ١٦) العواصف وآثارها المتنوعة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"من الجنوب تأتي الإعصار.. الخ" هذا كله يبين للعيان سلطان الله المطلق. وإذا كان هذا صحيحاً فيما يتعلق بالأشياء الطبيعية، أليس هو أكثر لزوماً في الأشياء الروحية.

"سواء كان للتأديب أو لأرضه أو للرحمة يرسلها". للتأديب وهو نفس الغرض من معاملات الله مع أيوب.

يستمر أليهو في وصف كمال طرق الله في الطبيعة، الثلج والمطر ورياح الصيف الحارة، وصقيع الشتاء القارس وتكوين الثلج بنسمته، والعواصف، الكل في يديه وتحت سيطرته. أنصت إلى هذا يا أيوب، أنصت. قف وتأمل عجائب الله!!

كل مظاهر القوة الإلهية هذي إنما لإتمام مشيئته. "سبحي الرب.. النار والبرد: الثلج، والأبخرة، الريح العاصفة الصانعة كلمته" (مزمور ١٤٨: ٧، ٨). أحياناً قد تكون "كالسوط الجارف"، وأحياناً "تعهدت الأرض وأرويتها: تغنيها جداً" (مزمور ٦٥: ٩)، لكنه أبداً هو الله الذي أعماله وخططه وأغراضه قدام عين الإيمان. ألا فلينسى أيوب نفسه ومتاعبه وأصحابه "ليقف ويتأمل عجائب الله!" هل يستطيع أن يعلل ويفسر هذه الأغراض؟ هل يدرك النور الذي يضيء

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

من خلف السحب؟ حقاً هي أقوال غاية في البساطة فكما أن الطبيعة متوازنـــة، كل قوة تعدل الأخرى في كفتها، كذلك في سحب الحياة هناك موازنة إلهية.

"مع التجربة يعطي المنفذ". كل الأشياء تعمل – لكنها تعمل معاً للخـــير للذين يحبون الله. نعم، فهناك موازنة للسحاب.

(ع ١٧- ٢٤) الخاتمة.

هكذا نعبر إلى "ختام الأمر كله". من هو أيوب؟ ما هو أيوب، إلا إنسان عاجز تضغطه ثيابه عند هبوب الريح الجنوبية؟ أيستطيع أن يبسط الجلد الذي – كمرآة لامعة – يعلو فوق رؤوسنا كالمقبب؟ ثم يواصل أليهو، فيتكلم بلـــسان المتضعين. وكأنه يقول: قد شرعنا نتكلم ونحن بعد تراب ورمـــاد "لا نخـــشى الكلام بسبب الظلمة". فخير لنا أن نسكت أصواتنا ونصغي إليه!.

ولئن كنا لا نرى إشراقة الشمس خلف السحب، لكنـــها هنـــاك، وفي الوقت المناسب تتبدد الغيوم وتنقشع. وهنا حضرة مخيفة، ومضة ذهبيـــة مـــن الشمال المجهول المستور. "فنظرت وإذا بريح عاصفة جـــاءت مـــن الـــشمال، وسحابة عظيمة ونار متواصلة (أو ملتفة، ملفوفة) وحولها لمعان. ومن وســـطها كمنظر (أو لون) النحاس اللامع (أو الكهرمان)" (حزقيال ١ : ٤) هو القـــدير،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ونحن لا نستطيع أن ندرك عظمته، غير أننا نعلم أن استقامته عظيمة كقوته. فلنحن قدامه سجوداً، إنه لا يستمع لأولئك الحكماء في تقديرهم.

"إني أسمع ما يتكلم به الرب، لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه" هو هنا.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح السابع و الثلاثون

ص ع	الكلمة		معناها
٣٧: ٢	الزمزمه	:	صوت يدوي من بعيد – ضجيج الرعد.
٣٧: ٣	أكناف	:	الكنف - الجانب.
٣٧: ٧	يختم	:	يضع علامة.
٣٧: ٨	أوجرة	:	حفر تجعل للوحش.

٣٧: ٩ من الجنوب : تأتي الإعصار وهو العاصفة أو الزوبعة ويشار بالإعصار في العهد القديم عادة إلى قضاء الله الذي يجريه على الأرض.

٣٧: ٩ الشمال : كما قيل عن الجنوب أو منه يأتي الإعصار قيل عن الشمال يأتي منه البرد وكان القدماء يعتبرون الشمال منطقة قتام وظلام.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣٧: ٩ البَرَد : هو قطع من الثلج تسقط من السحب وكأنها حجارة ساقطة من السماء والرب في غضبه يستخدم البَرَد كضربة عظيمة يضرب بها الناس والبهائم والزرع (خروج ٩: ١٨-٣٤، مزمور ٧٨: ٤٧، ٤٨، ١٠٥: ٣٢) وأحياناً يكون البَرَد مصحوباً بنار – وقد ضرب الرب العمالقة بحجارة عظيمة من السماء (يشوع ١٠: ١١) وسوف يكون البَرَد أحد الضربات التي سيضرب بها الرب العالم الأثيم بعد اختطاف الكنيسة (رؤيا ٨: ٧، ١١، ١٩، ١٦: ٢١).

٣٧: ١٠ الجمد : الجليد.

٣٧: ١١ ريّ : الماء الكثير المروي.

٣٧: ١٣ سواء : (ص ٢٤: ١٧).

٣٧: ١٦ موازنة : وزن السحاب بالميزان.

٣٧: ١٨ صفحت : صفح الشيء جعله عريضاً وطوّله.

٣٧: ١٨ المرآة : صفيحة من المعدن المصقول تشبيه للجلد.

٣٧: ٢٤ يراعي : يلاحظ أو يراقب.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

القسم الرابع

الإصحاحات

من الثامن والثلاثين

إلى الثاني والأربعين (عدد ٦)

شهادة الرب من الخليقة

وامتحان أيوب

وإحداره إلى التراب

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

مقدمة القسم الرابع

لقد ألفتنا نظر القارئ من قبل إلى الرابطة الوثيقة التي تقوم بين خطابات أليهو وبين أقوال الرب التي ندخل الآن في رحابها. وهو قسم لو نظرنا إليه باعتباره قطعة من العمل الأدبي لوجدنا فيه جمالاً وعظمة لا نظير لهما. لقد بدأ أليهو خطابه وقوراً وهادئاً. أدار مناقشته وأدلى بأسانيده بطريقة متقنة، وبسلطان، ليقنع الذهن والضمير. ونحسب، من الصمت الذي ران على أيوب رغم تكرار الدعوة إليه أن يجاوب، أن الحجج التي عرضها أليهو لم تفشل فيما أعدت له. ثم يستطرد أليهو فينتقل من الأسلوب التعليمي الإرشادي إلى الأسلوب الوصفي، كاشفاً عن حكمة الله وعظمته كما تبدوان في خليقته الضخمة. خذ مثلاً أوصافه للإعصار: لقد كانت من الوضوح بحيث لم يسعنا إلا أن نتصورها وشيكة الوقوع فعلاً. فومضات البروق وزمجرة الرعد تملأ نفسه رعباً ورجفة، بينما القطعان الجافلة تبدي خوفها القاتل.

غير أن ومضة ذهبية تمرق من خلال سحب الشمال العاصفة. وفي بعض كلمات في إطار من الرهبة تذكّر أيوب بصلاح الله وجلاله ويختم أليهو خطابه، ومن خلال العاصفة التي قرأنا وصفها تواً، ينطلق صوت يهوه راوياً رهيباً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

صوت يهوه! لسنا بعد نصغي إلى تخبطات العقل الطبيعي كما في أحاديث الأصحاب، ولا إلى الصرخات الزاعقة من شفتي إيمان جريح، كما في أيوب، حتى ولا أسلوب أليهو وكلامه الجلي الوقور. إنما نحن في حضرة الرب نفسه، وهو الذي يكلمنا. ذلك الصوت – لا ننسى – جعل أبوينا المذنبين يختبئان خلف أشجار الجنة. وأمر موسى أن يخلع حذاءه من رجله عند العليّقة المتوقدة، وهو بعينه الذي فيما بعد جعله يصرخ: "أنا مرتعب ومرتعد" وسط أهوال سيناء، بينما تباعد الشعب إلى مسافة قصيّة. وفي سياق التاريخ على مداه جاء الصوت بعينه هادئاً لا هادراً "صوت منخفض خفيف". تسلل رهيباً إلى نفس إيليا. يوم أيقن أنه كان واقفاً قدام الرب.

والصوت يبدو أنه يعلن عن شخصية صاحبه أكثر مما يفعل مظهره ولو أننا رأينا هيئة إنسان وما ملامحه، وراقبنا تغيرات طلعته وتقلبات إشاراته – دون أن نسمع صوته – لانطبع في إحساسنا أننا في ظروف غير عادية. وهكذا صار مع الصوت الذي جاء إلى أيوب من العاصفة حيث أدخله في حضرة من كان حتى الآن يجهل صفاته جهلاً فاضحاً. صحيح أنه كان قد تكلم عن الله أموراً شريفة لكن حضوره الفعلي لم يكن معروفاً بعد. وهذا – كما سنرى – مفتاح التغيير المدهش الذي تبدّى على أيوب.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إذا ما أدركنا الله شخصياً كحاضر معنا، فإننا ندركه حينئذ في كامل ذاتيته. فليست القوة فقط هي التي نراها، ولا العظمة، ولا حتى صلاحه تعالى، بل ذاته، شخصه الكريم، ذاك الذي في حضرته يغطي السيرافيم وجوههم إذ ينادون: "قدوس – قدوس – قدوس".

عند بحيرة الجليل في (لوقاه) رأى بطرس لمحة منه فصرخ "أخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطئ". وبفعل هذا الإعلان ذاته سقط بولس على الأرض كما سقط يوحنا من بعد، في مشاهد سفر الرؤيا. لقد كانت المظاهر الخارجية في تلك الحالات جميعاً متغايرة: من صورة إنسان متواضع في سفينة صياد، إلى جلال يملأ العرش والسموات. غير أن الحقيقة الجوهرية هي أنه بذاته، وإنه مهما يقنّع مجده ويحجبه، ومهما يكن من أمر ملاقاته للإنسان بالرحمة والنعمة، إنما هو بذاته الله الذي يتكلم الذي يعمل. وما لم يتحقق هذا، فلا عظمة الموقف، ولا جلال الظواهر الطبيعية، تستطيع أن تنقل رسالته للإنسان.

وهذا شيء واضح بطريقة مؤسفة، في الكيفية التي بها يستخدم الناس منظرة الطبيعة الهائلة، تلك المنظرة المبسوطة أمام عينيه كل يوم. فالسموات، بوصفها خيمة لا حدّ لسعتها قائمة فوق رؤوسهم كمقبب، تتألق نهاراً وليلاً، وزينة الغيوم، وجلال الجبال الشوامخ، وجمال الغابات والأحراش، والوعر

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والبحر – بم تتحدث هذي جميعاً إلى شخص لا يسمع الصوت؟ فالوثني يصطنع تمثاله، أو يسجد للشمس والقمر، ورجل العلم يمسح السموات بمنظاره التلسكوبي، ويخترق دفائن الأرض بمجهره الميكروسكوبي، هو يحدثنا في دراية علمية وشغف عن نواميس الطبيعة والكيمياء، عن الجاذبية، والتماسك والتزاوج، ولكنه ما لم يسمع صوت الرب، فإنه لا يزيد في معرفته إياه – تبارك اسمه – عن الوثني الناعس المخدوع الذي يتذلل أمام "فيشنو" المخيف.

إنما هو جهل إجرامي "لأن أموره عن المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات، أي قدرته السرمدية ولاهوته، حتى أنهم بلا عذر. لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه كإله ولا كانوا شاكرين.." (رومية ١: ١٨-٢٥). وكل الناس يحسون – بدرجة ما – بهذه الجريمة وبالانفصال الأدبي عن الله، ورغبتهم للبقاء في تلك الحالة. ذلك أنهم يوصدون آذانهم دون صوت ذاك الذي عن كل واحد منا ليس ببعيد.

إن كان هذا هو الفكر الغريزي عن هذا الإعلان الشخصي لله، فكم كان هاماً وخطيراً لأيوب أن يمسك به، ونحن الذين نتحدث عنه، كم هو محتم أيضاً أن نتحقق من صوته، صوت ذاك الذي مابرح متحدثاً إلينا في الطبيعة ومن خلال كلمته. فليكن هنا لا أن نعتزل ونختبئ بين أشجاره الجميلة، بل أن ندنو

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بأرجل غير منتعلة ووجوه مغطاة ونستمع إلى ما يقصد الرب الإله أن يكلمنا به.

لو أننا ألقينا نظرة على أقوال الرب في مجموعها لحقّ لنا أن ندهش من الطابع الذي يميزها فهي – بمعنى ما – ليست أقوالاً عميقة من حيث كشف أعماق الحقائق اللاهوتية. كما أنها ليست تعليمية مطابقة بالمعنى الأدبي من حيث أنها تفرض على الإنسان واجبه. ولا هي كذلك إعلان للحق كامتحان لأيوب إذا كان يعلم الحقائق الكامنة من حوله في خليقة الله الواسعة. إنما هذا هو الذي يجعل أقوال الرب عجيبة: فهو تعالى يتكلم ليس "بلغة" غامضة "عن الإدراك".

الجزء الذي نتناوله الآن هو الرابع عدداً كما في رأس المقال، وهو عدد يناسب مضامين الجزء كله. الرقم (٤) كما نعلم هو رقم الخليقة، كما أنه قد يشير إلى اختبار أو امتحان الإنسان، وإلى العجز والخيبة الذين يخلفهما الاختبار. فكم يذهلنا أن الخالق العظيم – يحجب مجده – ذلك "النور الذي لا يُدنى منه" ويظهر ذاته في أعمال يديه.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولعلنا لا نعدد الوقار والتوقير لإلهنا حينما نقول أن الخليقة ذاتها صـــورة من الاتضاع الإلهي. فإنها تذكرنا بذاك الذي، وقد "كان في صورة الله"، أخلى نفسه وأخذ صورة عبد، إذ صار في شبه الناس. الخليقة هي "الـــشبابيك" (أي شيش النافذة) الذي يخفي الحبيب ذاته من خلفها. على أنه هكذا يعلن نفـــسه للإيمان. إن أقمطة المحيط التي تحزم حدّه ليست إلا تشبيهاً لتلك الأحزمة الـــتي أخذها على نفسه ذاك الذي صنع كل شيء يوم صار جسداً. والكون بأســـره، ضخماً بلا حدود، إنما هو بمثابة ثياب للإله المطلق الذي يعلن ذاته هكذا.

وكذلك نستطيع أن نطبق قسمنا هذا الرابع على شخصه الكـــريم فهـــو "اتضع لينظر ما في السموات وما في الأرض" (مزمور ١١٣: ٦) ودلالة الـــرقم تشجعنا على الإيمان بأنه يدنو منا، وأن رسالته إلينا هي رسالة الرحمة.

على أن هذه الرسالة تمتحن الإنسان وتذله. فالشخص الذي يفخر ببره. ويبدو كأنه يحسب معرفته كافية كل كفاء سيُرغم على الاعتراف بجهله وعجزه وإثمه وفجوره. وقد تم ذلك إلهياً. وتم بطريقة قاطعة بحيث أن الـــدرس أوقـــف أيوب في مكانه الصحيح كل الزمن. والخليقة، مرة أخرى، هي مثل الطين الذي طلى به الرب عيني الأعمى. احتذاء به يستطيع أيوب أن يقـــول "الآن رأتـــك عيني".

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن الله يضع يده على خليقته الواسعة. السموات والأرض والبحر – وكأنه يقول إنه سيد ورب الجميع، وكأنه يقول لأيوب "أوَ ترتاب في قوة هذا الخالق أو في حكمته؟ أوَ ترتاب في صلاح من يرسل مطره ليمنح الأرض خصوبة لحاجة الإنسان؟ أو أمانة من يهدي مراحمه لمخلوقاته يوماً فيوم؟

من شأن هذا أن يقودنا للتساؤل عما إذا كنا نتوقع معنى أعمق لهذه الأسئلة أو المسائل المرتبطة بالطبيعة – أي ما إذا كانت هناك دلالة أدبية أو روحية تنطوي عليها. أن الخليقة مثل ضخم، نفشل في التقاط دروسه إذا لم نعثر كما قلنا من قبل على الحقائق الرمزية الغنية الكامنة تحت السطح. ونحن هنا لا ندعي الاستبداد في عرض الآراء فكل ما نقوله خاضع للتعديل والتصحيح، غير أننا لا نتردد في القول بأننا يجب أن نبحث عن معاني الله السرية الكامنة في أعماله وأفعاله.

ويشجعنا على ذلك أنه قال "من يطلب يجد" ولكن لنتناول موضوعنا بطريقة مرتبة.

إن شهادة الرب هذه يمكن أن تنقسم قسمين رئيسيين، يتميز أحدهما عن الآخر بالتجاوب الذي يظهره أيوب لكل منهما.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

١- الخصائص الإلهية كما نراها في الكون (ص ٣٨ – ص ٤٠:٥).

٢- سيطرته تعالى على خلائقه (ص ٤٠: ٦– ص ٤١: ٣٤).

كل واحد من هذين القسمين يتميز بطابعه الخاص بينما يرتبط الاثنان معاً برباط وثيق. فأولهما – بصفة عامة – يتناول قوة الرب وحكمته وصلاحه، ظاهرة في أعمال الخليقة والعناية، وفي الآخر نجد سيادته تعالى على تلك الوحوش الغير المروضة التي تتحدى وتناوئ قوة الإنسان. والخطاب إجمالاً قد جاء بأسلوب السؤال. لقد حسب أيوب نفسه في مركز الحكم على الرب وعلى طرقه. وهنا اختبار لكفايته: فما الذي يعرفه؟ ما الذي يستطيع أن يفعله؟ فهل المخلوق، ذاك التافه قوة، الجاهل، المليء – مع ذلك – كبرياء جوفاء: هل له أن يزعم نفسه معلماً لله من حيث واجباته، يكشف له أخطاءه تعالى، وليسلبه – في الواقع – كل امتيازاته؟ ومن الجوابين الذين نطق بهما أيوب نلمس أثر محاجاته الرب أسئلته، ففي رده الأول حقر نفسه ووضع يده على فمه وفي الآخر يقر إقراراً كاملاً بكبريائه الخاطئة ويرفض ذاته، وبهذا يعد الطريق لاسترداد مركزه ورجوعه إلى الرخاء والنجاح.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نستطيع أن نقول أن الجزء الثاني من خطاب الرب قد أفرده لإذلال كبرياء أيوب حين وضع أمامه المخلوقات التي تتجلى فيها هذه الكبرياء بطريقة رمزية.

ونلاحظ أن الحديث الأول (ص ٣٨، ٣٩) فيه صور الله لأيوب قدرته العظيمة التي تظهرها خليقته: الأرض والبحر، الثلج والمطر، الثريا والجبار.. ولكن خليقة الله لا تعلن لنا قدرة الخالق فحسب، بل تعلن أيضاً رحمته. تلك الرحمة التي تظهر في اعتناءه بأدنى المخلوقات، حتى "فراخ الغربان" وبأقلها فهماً "النعامة" أيمكن إذاً أن يكون هذا الإله القوي الرحيم هو سر تعب الأبرار وشقائهم؟ محال.. فمن يكون إذاً مصدر هذا التعب؟

أعتقد أننا في الحديث الثاني للرب نجد الإجابة. فالرب بعد أن ذكر لأيوب قوة الشر والأشرار (ص ٤٠: ١١) أسهب في وصف حيوانين هائلين بهيموث ولوياثان. وفي هذين الحيوانين نجد تصويراً عجيباً ودقيقاً للشيطان سر البلاء والشقاء – ومما يقوي فينا الاعتقاد بأن هذين الحيوانين هما تصوير إلهي للشيطان – أننا لا نجد في الخليقة ما يشبهها بين الحيوانات. ولو كان المقصود من ذكر هذين الحيوانين هو فقط توضيح قوتهما بالمقابلة مع ضعف أيوب لما

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

كانت هناك إضافة تذكر على ما سبق أن قاله الله في حديثه الأول عندما تحدث عن الأسد، وعن الثور، وعن الفرس وعن النسر.

ثم لماذا كانت الحاجة لهذا الفاصل بين الحديث الأول والثاني (ص ٤٠: ١-٥)؟ إننا نعتقد أن فكرة جديدة الآن يريد الرب توضيحها أبعد من مجرد تصوير قوته ورحمته التين كانتا موضوع حديثه الأول. إذ يصور هنا عدو الله والإنسان، ذلك العدو الرهيب. سر التعب والتشويش في كل مكان، ورمز القوة والكبرياء، مصوراً بهذين الحيوانين، بهيموث، ولوياثان (*).

إصحاح ٤٢

ثم تكلم أيوب أخيراً:

(*) إن أقرب الحيوانات المعروفة، من بهيموث ولوياثان، هما فرس النهر والتمساح على التوالي. إلا أن فرس النهر (وكذلك الفيل) ذيله صغير وضعيف، ولا يمكن أن يشبه بارزه (ص ٤٠: ١٧).
كما أن التمساح ليس له لسان، أو له لسان صغير جداً ملتصق بفكه الأسفل، ولا يكاد يحسب (ص ٤١: ١).
يرى بعض الشراح في هذين الحيوانين أيضاً صورة للشخصيتين اللتين ستظهران في آخر الأيام وتكونان تجسيداً للشيطان، وبواسطتهما سيثور الاضطهاد على الأمناء والأتقياء بعد اختطاف الكنيسة، أعني بهما الوحش والنبي الكذاب. فبهيموث يصور الوحش الطالع من الأرض، ولوياثان يصور الوحش الطالع من البحر (رؤيا ١٣).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لكم تكلم أيوب طوال السفر، لكن كلامه هذه المرة (ص ٤٢) مختلف، بعد أن تنازل الرب وتحدث إليه بنفسه. "فقال أيوب للرب. علمت أنك تستطيع كل شيء. ولا يعسر عليك أمر". وهكذا علم أيوب أخيراً أن الله في قدرته أن يمنع الشر قبل وقوعه لو أراد. فحاشاه أن يكون مثلنا أضعف من الشرير (ص ٤٠: ١١، ١٢، ٤١: ١٠)، لكنه ليس كلي القدرة فقط، بل كلي الحكمة أيضاً. وعندما نتدخل بأفكارنا المحدودة في أفكاره العالية ننطق بما لم نفهم، بعجائب فوقنا لم نعرفها. فمعرفة الله ارتفعت فوقنا، وهي أسمى من إدراكنا (مزمور ١٣٩: ٦) وكما أن معرفة الله عجيبة فإن أعماله أيضاً عجيبة، وهو لا يخطئ قط (مزمور ١٣٩: ١٤).

وعن قريب سيتم القضاء. قضاء الرب الرهيب على لوياثان هذا "بسيفه القاسي العظيم الشديد (إشعياء ٢٧: ١) إشارة إلى قضاء الرب على قوى الشيطان، بل وعلى الشيطان نفسه "في ذلك اليوم" أي يوم الرب. كما نفهم من كلمة الله.

عند ذا نهديك شكراً أيها الرب يسوع

قائلين هللويا وستمسح الدموع

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نعم، عند ذلك سنقول مع المرنم "ما أعظم أعمالك يا رب، كلها بحكمة صنعت". كلها بما فيها لوياثان هذا الذي خلقته ليلعب في البحر الكبير (مزمور ١٠٤: ٢٤-٢٦). دعه إذاً ليلعب دون أن تنشغل به. فإن "الـــرب في العلـــى أقدر" (مزمور ٩٣: ٤).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998−2005, All rights reserved.

الإصحاح الثامن والثلاثون

إعلان خصائص القوة أو سجاياها

يتكون هذا الإصحاح من ٣٨ عدد، ذلك لأن الآيات الثلاث الأخيرة منه تتبع في الواقع الإصحاح الذي يليه إذ نبدأ هناك في الدخول إلى عالم الحيوان في الطبيعة، في حين كل ما نلاقيه في إصحاحنا يدور حول ما يسمى عالم الجماد، ولكن الجماد جزء من خليقة الله تماماً كالحيوان، ومع ذلك فإن الطبيعة الحيوانية تسمو فوق كل شيء ليس فيه حياة. نعم، فإن الحياة شيء عجيب للغاية حتى وإن كانت في حيوان، مهما كان صغيراً، فإنها تميزه عن كل شيء ليس له حياة إطلاقاً.

والآن يطالعنا هذا الإصحاح بالرب نفسه متكلماً. لقد تكلم الرب بعد ذلك في جبل سيناء بكيفية تناسب الناموس، فإن ناموس الله إذ أعطي للإنسان – الإنسان الخاطئ كما كان الحال عندئذ – فلابد أن يكون خدمة موت ودينونة (٢ كورنثوس ٣: ٧. ٩). وهنا نلاحظ أنه بسبب ما يوجد من نقص في القانون البشري قد يفلت الإنسان المذنب، وعلى ذلك فبقدر ما يكون القانون محكماً بقدر ما يضمن الوصول إلى كل مستحق للقصاص. وناموس الله

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

من هذه الناحية كامل للغرض الذي أعطي من أجله كدستور للإنسان الساقط على الأرض، لكبح جماح الإنسان والحد من زوغانه. وإلا فالدينونة والمــوت جزاؤه.

ولكن هنا سبب آخر يتكلم الرب من أجله، لأنه كانت هناك غايــة أو عاقبة للذين يؤمنون، ولابد أن يعرفوا أن الله يعنى بهم، وهذا أيضاً بغض النظــر عن الشعب القديم ومعاملات الله الخاصة بهم (لأن أيوب كما نذكر لم يكن من هذا الشعب) وأن عين الله ترعى كل خليقته على وجه الأرض، بغــض النظــر عما إذا كانت صغيرة أو كبيرة، شرسة أو مسالمة لا فرق، لأنها جميعاً مخلوقات الله، ولله علاقة دائمة بها كما يرينا هنا. ذلك كان درساً عظيماً جداً لأيــوب. لقد نسي أن الله يهتم بذات شعور رؤوسنا لأنها جميعاً محصاة عنده، ولا يسقط عصفور واحد إلى الأرض بغير علمه. ولكن الله يتناول هذه الأمور كلها بحسب عظمته الخاصة، وعظمته فوق عقل الإنسان، وفوق متناول إدراكــه، ولــذلك كان هذا بالذات هو غرض الوحي هنا. وهو أن يبين لأيوب غباوة تجاسره على الحكم على معاملات الله ومحاولة إسناد العيب إليها لحظة واحدة. ولعلنا نذكر أن في أحد الإصحاحات (ص ٢٣) يذكر أن أيوب تمنى لو أن الله تخلــى ولــو لفرصة وجيزة عن طبيعته المرهبة وسمح له بالدنو منه لشرح قضيته والدفاع عن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نفسه أمامه. وها نحن نرى الرب يوافيه بالجواب. ولسنا بحاجة إلى القول أنه الجواب لكل شخص، لكل شخص عنده خوف الله في كل عصر وجيل، إن نور المسيح لا يقلل إطلاقاً من قيمة هذا السفر بل بالعكس ينبغي أن ندرك مرامي هذا السفر إدراكاً أعظم بفضل ذلك النور.

الأعداد ١-١٨

في إصحاح ٣١: ٥ يصيح أيوب "ليجيبني القدير!" (قارن ما قاله له أليفاز في ص ٥: ١) لكن الله الذي كان يظن أنه لا يسمع ولا يمكن الوصول إليه يستجيب لرغبته ولكن ليس كما كان يظن أيوب. لأن الرب بدلاً من أن يجيب على أسئلته نراه يسأله بدوره عدة أسئلة. ونحن نرى الرب يسوع يتبع هذا الأسلوب في أحيان كثيرة مع المتحدثين إليه (مثلاً لوقا ١٠: ٢٥، ٢٦، ٢٠: ٢-٤، ٢١-٢٤) لقد كان أيوب في حاجة لأن يذله بسبب مدحه وافتخاره بذاته (ص ٣١: ٣٧) وهذا هو ما فعله الرب معه بأسئلته إذ جعله يقيس مدى صغره وجهله العميق، (قد يخدع الإنسان نفسه بما عنده من معرفة ولكن عندما تكون المعرفة صحيحة يعرف الإنسان حقيقة نفسه ويصل إلى هذه النتيجة). لذلك نرى في أغلب الأحيان أن أعظم العلماء هو أكثر الناس تواضعاً – وقال واحد من المؤمنين: عندما يصغي الإنسان، يتكلم الله.." والله في صبره

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ترك لأيوب وأصدقائه فرصة الكلام والتعبير عن أفكارهم الخاطئة، ثم يكلف أليهو بأن ينقضها. وأخيراً سكت الجميع وتكلم الله ولا شك أن له الكلمة الأخيرة. ليتنا نتعلم نحن أيضاً أن نفرض السكوت على أرواحنا المضطربة حيث يمكن أن يسمعنا الله صوته.

الأعداد ١٩ـ٣٨

إن الخليقة هي أول شهادة يشهد بها الله عن نفسه، وكل إنسان بدون استثناء مسئول أن يميز بالعقل "أموره غير المنظورة.. قدرته السرمدية ولاهوته". إن التأمل في مخلوقاته دون الاعتراف بالذي صنعها وتمجيده يجعل الإنسان بلا عذر (رومية ١: ١٩، ٢٠).

إن الله يدعونا مع أيوب للإعجاب بالكون الجميل، ومن يستطيع أن يتحدث عن عجائب الخليقة نظير الذي صنعها؟ إن الذي خلق النور الذي "ربط عقد الثريا" ووضع "سنن السموات" (ع ٣١-٣٣) هو الذي تنازل ليهتم بنفس واحدة مثل نفس أيوب، وهو لاشك يهتم أيضاً بنفسي ونفسك، كما تقول ترنيمة: "إن الخاطئ البائس له قيمة في عينيه أكثر من نجوم السماء التي لا عدد لها"؛ إن الناس في كل الأزمنة اهتموا بفحص السموات وبعضهم كرسوا حياتهم لها. أليس من الأكثر فائدة أن نكرس حياتنا لفحص الكتب؟

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(يوحنا ٥: ٣٩)، لأنه إن كانت "السموات تحدث بمجد الله" (مزمور ١٩: ١) فإن الكلمة تشهد لنعمته.

* * *

يوضح هذا الإصحاح خصائص القوة أو سجاياها الإلهية. من حكمة وصلاح، على النقيض من عجز أيوب وجهله. ومن هنا فقد كان محصوراً بأن يعترف بافتقاره إلى الصلاح في اعترافه "أنا حقير".

وينقسم إلى الأجزاء التالية:

(ع ١ـ ٣) دعوة الله لأيوب.

(ع ٤ـ ٣٨) أسئلة عن أعمال الخليقة.

(ع ٣٩ـ ٤١) إعلان عنايته تعالى بمخلوقاته.

(ع ١ـ ٣) دعوة الله لأيوب.

ليسكت الإنسان فصوت الرب يبدأ التكلم. القدير والخالق ورب الجميع يأتي الآن في المشهد. هو أيضاً مثل أليهو المستمع الصامت سمع شكوى أيـــوب وثرثرة أصحابه. وانتهى تعبير أليهو العجيب الموحى به من الرب. تهب عاصفة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الرعد وبلا شك عاصفة حرفية والسحب الداكنة تتجمع "ثم يأتي من السماء نور ذهبي، الله يظهر في جلال عجيب".

النور الذهبي من وجود الله ومجده يظلل المشهد خارجاً من الزوبعة يسمع صوته. فهذا هو الصوت الذي يصفه داود في مزمور عاصفة الرعد (مزمور ٢٩) هكذا يصف الصوت بصورة عجيبة الذي على الحياة مملوء بالجلال، الصوت الذي يكسر الأرز، الصوت الذي يقسم لهيب النار وعندما يمجد داود هكذا صوت الرب فهو يظهر مطاليب هذا الصوت "قدموا للرب يا أبناء الله قدموا للرب مجداً وعزاً قدموا للرب مجد اسمه اسجدوا للرب في زينة مقدسة".

كما أن ذلك الصوت مهيب في جلاله سيجلب السلام "الرب يبارك شعبه بالسلام" أي مشهد كان هناك في أرض عوص عندما تكلم صوت الرب من الزوبعة – نستطيع أن نتخيل كيف أن أليهو انتحى جانباً وغطى وجهه وأليفاز وبلدد وصوفر فجعوا مفزوعين وسقطوا على وجوههم في التراب بينما أيوب الصامت مأخوذ بالخشية لم يجرؤ النظر إلى فوق. وما تكلم به فهو لقصد واحد هو أن يتضع أيوب ويضع نفسه في التراب.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

كان آخر تعبير لأيوب هو هذا "ليجبني القـــدير" (ص ٣١: ٣٥) فـــالله يجيب الآن "من هذا الذي يظلم القضاء بكلام بلا معرفة".

هنا يطالعنا الرب (يهوه) وأول ما نلاحظه أن هذا الاسم الكريم لم يظهر بعد الإصحاح الثاني (فيما عدا ص ١٣: ٩) في القسم التـــاريخي الـــذي بـــدأ بالإصحاح الثالث ولكن الآن بعد أن يختم هذا القسم (إذ كان ختامه الإصحاح السابق) يعود الرب فيظهر ثانية. وهو يطالعنا له المجد متحدثاً بحسب ســـلطانه المطلق وبحسب علاقته بخليقته، وهذا بالضبط المعنى الذي يدل عليه اسم "الرب" – ليس الله في كيانه المطلق المجرد ولكن الله في علاقته بالإنسان علـــى الأرض، ومن هنا يجاوب أيوب ولكنه يجاوبه من العاصفة لأنه جواب موبخ. "فأجـــاب الرب أيوب من العاصفة".

لقد كان مقصوداً بالجواب أن يكون توبيخاً وأن يشعر به أيوب شعوراً حقيقياً ويستفيد منه. والواقع أنه شيء رهيب للغاية أن لا يوبخ الله إنساناً على الأرض، فذلك معناه دينونة إلى الأبد، أما الذين لهم علاقة حيـــة بـــالله فـــإنهم يختبرون أيضاً تدخله له المجد – ليس مجرد وجود هذه العلاقة بل الـــدليل علـــى وجودها وهذا ما كان يبينه الله في هذا السفر موضحاً بهذا النور العظيم كيـــف

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يتعامل معنا وفقاً لهذه العلاقة وكيف كان ينبغي على أيوب أن يحذر من إقامة نفسه قاضياً على الله.

"مَن هذا الذي يظلم القضاء بكلام بلا معرفة" ولا يقصد الرب من هذا أن أيوب لم يكن يعرفه إطلاقاً ولكنه يقصد أن معرفته كانت محدودة، وإن معرفته لم تكن كاملة فيما يتعلق بمعاملات الله.

"أشدد الآن حقويك كرجل، - كبطل – فإني أسألك فتعلمني".

هذه كلمة عجيبة، فالله كان مزمعاً أن يسأله عدداً من الأسئلة. لقد تساءل أيوب (متشككاً) عن معاملات الله، وها هو الله الآن يرد عليه فيقول ها أنا مزمع أن أسألك أنت فتجاوبني كرجل إن استطعت.

من العاصفة، منم السحابة العاصفة الذهبية (ص ٣٧: ٢٢) يجاوب الرب شكوك أيوب الباطلة ومرائيه. ويكفي أن نلاحظ أنه لم يكن رداً على أليهو، الأمر الذي يباعد عنه الفكر بأنه هو الذي كان يظلم القضاء أو المشورة. لقد كان أليهو المتحدث بلسان الله، وكان يمهد لهذا الإعلان أو الظهور الإلهي. وكما كان أليهو يخاطب أيوب في أقواله جميعاً، هكذا سمح الرب أن يلاحق أقوال عبده. مرة قال أيوب "من لي بما يسمعني.. ليجبني القدير" (ص ٣١:

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣٥) وهاهو الآن يحصل على أمنيته، ولكن ما أشد اختلاف النتيجة! يــوم ذاك قال "أدنو منه كشريف" (ص ٣١: ٣٧). ولكن بعد أن سمع صوته تعالى أجاب "ما أنا حقير" يتسائل الرب "مَن هذا الذي يظلم المشورة" الذي يخفي مقاصــد الله والحق "بلا معرفة؟" لقد صــب أيــوب ســيلاً مــن الأقــوال والمراثــي والاحتجاجات والاتهامات. وكثير منها كان حقاً عظيماً، لكنه فيما يتصل بمـا قصد الله قد أتلف وأفسد كل ذلك، حينما رفع بره الذاتي على حساب بر الله. وبدلاً من النور، بدلاً من شعلة الحق الإلهي الصافية، هوذا ســحابة مدخنــة، سحابة عدم الإيمان، تظلم الشمس في السماء. فمن الفاعل؟ هل هو كائن إلهي، نظير الرب، ذاك الذي يجادله في أعمال غيره؟ أهو ملاك مقتدر، مزود بالحكمة الإلهية، ذاك الذي يجسر على إلى إلصاق التهمة ضد صانعه؟ كــلا! بــل هــو إنسان، زائل، جاهل، خاطئ. ولا ريب في أن تساؤل الرب قد حوّل أيوب من أخطائه الوهمية: إلى ذاته. وهوذا المرنم، وهو يرقب الخليقة السماوية، يتــساءل "من هو الإنسان؟". إن إبراهيم وهو في حضرة الله لم تسعه إلا أن يقــرر أنــه "تراب ورماد". وبولس يسد فم المعترض فيقول "بل من أنت أيهــا الإنــسان الذي تجاوب الله؟" (رومية ٩: ٢٠) الإنسان – ذاك المخلوق المحــدود، الغــير المعصوم، الساقط – أيكون أكثر عدالة من صانعه؟.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا هو سؤال الله لكل أقوال الناس الباطلة. قد تكون صرخات من ظلم وهمي، أو مجادلات جوفاء من قبل الذهن البشري لتفسير أحوال العالم من حولنا. وظروف الأسرة البشرية بوجه خاص. ولكن مهما تكن الصورة التي تتشكل إليها أقوالهم، فهي إنما تظلم الحكمة الحقة. وعلى جميع الطرقات التي تؤدي إلى المكتبات الحافلة بمجلدات العلم البشري من تاريخ وفلسفة، مجلدات تستبعد – إن عمداً وإن جهلاً – إعلان الله: على أيوب تلك الطرقات يمكن أن ينقش هذا السؤال الإلهي.

ومع ذلك فإن الله لا يقصد أن يسحق أيوب بل بالحري أن يأتي به إلى معرفة ذاته ومعرفة الله، المعرفة الصحيحة، فليشدد حقويه كرجل. ذلك أن الله لا يعرض أسئلة يستعصي على الإنسان إدراكها. فإذا كان حقواه "ممنطقين بالحق". فإنه يستطيع أن يجيب على هذه الأسئلة، وسيجيب. ومخاطبة الرب لأيوب على هذه الصورة تكشف عن مقاصد رحمته لعبده. هو تعالى يخاطب العقل في أيوب. وبالتبعية الضمير فيه. فيقوده من خلال مشاهد الخليقة الواسعة المألوفة أفيستطيع أن يحل واحداً من ربوات ألغاز وأسرار الخليقة؟ أيستطيع أن يكشف مخبوء أسرار الطبيعة؟ إذا لم يكن هذا ميسوراً له، فلماذا يحاول أن يعلن مشورات الله، ويقتحم دائرة مقاصد ذاك الذي لا يجاوب عن كل أموره، عمن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يقول ذلك الرسول الساجد "ما أبعد أحكامه عن الفحص، وطرقه عن الاستقصاء؟".

(ع ٤ـ ٣٨) أسئلة عن أعمال الخليقة.

قد أقبلنا الآن على هذه الأسئلة المتعلقة بخليقة الله والتي تعطينا دائرة مستكملة عن الحق الإلهي، كما يبدو هنالك، من إحدى الزوايا، ببساطة ملحوظة تنطوي عليها هذه الأسئلة، بساطة قد تؤدي إلى إجابات متسرعو ولو سطحية ونستطيع أن نتصور طالباً جامعياً، لديه معلومات جيولوجية، أو مبادئ الجغرافيا الطبيعية أو علم الفلك. يجلس أمامه ورقة الأسئلة، راضياً عن نفسه.

ومع ذلك فلا يحسبن العلم الحديث أنه كفؤ للجواب على هذه الأسئلة التي عجز أيوب عن الرد عليها. نحن لا ننكر أن هناك تقدماً في المعرفة الخارجية، وكشوفاً خطيرة لنواميس ومبادئ الطبيعة العظيمة، ولكن هل يستطيع عالم اليوم أن يقدم لهذه الأسئلة الإلهية إجابات أكثر دقة وإشباعاً مما استطاعه أيوب قديماً؟ ومع ذلك، فما هي المعرفة الإنسانية — كما قال سقراط — إلا المعرفة بجهلنا؟ إن أقوال أيوب النبيلة (ص ٢٨) تدل على أنه كانت لديه بعض اللمحات عن هذه الحقيقة العظيمة، وذلك عندما استراح قليلاً من متاعبه. وما هو مفتاح هذه الأسئلة جميعاً؟ هو الله، هو معرفته تعالى معرفة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

صادقة. فإذ نعرفه، فإننا حينئذ نعرف صاحب ومصدر المعرفة. أسقطه – تبارك اسمه – من حسابك. ومن ثم، لن تكون مجموعة العلوم سوى حائط أصم خاوٍ، تكمن من خلفه كل الحقائق المستورة.

هذه الأسئلة مجمعة في سبعة أجزاء:

(١) أساسات الأرض (ع ٤ – ٧).

(٢) تخوم البحر (ع ٨ – ١١).

(٣) النهار والليل (ع ١٢ – ١٥).

(٤) الأعماق المجهولة (ع ١٦ – ٢١).

(٥) العناصر (ع ٢٢ – ٣٠).

(٦) الأجرام السماوية (ع ٣١ – ٣٣).

(٧) السحب والتحكم فيها (ع ٣٤ – ٣٨).

[١] (ع ٤- ٧) أساسات الأرض.

"أين كنت حين أسست الأرض؟". يا له من سؤال محير ماذا كان يعرف أيوب عنه؟. "أخيراً إن كان عندك فهم؟" والواقع أنه لا يفهم شيئاً عن هذا

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأمر. "من وضع قياسه. لأنك تعلم؟". إنه في الحقيقة لا يعلم. "أو من مدّ عليها مطماراً. على أي شيء قرّت قواعدها؟". هناك حقيقتان خاصتان بالأرض. أولاهما الثبات والاستقرار في الوقت الحاضر وذلك ما يشار إليه هنا بالقواعد والأسس. وثانيتهما ونجدها أيضاً مذكورة في هذا السفر هي أن الأرض معلقة على لاشيء (ص ٢٦: ٧). وهذه الحقيقة الثانية لم تخطر على ذهن أحد من البشر سوى مؤخراً نسبياً وحتى العلماء لم يتوصلوا إلى معرفة هذه الحقيقة إلا في العصور الحديثة. ولكن هاهي تسبقهم في الكتاب المقدس. إن الأرض معلقة على لا شيء، وهي لذلك تتمتع بثبات عظيم وانتظام رائع دقيق في مدارها، حتى لكأنها تبدو أن لها الأساسات العميقة الراسخة. ولكنها بهذا وذاك تبين عظمة قدرة الله، لأنها وإن كانت معلقة على لا شيء من المخلوق فإنها معلقة تعليقاً كاملاً على قوة الخالق.

"عندما ترنمت كواكب الصبح، وهتف جميع بني الله" لقد خلق الله الملائكة قبل أن يخلق الأرض ولكن هذه الحقيقة لا يشار إليها في الإصحاح الأول من سفر التكوين والسبب واضح.

فالهدف الأول في (تكوين ١: ١) هو إعلان خلق جميع الكون حيث لم يكن شيء. فالله خلق الكون، السموات والأرض، وكل ما فيهما، ولكن في

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

حالة تختلف جد الاختلاف عن حالتها الراهنة هذا ما يعلنه (تكوين ١: ١) في البدء خلق الله السموات والأرض، ثم يأتي العدد الثاني ليبين أن انهياراً كاملاً قد حدث . حالة خراب أو (Chaos) وغير المؤمن يبدأ دائماً بهذا، ولكننا نحن نبدأ بالله الخالق. ولكن حالة الخراب المشار إليها كانت كلية الأهمية للإنسان عندما يُخلق على الأرض إذ كيف كان يمكن للإنسان بدونها أن يصل إلى أحشاء الأرض وينتفع بما اختزنته له أعماقها من كنوز؟ كيف كان يمكنه العلم للاستفادة بما احتوته من نفائس الذهب والفضة والأحجار الكريمة والمرمر والإردواز والجرانيت وسائر الأشياء الأخرى النافعة إلى أقصى حد والتي سبق الله فخلقها قبل خلق الإنسان. وقد كانت كلها مخبوءة في أعماق أغوار الأرض و لم يكن ممكناً للإنسان أن يشتبه مجرد اشتباهٍ في وجودها ثم يتحول هذا الاشتباه إلى يقين وبالتالي يبدأ الإنسان في البحث عن هذه المعادن والكنوز الثمينة الكامنة في باطن الأرض – تقول إن هذا كله لم يكن ممكناً إلا بفضل شيء واحد وهو ذلك الانقلاب الخطير أو الخراب الشامل الذي رفع إلى الطبقات العليا من القشرة الأرضية بعضاً مما كان مدفوناً في أغوارها العميقة، حتى أنه يمكن القول أن جميع أعمال التعدين التي مارسها الإنسان في الوقت الحاضر تقوم على أساس حقيقة قوة الله التي في طور من أطوار الخليقة جعلت أسافل الأرض أعاليها أو قل جعلت محتوياتها الباطنية تعلو إلى سطحها الخارجي.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ذلك لأنه ما من أحد من الناس يستطيع أن يخبر بما في أعماق جوف الأرض. فالإنسان مع كل محاولاته لم ينفذ إلى أكثر مما يوازي قشرة البرتقالة بالنسبة للبرتقالة نفسها وهو جزء يسير للغاية بالنسبة لأعماق أحشاء الأرض، إذاً فما يملأ جوف الأرض لا يعرفه الناس على وجه اليقين. قد يتحاجون في حقيقته، وما يسوق عليه الحجة واحد، يسوق الحجة على خلافه آخر. والحقيقة أهم لا يعلمون. وهذا ما كان الله يقود أيوب لأن يدركه – جهله الكامل.

فما هو أثر ذلك على رجل تقي يؤمن بالله وبإرشاده إيماناً حقيقياً؟ ما هو أثر إدراكنا بأن جهلنا عظيم إلى هذا الحد؟.

لاشك أن هذا كله يقودنا إلى الاتكال الكلي على الله والثقة المطلقة فيه. وذلك كان الشيء العظيم الذي فشل فيه أيوب وبسببه تذمر واستذنب الله. صحيح أنه لم يستطع أن يفهم سر الأمر ولكنه كان يمكنه أن يؤمن وكان ينبغي عليه أن يؤمن. وهنا كثيراً ما نفشل نحن أيضاً لأننا دائمو الاستعداد للمحاجحة والتذمر كأيوب. ومهما كان الأمر فإن الله يتحدث هنا جلياً عن سلطانه العظيم في الخليقة وهو له المجد يستأنف حديثه حول هذا الموضوع في الأعداد التالية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يبدأ الرب بالأرض، مسكن الإنسان. أفيعلم أيوب تاريخ مكان سكناه؟ أين كان يوم وضع المهندس العظيم أسس الأرض، غائرة لا في باطن الرمال المتقلبة ولا فوق الصخور الصلدة، بل في الفراغ الخاوي، فراغ العدم؟.

تستطيع معارف اليوم أن تتحدث إلينا بأسلوب علمي عن السديم وعن النظام الشمسي، عن الجاذبية ونواميس الجاذبية، وتستطيع أن تفسر لنا أن التبادل الحركي القائم بين هذه النواميس قد منح الأرض شكلها وعلاقتها الثابتة بالأجرام السماوية تستطيع أن تفسر لنا أنه بواسطة قوانين التماسك والتزاوج أو التقارب الكيميائي. التصقت معاً ذرات الأرض وتقاربت. على أن وجود القانون يفترض وجود مشرّع، مانح للقانون، فمن ذا الذي أنشأ هذه القوانين؟ وكيف تعمل جميعاً دون توقف؟ إن الإعلان، والإعلان فحسب، هو الذي يعطينا الجواب – "فيه" أو "به يقوم الكل" (كولوسي ١ : ١٧). فأين كان أيوب؟ أين كان الإنسان؟ يوم أنشأ الرب هذه القوانين والمبادئ؟ يوم أدار دفتها؟ إن الصورة التي وضع الرب بها هذا السؤال كانت تناسب معرفة أيوب في ذلك الوقت، وبالقياس عينه تناسب معرفة الإنسان المتطور في عصرنا الحاضر بل الواقع أنه قصد بتلك الصورة أن تقود أفكاره إلى آفاق من الحق أوسع.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ويعود الرب يتساءل: من وضع مقاييس هذا البناء المشمخر ومد عليه مطماره؟ إن السؤال يوحي بإمكانية وجود شخصية أخرى، شخص آخر اتحد معه تعالى، عمل بالنيابة عنه في رسم الخطة الكبرى وتنفيذها، فمن هو؟ "الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم.. ومن قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أبدئت" (أمثال ٨: ٢٥). أو في لغة العهد الجديد "كل شيء به كان". نحن هنا أمام حقيقة أعجب من الخليقة، حقيقة تحدثنا عن شريك إلهي كان وهو ينفذ مشاريع أبيه متلذذاً بها. يضع عينيه على أهداف أخرى "ولذاتي مع بني آدم". وفي الطبيعة، كما في كل شيء آخر، نستمع إلى الله يقول "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت، له اسمعوا".

حجر الزاوية، قواعد الأرض، من وضعها؟ أين هي؟ ما هو قانون الطبيعة أو الكيمياء؟ أوَ يعرف العلم اليوم أكثر مما كان أيوب يعرفه حينذاك؟ إن الذرة، والأيونات، تتجمع معاً – متشابكة أو مفككة – بقدر ما تؤثر عليها قوانين أخرى. ولكن أين قانون الأساس؟ "لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح" (١ كورنثوس ٣) فالقدوم إلى الله، معرفة الله، هو هدف كل الحقائق، ولن تكون الطبيعة على توافق تام مع القانون الوساطي الكبير إلا إذا كانت تقودنا إلى المسيح نفسه. إنما من هذه الزاوية فقط

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نستطيع أن نصغي إلى كواكب الصبح مترنمة معاً. إنما من هذه الزاوية يهتف جميع بني الله.

جميلة جداً هذه الأقوال وهي تصف الفرحة التي تصاحب تأسيس الخليقة الأولى. فالطبيعة كانت كلها نغماً واحداً متفقاً، والسموات تعلن مجده. فإن حدث تنافر أو نشاز فليس لعيب من جانبه في أن يحمل كل شيء بكلمة قدرته. وكذلك الأمر مع الكائنات السماوية "الرياسات والسلاطين في السماويات" هي الأخرى هتفت مبتهجة حينما انفتحت أمامهم منظرة الطبيعة العجيبة.

من ذا يحد جمال هذه الخليقة العجيبة؟ إن حواسنا المحدودة إنما تقيس حيزاً أو جانباً من كمالاتها، لكن تضافرها الواحد مع الآخر، أعاليها وأغوارها، من يستطيع أن يسبرها؟ من يقدر أن يقول: لو كنا من حدة البصر أو وضاحة السمع بحيث نعدل تلك الشخوص الأثيرية، إذاً لاستطعنا أن نلتقط موسيقى الدوائر البعيدة؟ وإذا كان الضوء والحرارة والصوت ارتجاجات أو ذبذبات، فمن ذا الذي يقول أن اللون ليس له موسيقاه الخاص؟ إن لم يكن لها عطر يلائم النغمة الحلوة؟

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إلا أن معرفتنا محدودة. فإنه حتى هذه الخليقة الأولى العجيبة، نحن نجهلها جهلاً مطبقاً. والشيء الذي نعلمه يجعلنا نتحقق من عظمة المحيط الذي لا نعلم عنه شيئاً. والنور الذي بين أيدينا يكشف الظلمة الكثيفة المحيطة بنا.

على أن هذه الأرض المستقرة، بكل قوانينها المجهولة أو المعروفة جزئياً، إنما هي الغرفة الأمامية، أو المدخل، للعالم أو الكون الأدبي. فالطبيعي رمز على الأدبي والروحي، قوانين الجاذبية، والنسبية العددية، والخواص الكيميائية، إنما هي رموز لما هو أعمق. إن هذه الحسبة: ٢+٢=٤ في كل مكان وعلى المدى، هذه الحسبة تعلن عدم تغير برّ ذاك الذي أقام هذه الحقيقة الأساسية. وعملية الاحتراق في كل مراحلها المختلفة تذكرنا بقداسة "إلهنا" الحارقة، إلهنا الذي هو "نار آكلة" إذ نتأمل في هذه السجايا أو الخصائص التي تطبع لون الله الأدبي. لابد أن يغمرنا ليس فقط الإحساس بجهلنا بل كذلك الإحساس بأننا مغايرون لنظامه المقرر.

وإذا ما اجتزنا، بالفكر، إلى الخليقة الجديدة في أعجب ما يمر قدام أبصارنا: عظيماً جليلاً منوعاً مطلق الكمال! فالأرض المستقرّة، بنواميسها العظيمة، إنما هي ظل للأرض الجديدة التي يسكن فيها البر. ظل للمسكن الجديد، مسكن الحق والمحبة حيث لا تقربه الخطيئة. لقد أعلن الله لنا هذا

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بروحه، غير أننا "نعلم بعض العلم" وهذه المعرفة تنشئ فينا اتضاعاً، ومن ثم سجوداً وتسبيحاً.

ذلك أن الله – تبارك اسمه – قد أعطانا أن نعرفه في شخص ابنه الحبيب. وهذه هي الحياة الأبدية، التي تربطنا بالأمجاد العتيدة التي لا تفنى. أوَلا نستطيع – وبطريقة أتم وأرقى – أن نشارك في حلو نفحات "أبناء الصبح" – لأننا أبناء نهار – ونهتف مع "بني الله" وأكثر مما يهتفون؟

لا حاجة بنا أن نسأل أولئك الذين تفتحت عيونهم وأفئدتهم عن مبلغ ما ساهموا به إزاء هذه العظمة وذاك الصلاح وتلك المحبة. إنما نحن نغطي وجوهنا ونعود بالمجد كله للرب.

تلك هي الحقيقة العظمى التي ينطوي عليها أول أسئلة الرب. إذا ما أجيب على هذا السؤال بما يقنع الإنسان ويشبع الله نستطيع أن نشارك في إنشاد هذه التسبيحة "سبحوا الرب من السموات. سبحوه في الأعالي. سبحوه يا جميع ملائكته. سبحوه يا كل جنوده. سبحيه يا أيتها الشمس والقمر. سبحيه يا جميع كواكب النور" (مزمور ١٤٨).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"وكل خليقته مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر كل ما فيها سمعتها قائلة: للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين" (رؤيا ٥: ١٣).

[٢] (ع ٨- ١١) تخوم البحر.

"ومن حجز البحر؟" لقد تطلع إلى الأرض والآن يتطلع إلى البحر. "ومن حجز البحر بمصاريع حين اندفق فخرج من الرحم. إذ جعلت السحاب لباسه والضباب قماطه؟".

نعم، لقد كان جباراً ذلك الوليد، ذلك المخلوق الجديد الذي لا يضبط، الذي اندفق فخرج إلى دائرة الوجود! ولكن ما أروع أن يتحدث الرب عن تغطيته بالسحاب وتقميطه بالضباب. "وجزمت عليه حداً وأقمت له مغاليق ومصاريع وقلت إلى هنا تأتي ولا تتعدى وهنا تتخم كبرياء لجحك".

ينتقل الرب من الأرض إلى "ذلك البحر العظيم الواسع الأطراف" الموصوف هنا ليس في خلقه الأصلي، كجزء من السموات والأرض. بل كخارج مندفق من رحم أمه. لقد كان يغطي كل وجه الأرض "وعلى وجه الغمر ظلمة". ولو أن البحر تُرك لذاته لطوى كل شيء، لكن صانعه هو سيده،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فقد أقام له حدوداً، وكأنه يقتحم سلاسل الجبال العظيمة ليفسح لـــه مكانـــاً، مسوَّراً مسيَّجاً مغلقاً في وجه كل انطلاق واندفاع (*)، وما عواصفه وثوراته في يدي القدير سوى عويل طفل وليد، يلفه في قماطة السحب وكثيف الظـــلام، ويهدهده حتى ينام.

"رفعت الأنهار (أو الفيضانات) يا رب، رفعت الأنهار صـــوتها ســـترفع الأنهار ضجيجها (أو أمواجها) الرب الذي في الأعالي أقدر من أصوات ميـــاه كثيرة ومن غمار أمواج البحر" (مزمور ٩٣: ٣، ٤).

فمن البداية، ثم في الدينونة حينما سمح الرب للبحـــر أن يغمـــر الأرض، عمل على ردع واحتجاز المحيط الجبار القلق. الإنسان يحملق فيه مرتاعاً خائفـــاً لكنه لا يملك أن يتحكم في قوته. قد يرسل أساطيله، ألوف أساطيله، ليمـــسح البحر ويكتسحه، ولكن بلا جدوى، قد يبعث إلى الأرض تخريباً وتخريباً، غـــير أن سيطرته تخونه بعد الشاطئ.

(*) العدد في الإنجليزية هكذا "واقتطعت حدودي (أي الجبال) من أجله" أي لأفسح له مكاناً.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وما أوفق ما يتعلم الإنسان من هذا المحيط الجبار، عن عجــزه وجهلــه! وكم من الأسرار تطويها أعماقه! لكن الله وحده تحكم فيه وسيطر عليه، أوقف أمواجه المتكبرة بمغاليق حتى لا تعبر.

هكذا الحال في أوقيانوس الشر – كبرياء الشيطان التي انطلقت في التمرد على الله يوم لم تحفظ الملائكة مكانها الأول (Their First Estate) على أن يد الله الرادعة تضبط الكل وتكبح الجامح. الأشرار كــالبحر المــضطرب، وإنهم يرتفعون ويرتفعون ظلماً وكبرياء، لكن الله يقول لهم "إلى هنا تــأتون ولا تتعدون". وهكذا نرى سلطانه الرادع لكل شر: تبارك اسمــه. ولا عجــب أن أيوب وهو يرقب الشر بادي النصرة، ويرى إلى ما يجيش به قلبه العنيــد، قــد ارتعب وارتعد: ومن غير الله يقدر أن يضبط الشر؟.

إننا لنتشوق إلى الزمن الذي ستكون فيه هذه السيطرة الضابطة المطلقة في السموات الجديدة والأرض الجديدة حين "البحر لا يوجد فيما بعد" وانتظــاراً لذلك اليوم المجيد، يوم يمضي الشر طريداً إلى مسكنه الأبدي بعيداً عن خليقــة الله المعذبة، نستطيع أن نعترف به تعالى كالمتسلط الوحيد.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إن الأرض والبحر يشملان العاملين العظيمين اللذين يضعهما الله أمـــام عيني الإنسان.

[٣] (ع ١٢- ١٥) النهار والليل.

"هل في أيامك أمرت الصبح؟" إنه ينظر إلى تغير النهار والليل ويقول هل أنت الذي نظمت هذا كله أو هل تعرف شيئاً عنه وكيف صنع؟

"هل عرَّفت الفجر موضعه ليمسك بأكنـــاف الأرض؟ (*) أي عنـــدما تشرق الشمس بنورها الذهبي. "فينقض الأشرار منها، لأن ظلمة الليل هي التي تتيح الفرصة للقتل والنهب والسرقة وكل مفاسد وشرور الناس الأخرى أكثـــر من أي وقت آخر. "تتحول كطين الخاتم". لأن الأرض عندما تكـــون مغطـــاة بظلمة الليل الداكنة فإنك لا تستطيع أن تبين معالمها أكثر من قطعة الطين قبـــل

(*) حسب الأصل العبري "لينحني مثل الأصابع فيمسك بجوانب الأرض" وهذه حقيقة عرضية لحقيقة انكسار الضوء. التي لولاها لوصلت أشعة الشمس إلينا عمودية وأحرقتنا. فعندما تقابل الأشعة طبقات الجو المحيطة بالأرض تنكسر. مثل ثني الأصابع فتعم المسكونة وتكفل الفائدة لساكنيها. أما عن قوله "هل عرّفت الفجر موضعه". فمعرفة الفجر لموضعه أمر واقعي. لأن دورة الأرض اليومية حول محورها هي نظامية بهذا المقدار حتى إن الفجر مثلاً يتأخر عن ميعاده ١/٦٠ من الثانية يومياً بكيفية مضطردة، لا زيادة فيها ولا نقصان. فاليوم يطول مع مضي الزمن. ولكن لضآلة الزيادة لا يحسها الناس.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ختمها بالخاتم. ولكن بمجرد أن يشرق النور فعندئذ يتجلى لك على الفور كل ما أسبغه الله عليها من جمال وكل ما أثبته على سطحها من مبدعات – تلك العظائم التي لا يمكن أن تتبين منها شيئاً في الظلام "ويمنع عن الأشرار نورهم وتنكسر الذراع المرتفعة".

ينتقل الرب إلى ملامح الطبيعة العظيمة المتكررة كما نراها، النهار والليل. فهل وقع لأيوب مرة أن أمر صبحاً واحداً بالظهور؟ أو جعل الفجر يعرف مكان بروزه؟ ذلك أن الإنسان بكل ما لديه من معرفة وسلطة، لا يملك أن يأمر قوى الطبيعة فتأتمر له.

لكن النور يبرز في مكانه المرسوم يوماً فيوماً، يفيض على الأرض من ضوئه، ومنه يهرب المجرمون "ثم يحل المساء، ولن تستطيع كلمة من إنسان أن تعطل أو تدير سير هذه الحركة الدائبة. لقد ألقى واحد فقط كلمة آمرة منذ البداية "ليكن نور" ومن تلك اللحظة فصاعداً عرف المساء والصباح موضعهما وزمانهما. غير أن يشوع، متكلماً بكلمة الرب. استطاع أن يوقف دورة النهار. وكذلك استطاع النبي أن يقدم لحزقيا علامة إلهية هي إرجاع الظل مع الساعة الشمسية (أي ما يترجم "الدرجات")، غير أن هاتين الواقعتين إنما تعززان الحقيقة المسلم بها وهي أن الله وحده هو الذي يستطيع أن يأمر النور ومكتوب

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"أنا مصور النور وخالق الظلمة" (إشعياء ٤٥: ٧). ألا فلنرمق الشمس الغاربة، ولنرمق فجر اليوم الجديد مذهولين، ولنهتف من أعماق قلوبنا قائلين "لك النهار ولك أيضاً الليل. أنت هيأت النور والشمس" (مزمور ٧٤: ١٦). لقد عرف الفجر موضعه – في السماء لكنه يختلف كل يوم على مدار السنة. ورجال الفلك يميزون اختلافاته الموضعية والزمنية معاً. على أن كل شيء كامل وتام، الكل ينشد بتسبيح ذاك الذي يأمر والذي يصرّح "تجعل مطالع الصباح والمساء تبتهج" (مزمور ٦٥: ٨) وحكمتنا في أن نرقب ونعترف جميعاً بصنع إلهنا وتدبيره الحكيم.

ومع تفجر النور يختبئ الأشرار وهنا ينطبق حرفياً ورمزياً على أعمال الظلمة غير المثمرة. وكما يترك الخاتم طابعه على قطعة الطين (أي الصلصال) هكذا يطبع النور على وجه الأرض أشكال وألوان جميع الأشياء، فتبدو كثياب أو لباس مزركش (أو العكس، كمشهد الخراب – تحت ضوء النور، فالنور يبرز الأشياء على حقيقتها "كل ما أُظهر فهو نور" (أفسس ٥: ١٣). أما الليل فهو نور الأشرار، لأنهم ينبذون النور ولا يريدون أن يأتوا إليه لئلا توبّخ أعمالهم. إذ أن دخول النور يوقف أعمالهم، ومن ثم تنكسر ذراعهم المرتفعة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهكذا نور حضرة الله يكشف الشر، فحين يأمر فجر اليوم الجديد أو يبرز – "يوم الرب" حينئذ يتزعزع فاعلو الشر من الأرض. ولهذا السبب فإن شعبه الذين هم أبناء نور وأبناء نهار ينظمون حياتهم بالنور. ولهذا السبب فلن يدخل ما يصنع رجساً إلى رحاب تلك الأرض البهية حيث لا يكون ليل هناك. نعم، فهي يومئذ موطن النور، ولن يستطيع أحد أن يبقى فيها سوى أبناء النور "الخروف سراجها" هذا الاستشهاد بالنهار والليل غاية في التأثير فهل أيوب يتهم ذاك الذي هو النور، والذي يرى كل شيء على حقيقته؟ هل يرتاب فيمن يعلم سرائر قلبه وعلة هذه التأديبات؟ ألا يبدو من هذه الأسئلة أن الله سوف ينهي ليل أيوب، وأنه في الوقت المعيّن سيأمر الفجر المنير أن يفتقد المتألم المسكين.

[٤] (ع ١٦- ٢١) الأعماق المجهولة.

ثم يعود إلى البحر بنظرة أخرى، ليس إلى تدفق المياه المضغوطة بقوة الله، بل إلى منابعه التي ينفجر منها "هل انتهيت إلى ينابيع البحر أو في مقصورة الغمر تمشيت؟". والآن يترل إلى ما هو أعمق من ذلك، فإن الهاوية (*) مكان الأرواح

(*) الهاوية حالة وليست مكاناً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الراحلة، تصور لنا قلب الأرض. "هل انكشفت لك أبواب الموت أو عاينــت أبواب ظل الموت؟" ثم يصعد إلى السطح فيقول:

"هل أدركت عرض الأرض. أخيراً عرفته كله!" ماذا تعرف عن ذلــك. "أين الطريق إلى حيث يسكن النور؟" لا يقول أين يسكن النور، أو مــن أيــن ينشأ النور بل أين الطريق. فقد اكتشف العلم الحديث أن للضوء حالة حركة أو موجات اهتزازات سريعة تسير بسرعة ١٨٦ ألف ميل / ثانية وهذا ما ســبق الكتاب وقرره هنا عرضاً.

"والظلمة أين مقامها. حتى تأخذها إلى تخومها وتعرف سبل بيتها. تعلّم لأنك حينئذ كنت قد ولدت وعدد أيامك كثير" ويواصل الله جسّ نبض أيوب فيما له صلة وثيقة بقوة النور الكاشفة لكل شيء.

فهل يعرف السرائر "التي هي الله"؟ أعماق البحار الدفينة بكل ما تطويه من بقايا أموات بلا عدد، أبواب الموت وما وراءها: هل فحص أيوب هــذه؟ هل عرف عرض الأرض – كل ما يحتويه؟ وهل يعرف العلم هذا حقيقة؟ مــا هو "سكن" أو أصل النور؟ وما هو مقام الظلمة؟ لقد طالمــا تــساءل النــاس وتماحكوا في شأن أصل الشر، وماذا عساهم يعرفون بعيداً عن الإعلان الإلهي؟

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لقد وضح لرجال العلم في السنوات الأخيرة أن الشمس ليست هي مصدر النور الذي يقوم وله وجود بالاستقلال عنها، بل كذلك بالانفصال عن كل مصدر آخر منظور وهذه الأسئلة يوجهها الرب ليس إلى أيوب فقط، بمعلوماته المحدودة في يومه – بل إلى رجال يومنا الحاضر.

[٥] (ع ٢٢- ٣٠) العناصر.

يبين الله هنا أن عنده مخازن لا يعرف الإنسان عنها شيئاً وأن الله يستخدم هذه المخازن أو يجعلها تعمل عملها كلما شاء. "أدخلت إلى مخازن الثلج. أم أبصرت في مخازن البَرَد التي أبقيتها لوقت الضر، ليوم القتال والحرب؟".

نتأمل الموريين كيف هلكوا بفعل حجارة البَرَد التي أمطرها الله عليهم في الطريق إلى بيت حورون في أيام يشوع، وكيف أنه أمطر ناراً وكبريتاً في حالات أخرى على مدن الدائرة" (يشوع ١٠: ١١)، (تكوين ١٩: ٣٤).

"في أي طريق يتوزع النور. وتتفرق الشرقية على الأرض؟" كما يقول الكتاب عن الشمس "لا شيء يختفي من حرّها" (مزمور ١٩: ٥). "من فرّع قنوات للهطل، وطريقاً للصواعق ليمطر على الأرض حيث لا إنسان".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نعم إن الله يهتم بالحيوانات الساكنة في البرية، بل هـو يهـتم بـأحقر الحشرات، إنه يهتم ويفكر في حينه. لا إنسان هناك له أيضاً أفكاره وخططـه ومشروعاته، وهناك يتجلى جوده وصلاحه. "ليروي البلقع والخـلاء وينبـت مخرج العشب" هذا هو عمل المطر العجيب وكم للمطر من الفوائد.

"هل للمطر أب، ومن ولد مآجل الكل (أي نقط الندى)، من بطن مـن خرج الجمد (أي الجليد) صقيع السماء من ولده؟ كحجـر صـارت الميـاه. اختبأت وتلكد وجد الغمر".

يتكلم الرب عن ظواهر الثلج والمطر والصقيع والطلّ. ونتائجهن علـى الأرض وعلى الإنسان. وهنا أيضاً تتجلى غباوة الإنسان وعجزه أمام حكمة الله وقوته وإحسانه، كما ويده التأديبية.

للثلج والبَرَد مخازن: أين هي؟ لا في منطقة خافية. في كتل ضـخمة، ولا في البخار النائي عن مدى الأبصار والذي يملأ الجلد كما يحب العلم أن يقـول – بل إلى ما وراء ذلك تقع تلك المخازن، مستودعات الرحمة والقضاء: إنها في يد الله؟ كلمته هي أنشأها وأبرزها – الثلج لحماية العشب في الشتاء، للتبريـد والترطيب والإنعاش صيفاً، والبَرَد لإفساد خطط الأعداء واكتساح أحكـامهم

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ومشاريعهم (أشعياء ٢٨: ١٧). نحن نعلم أن الثلج يتكون من فعل وتأثير البرد على البخار، فيحول ذراته إلى بلورات بديعة المنظر منوعة الأشكال. هذه الأشكال من خططها؟ وهذه البلورات: ناموس من هي تتمم؟ خلاصة فكر من هي تعلن وتكشف؟

وفي جانب خاصية البرودة التي يتصف بها الثلج. فهو من الناحية الأخرى يتميز بالبياض المطلق والصفاء أو النقاوة. وربما لم يكن أيوب يعلم أن هذا البياض مردّه إلى انعكاس الضوء الصافي الأبيض من أوجه بلوراته العديدة. ولكن كم من "خزائن" البياض يحتفظ بها الله؟ هو نور، وحقيقة أن الثلج يعكس ضوء الشمس تكشف عن إعلان بره الجوهري في عملية الفداء التي جعلته تعالى يقول "إن كانت خطاياكم كالقرمز، تبيض كالثلج" (أشعياء ١: ١٨). فالخطايا التي كانت تصرخ مرة للانتقام، هي الآن – بفضل دم المسيح الكريم – تعكس مجد صفات الله "لإظهار بره ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع" (رومية ٣: ٢٦).

ففي الفداء الذي في المسيح يسوع خزائن لا تفرغ، خزائن بياض وحماية لخطايا العالم. ومن هنا ما أشد رعب الدينونات والأحكام التي سوف تتخلف

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

عن رفض تلك النعمة! "غضب الخروف" – وهنا يتساقط الـــثلج في عاصـــفة هلاكية لا ترحم.

هذه الفكرة تتعزز في البَرَد، قطرات المطر المتجمدة. أجل، فـــإن تلـــك القطرات التي تروي الأرض لتخرج ثمارها، تحولت إلى غضب مميـــت!هكـــذا يختزن ويدخر العالم الذي يرفض المسيح "غضباً ليوم الغضب" الذي في البَـــرَد صورة أو تشبيه له (خروج ٩: ٢٢، حجي ٢: ١٧، مزمور ١٨: ١٢، رؤيـــا ١٦: ٢١).

على أن الأحكام المرعبة – "فعله الغريب"، تعالى – تعلن مجد برّ لا يلين ومملوء محبة "النار والبَرَد والثلج والضباب (أي البخار) الريح العاصفة الـــصانعة كلمته" (مزمور ١٤٨: ٨).

فليحدثنا العلم عن كل ما يستطيع كشفه من نواميس البلورات الثلجيـــة وآثارها، من اختلاف درجات الحرارة لتيارات الهواء، عن الشحنات الكهربائية والمعادلات، ولنتعمق في أقصى ما نستطيع في هذه العلل لثانوية، ولسوف نجـــد أنه بمثابة الدار الخارجية لمساكن الله، مظهر سجاياه وخصائـــصه، تقودنـــا إلى أقداس شخصه المعلن، كما نراه في المسيح يسوع.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وإذ ينتقل الرب من ظواهر المطر والثلج، يتساءل أيوب عن كيفية توزيع النور. وما أعجب توزيعات أو تفريق النور – يتسلل إلى كل جزء من الأرض حيث تسقط أشعته. وما أسرع "أجنحة الصبح" سرعة خاطفة تدق على الفكر. تومض من الشمس إلى الأرض في لحظات قصار. وما أجمل تلك التوزيعات كما نراها في الطيف. قوس قزح الذي تصبغ المناظر كله بألوان حية. ودعنا نتساءل معاً: لماذا، وكيف، نرى ما هو أخضر وما هو أزرق وما هو أحمر؟ هل يكفي أن يقال أن كل مادة تعكس نوعاً معيناً من الأشعة؟ وإن هذه، بدورها، تنشأ بفعل ذبذبات منوّعة ذات سرعة لا يمكن تصورها؟ وإننا نتساءل عن الأشعة السينية بما تنطوي عليه من قوة نافذة وعن الأشعة فوق البنفسجية والأشعة الحمراء، ذات الخواص الحرارية والكيماوية، لا ريب أن لدى العلم كثيراً من الحقائق تحدثنا بها، مما يملؤنا إعجاباً ودهشة، ورهبة وسجوداً – ولكن عمن؟ (*) إنه بقدر ما نكثر معلوماتنا عن مظاهر إعلانه، تقل معلوماتنا بشخصه

(*) هذا يقودنا أن نتعمق أكثر في هذا الميدان – لو استطعنا إلى ذلك سبيلاً – لنبحث في التفصيلات التي لا تفرغ عن قوانين ومظاهر أو نتائج الضوء ودلالته الروحية. وهو ميدان تضاءلت فيه الجهود وتضاءلت آثارها بالتبعية. ومع ذلك فإن ما عرفناه يزيدنا تعطشاً. فالضوء الأبيض الغير المنقسم يتألف من ثلاث إشعاعات رئيسية – الزرقاء والخضراء والحمراء – إن الله نور. ورقم ثلاثة يوحي بالإعلان أو الظهور. والله المعلن إعلاناً تاماً نراه في ثلاثة أقانيم. فاللون الأزرق، اللون السماوي، يحدثنا عن الآب الذي في السماوات. والأخضر لون الحياة على الأرض، يحدثنا عن الروح معطي الحياة

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الكريم، إلا حين يعلن ذاته في المسيح ومن الشرق، مبعث الضوء، تأتي كـــذلك الريح الشرقية الكاسحة موزعة في العاصفة على الأرض. صورة لغـــضب ذاك الذي تكلم في النور كلاماً يشبه الهمس. ولكن حتى الريح الشرقية في قبـــضته، يسيطر عليها ويتحكم فيها بإرادته تعالى.

على أن العواصف، والسحب العاصفة، إنما هي مقدمة للمطر، وهنا أيضاً نرى الله يبعث الانتعاش والحياة بعد العاصفة. وكذلك كانت الحال مع أيوب، فإن التأديب الذي أصابه لابد أن تعقبه قطرات المطر. ومن يعرف كيف "يفرّق" أو يوزع هذه القطرات المحيية المنعشة؟ إن الإنسان إنما يوزعها بغـــير عدالـــة أو مساواة، أو في غير أوقاتها المناسبة. لكن الله يعلم متى وكيف يرســـل الراحـــة

وحافظها. والأحمر، لون الحرارة، يحدثنا عن الابن، المعبر عن محبة الله، والذي دمه الكريم هو مقياس تلك المحبة.
وهذه الأنواع الثلاثة من الأشعة: أشعة الضوء، وأشعة الحرارة، والأشعة الكيميائية تحدثنا كذلك عن الثالوث. فالأولى تحدثنا عن الآب "الذي أشرق في قلوبنا". والثانية عن الابن، الشافي، المدفئ، السائد، والثالثة عن عمل الروح القدس الذي نحن في شديد الحاجة إليه. وثلاثتها متشابكة ومتكاملة في العمل. إذ ما هو الضوء من غير الحرارة؟ إنه إنما يرينا تحطيم الخليقة، ومن الناحية الروحية هو معلن حالة الخراب التي انتهت إليها طبيعة الإنسان الساقط. وماذا عساه يتخلف عن الضوء والحرارة إلا التدفئة وإحراق الخراب؟ هكذا يعتمد الكل على الأشعة الكيميائية التي تحفظ الحياة. فالروح يجب أن يصاحب وينفذ كل بهاء وإشراق الإعلان الإلهي، وكل دفء محبة المسيح.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

المرتقبة. بل إن الصاعقة والبرق والرعد ليست إلا مركبات تنقل قطرات الماء، كما يقرر العلم اليوم.

ما أوسع الدائرة التي يتوزع أو يتفرق إليها المطر، حيث تصل إلى ما وراء مساكن الإنسان، إلى قفار الأرض. وحيث تنمو أدق أوراق النبات، فهناك الحقيقة الباقية "مراحمه على كل أعماله".

كل هذه ليست مجرد أفعال من جانب الله، إنما هي – إن جاز هذا التعبير – نسل وذرية محبة الله وعنايته. فالمطر والندى والثلج والضباب كلهن أولاد الإله العظيم الصالح. كما يقول واحد:

كل هذه أعمالك يا أبا كل صلاح

هل نشك في إلهنا هذا الطيب؟ هل نسيء الظن والحكم على أعماله وأفكاره تعالى؟ في الواقع أن عدم إيماننا وعدم رضائنا يشهدان ضدنا كما أن شكايات أيوب كانت شاهدة عليه.

[٦] (ع ٣١- ٣٣) الأجرام السماوية.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"هل تربط أنت عقد الثريا، أو تفك ربط الجبـــار، أتخـــرج المنـــازل في أوقاقا، وتهدي النعش مع بناته؟".

هنا يوجه الرب أيوب إلى مختلف النجوم ومجموعاتها ويسأل ما هو شأن أيوب بها وهل هو يعلم كيف صارت هكذا أو كيف ترتبت وتشكلت علـــى هذه الصور العجيبة؟.

"هل عرفت سنن السماوات. أو جعلت تسلطها على الأرض؟" إن هذه الأوضاع السماوية لها تأثيرها العظيم على الأرض، وهو تأثير إمـــا للخـــير أو للشر. ومن هو الذي حدد هذه الأوضاع كلها. هل أنت يا أيوب؟.

"أترفع صوتك إلى السحب فيغطيك فيض المياه. أترسل البروق فتـــذهب وتقول لك ها نحن. من وضع في الطنحاء حكمة. أو من أظهـــر في الـــشهب فطنة، من يحصي الغيوم بالحكمة. ومن يسكب أزقاق السماوات؟".

هذه أمور مستحيلة على الإنسان ولكنها جميعاً في منتهى البساطة عنـــد الله، وهي تأتمر بأمره في كل ناحية منها وفي أبسط مظاهرها إذ ينسبك التراب سبكاً، ويتلاصق المدر".

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وفي إشارة الرب إلى الجند السماوي يكاد يتناول أقوال أيـــوب (ص ٩: ٩) فإنه تعالى يذكر أسماء كويكبات معينة أو منازل معينة، كالثريـــا والجبـــار، والمجموعات التي تؤلف النعش أي الدب الأكبر الذي يشير أبداً إلى الـــشمال. وقد تنوعت وازدادت آراء المفسرين في شأن معاني هذه الأعداد. فهوذا جانب منهم يظن أن الحديث عن الثريا إنما يشار به إلى كوكبة من الجـــواهر اللامعـــة فيضعون العدد هكذا "هل تقدر أن تربط (البروش) البراق على صدر الليل؟.

ويرى البعض أن المعنى المفهوم من الثريا هو تلك المجموعة الكوكبية التي من خصائص الربيع كما أن الجبار من خصائص الشتاء، وعملية فـــك ربـــط الجبار معناها إطلاق الشتاء. كما أن ربط أو تقييد مؤثرات الثريا الحلـــوة مـــن شأنه تعويق أو إبطاء الربيع. كأن الرب يريد أن يقول لأيوب: هـــل تقـــدر أن تعطل قدوم الربيع أو تنهي موسم الشتاء؟ أوَ تستطيع أن تبدل نظـــام أجنـــاد السماء ومسيرها الأمامي، أو تومئ للشمال فيغيّر موقفه؟ وقد قيل أن "الثريـــا" معناها (مفصّلة) أو محور تدور حوله كل الأجرام السماوية. ويصرّح العالم بأن الكون المنظور بأسره يبدو في نظرنا بطيئاً (ومع ذلك فما أســـرعه ســـرعة لا يدركها الوعي) يدور حول نقطة ارتكاز مجهولة، ليست بعيدة عن مفصلة الثريا – فماذا إذا كان الله يعطي أيوب فكرة عن نقطة الارتكاز العظيمة هذه الـــتي

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تضبط وتربط كل الأشياء بها؟ إذا كان يقصد تعالى أن يبين لعبده حقيقة ذاك الذي يمسك بيده كل الأشياء.

إن شيئاً واحداً نعرفه وهو أن الله، والله وحده، يستطيع أن يمسك الكواكب في يده ويحصيها ويدعوها بأسماء "لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يتوقف منها واحد" (أشعياء ٤٠: ٢٦).

إن أشعياء النبي كان يذكّر إسرائيل المكروب أن هذا الإله القوي يعرف ذلّهم وطريقهم. إن أعظم قوى الكائنات البشرية لابد أن تضعف وتخور "أما منتظرو الرب فيجددون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون" (أشعياء ٤٠: ٢٧-٣١).

إننا إذا تطلعنا إلى تلك السماوات فلا ريب في أن عجزنا يهوّلنا ويروعنا. ولكن عندما نتساءل "من هو الإنسان؟" فإن الله يكشف لنا في الحال عن ذاك الذي وضع قليلاً من الملائكة من أجل ألم الموت نراه مكللاً بالمجد والكرامة، مقاماً على كل أعمال يديه (عبرانيين ٢).

نرى شبه ابن الإنسان لكنه في الوقت ذاته هو القديم الأيام. فهو الذي يمسك السبعة الكواكب في يمينه. وهو الذي دفع ليده كل سلطان في السماء أو

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

على الأرض، هو يربط وهو يفك. يحطم قيود أو يفك ربط ليل الخطيئة الشتوي الطويل ويقود الربيع الأبدي للظهور المنير، وإننا لنسبق الزمن فنسمعه بأسلوب النشيد يقول: "الشتاء قد مضى والمطر مرّ وزال. الزهور ظهرت في الأرض، أتى أوان الغناء" (نشيد ٢: ١١، ١٢).

إنه لم يعطنا أن نبدل نظام الطبيعة أو نصعد إلى تلك السماوات، لكنه يعلمنا أن نقدم الجواب الصحيح على أسئلته له المجد وهذا الجواب هو "نرى يسوع".

"أنا أعلم أنه حي الآن، في يمين الله في الأعالي" "أنا أعرف العرش الذي عليه يجلس، أعرف حقه وحبه".

[٧] (ع ٣٤- ٣٨) السحب والتحكم فيها.

يختم الرب هذا الجزء من حديثه بأسئلة جديدة لأيوب عن السحب، والعواصف والمطر، أفيستطيع أيوب أن يستنزل المطر، أو يتحدث إلى وميض البروق؟ هل يبين جنبيه ذلك القلب الفهيم الذي يعرف أسباب الغيوم – غيوم المطر، أو غيوم الأحزان – التي ترسل القطرات الندية إلى الأرض المتربة؟ ألا ما أفضله وأكمله طعاماً تقدمه هذه الأقوال للتأمل الوقور ولهج التعبد ألا ليت

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

روح هذه المزامير الثلاثة، مزامير الخليقة والطبيعة (مزمور ٨، ١٩، ١٠٤) ألا ليت "كورس الهللويا" الذي تقدمه لنا المزامير الأخيرة. تستقر علينا ونحن نتأمل في هذا الميدان العظيم.

* **

والآن نأتي إلى عالم الحيوان في دائرة الطبيعة وتعتبر الأعداد (ع ٣٩-٤١) تتبع الإصحاح التاسع والثلاثين وتعتبر فاتحته لأننا بها ننتقل من نجوم السماء إلى حيوانات الأرض.

(ع ٣٩- ٤١) إعلان عنايته تعالى بمخلوقاته.

"أتصطاد اللبؤة فريسة. أم تشبع نفس الأشبال. حين تزمجر في عريّسها، وتجلس في عيصها للكمون.." كلا، لست أنت الذي تفعل ذلك وإنما الرب الذي يهيئ طعاماً للأسود ولأشبالها أيضاً وهي رابضة في مغاراتها، فلا يتركها تموت جوعاً.

ترى إلى أي حد من السهو والغفلة قد يصل الإنسان لو عهدت إليه ليوم واحد مهمة تقديم الطعام حتى لفريق واحد من هذه المخلوقات! إنما عن الله وحده جاء القول "كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه" "تعطيها فتلتقط

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تفتح يدك فتشبع خيراً" (مزمور ١٠٤: ٢١، ٢٧، ٢٨). فالله ليس فقط يحتمل هذه المخلوقات التي يفترس بعضها البعض، بل كذلك يعنى بها. هي قطعة من سيمفونية الحكيم – أخضعت مرة للإنسان ولكنها انقلبت عليه عدواً قاسياً.

وهكذا كان الشيطان – الذي ضج أيوب من هجماته – مجرد مخلوق من مشيئة الله، ينفذ مشيئة الله حتى عن طريق استخدام عدائه. وإن كان أيوب يجهل أفكاره لكن الله لا يجهلها. ومن غدره وزئيره سوف يخرج الخير. ثم "من يهيّئ للغراب صيده إذ تنعب فراخه إلى الله وتتردد لعدم القوت". فليس الأسد الكبير وحده بل الغراب الصغير نسبياً حين تصرخ فراخه إلى الله، أي نعم إنها تصرخ إليه. إنها لا تتذمر ولكنها تصرخ. إنها تعبر عن حاجتها. والله خالقها قد وضع هذه الغريزة فيها. إنها تصرخ والله يسمع صراخها كأنها موجهة إليه مباشرة تبارك اسمك يا رب! "تتردد لعدم القوت" ولكنه يسمعها ويستجيب لصراخها.

والرب يقول للتلاميذ "تأملوا الغربان إنها لا تزرع ولا تحصد، وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها، كم أنتم بالحريّ أفضل من الطيور" (لوقا ١٢: ٢٤).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

هكذا تنعب الغربان، فراخها القصيرة الباع. لكن الله يطعمها إن هـــذه الطيور التي تحيا على الجيف قد تبدو أكثر أذى للإنسان منها نفعـــاً، لكـــن الله يعنى بها. ولاحظ أنه سواء فيما يتصل باللبؤة أو الغربان، فإن الأشبال وفـــراخ الغربان هي موضع اهتمام الله. فهي عاجزة كل العجز، لا تملك سوى الصراخ تستلفت به النظر. غير أن إلهنا المحسن لا يغلق أذني عنايته حـــتى عـــن نعيـــب الغراب.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الثامن والثلاثون

ص ع	الكلمة		معناها
٣٨: ٣	تلكّد	:	تجمد. أصبح جليداً.
٣٨: ٥	مطمار	:	خيط للبناء يقدر به.
٣٨: ٦	قرّت	:	تمكنت، تثبتت.
٣٨: ٧	كواكب الصبح	:	الملائكة.
٣٨: ٨	مصاريع	:	المصراع أحد غلقي الباب.
٣٨: ٨	الزائر	:	الذي يزأر وهو الأسد.
٣٨: ٨	اندفق	:	انصبّ.
٣٨: ٨	الرحم	:	وعاء الولد في البطن.
٣٨: ٩	قماط	:	ما يلف به الوليد في المهد.
٣٨: ١٠	حزمت	:	وضعت عليه.
٣٨: ١١	تتخم	:	يوضع له تخوم، أو حد.
٣٨: ١٣	أكناف	:	(ص ٣٧: ٣).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣٨: ١٤ الخاتم : ما يوضع كعلامة للتثبيت والتمييز.

٣٨: ١٦ مقصورة : الدار المحصنة، حجرة عميقة.

٣٨: ١٧ أبواب الموت : مخاطر الموت.

٣٨: ٢٢ البَرَد : (ص ٣٧: ٩).

٣٨: ٢٣ الضر : (ص ١٥: ٢٤).

٣٨: ٢٤ الشرقية : الريح الشرقية. وتسمى ريح السموم (مزمور ١١: ٦).

٣٨: ٢٤ الهطل : المطر الضعيف الدائم.

٣٨: ٢٥ الصواعق : (ص ٢٨: ٢٦).

٣٨: ٢٧ البلقع : الأرض القفر - البرية.

٣٨: ٢٨ مآجل : مستنقع الماء.

٣٨: ٢٩ الجمد : (ص ٣٧: ١٠).

٣٨: ٢٩ صقيع : الساقط من السماء ليلاً وكأنه ثلج.

٣٨: ٣٠ تلكّد : لزم بعضه بعضاً.

٣٨: ٣١ الثريا : (ص ٩: ٩).

٣٨: ٣١ الجبار : (ص ٩: ٩).

٣٨: ٣٢ المنازل : بنات نعش.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣٨: ٣٢ النعش : (ص ٩: ٩-٣٨: ٣٢).

تابع معاني الكلمات الصعبة

ص ع	الكلمة		معناها
٣٨: ٣٣	سنن	:	طريقة أو فريضة.
٣٨: ٣٦	الطنحاء	:	السحاب المرتفع.
٣٨: ٣٦	الشهب	:	شعلة من النار ساطعة، والدراري من الكواكب.
٣٨: ٣٧	أزقاق	:	وعاء من الجلد – قربة (جمع زق).
٣٨: ٣٨	المدر	:	(ص ٧: ٥).
٣٨: ٣٩	اللبوة	:	أنثى الأسد.
٣٨: ٤٠	تجرّمز	:	تنقبض (اللبوة) وتجمع بعضها إلى بعض استعداداً للوثوب.
٣٨: ٤٠	عرّيس	:	مأوى الأسد، عرين.
٣٨: ٤٠	عيص	:	الشجر الكثيف الملتف.
٣٨: ٤١	تنعب	:	نعب الغراب مد عنقه وحرك رأسه في صياحه، أو حرك رأسه بلا صوت.

الغراب أنواع (لاويين ١١: ١٥) إن الله جعل الغربان وهي آكلة لحوم تحضر لحماً إلى عبده إيليا في وقت المجاعة (١ ملوك ١٧: ٤، ٦) والغربان طيور شرهة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها، فبالأولى يطعم الذين هم له. (لوقا ١٢: ٤، مزمور ١٤٧: ٩، أمثال ٣٠: ١٧، نشيد ٥: ١١).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح التاسع والثلاثون

ها قد أتينا بحيث نواجه ضعفنا وجهلنا فيما يتعلق بحكمة الله وقوته ثم ننتقل إلى مظاهر تلك الحكمة والقوة كما نراهما في حمايته واهتمامه بكل مخلوقاته وإمدادها بكل ما تحتاج إليه. وفي هذا الجزء ننتقل من أمجاد الخالق لنتأمل في حكمة إله العناية وصلاحه، فهو تعالى لم يرسم فقط هذا المخطط العجيب للكون الواسع، بل ملأ الأرض بالمخلوقات الحية التي تعتمد عليه تبارك اسمه في حياتها وفي كل شيء آخر.

وبذلك نأتي إلى إعلان الرب في خطابين هما:

الخطاب الأول: (ص ٣٩: ١- ص ٤٠: ٥) وفيه نرى إعلان عناية الله بمخلوقاته.

الخطاب الثاني: (ص ٤٠: ٦-٢٤) وفيه نرى سيطرة الرب على مخلوقاته.

الخطاب الأول

إعلان عناية الله بمخلوقاته

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

لقد بقي أيوب صامتاً أمام موضوع ظواهر الطبيعة العظيمة ثم أمام موضوع القوانين التي تحفظ توازن العالم كان كالتلميذ الجاهل، ثم ها هو الآن يسأل عن علم الحيوان من سيد كل علم. و لم يكن علمه في هذا المجال أحسن مما في المجال السابق. ومنذ العصور القديمة التي عاش فيها أيوب بالرغم من كل المجهودات المبذولة، في مجال العلم، كم من الأسرار لاتزال في الخليقة يصطدم بها العلم البشري الذي كثيراً ما تعميه نظرياته. وأهمها ككل الحياة. إن الله يتكلم عن أمور كثيرة في هذه الإصحاحات الأربعة الصغير منها والكبير ولكنها جميعها أشياء صنعها الله. وعلى النقيض من ذلك لا نجد كلمة واحدة من أعمال أيوب. ومن كل إمتيازاته التي عددها أيوب عن ذاته لم يذكر له الرب واحدة منها. وبدون الصليب الذي كانت أنظار الله عليه مقدماً (رومية ٣: ٢٥) لكان رجلاً مثل هذا قد هلك. أيها العزيز يا من لاتزال تضع ثقتك في مجهوداتك الذاتية وإمكانياتك انظر إلى الرب. لقد أنجز هو أشياء كثيرة تعظم حكمته لكن فوق جميعها عمل خلاصك الذي يعظم محبته.

لقد ظن أيوب أن سلامته لا تهم الرب، ولكن هل وجدت خليقته من الغراب الصغير إلى الحصان، أو النسر لم يهتم بها الله؟ فإن كان يعتني بكل الكائنات الحية، فمن باب أولى كان يهتم بأيوب أسمى خليقته الذي له حياة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

خالدة. إن الرب يسوع في الإنجيل يعطي ذويه نفس التعليم تماماً (قارن ع ٣ مع لوقا ١٢: ٢٤). وهو يدعونا أن لا نهتم بحاجاتنا اليومية لأن الله يعرفها. إن شيئاً واحداً يعوزنا وكثيراً ما نفتقر إليه وهو الإيمان بهذا الإله الأمين. لقد تكلم الرب إلى أيوب عن خليقته وأيوب يخرج بهذه الخاتمة "ها أنا حقير" ولم يزد شيئاً على ذلك مع أنه كان يريد أن يناقش الله كمن هو مساوٍ له (ص ١٠: ٢، ١٣: ٣، ٢٣: ٣، ٤).

والآن قد أتت له الفرصة. فهم أن ذلك ليس ممكناً أمام عظمة خالقه. هذا هو الدرس الأول وليس هناك درس آخر عليه أن يتعلمه، فالله مزمع أن يكلم أيوب ليقوده إلى اعتراف كامل وصادق بأنه خاطئ.

ويمكن تقسيم هذا الخطاب إلى ما يلي:

(ع ١- ٤) الوعول وأولادها.

(ع ٥- ٨) حمار الوحش.

(ع ٩- ١٢) الثور الوحشي.

(ع ١٣- ١٨) النعامة.

(ع ١٩- ٢٥) الفرس.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع ٢٦- ٣٠) العقاب والنسر.

تستهل المجموعة بإعلان عن موارد عناية الله بالوحوش والطيور الجوارح كما رأينا في الأسد والغراب. ثم نرى الحيوانات البرية التي تقطن الجبال والقفار تستظل بعنايته تعالى كلي الحكمة، ثم نصل إلى السيطرة على تلك الوحوش التي تسمو على الإنسان قوة وسرعة، وتختتم بالتحكم في غرائز المهاجرة التي تتسم بها الطيور. وواضح أن هذه المجموعة تبدأ وتنتهي بالحديث عن الوحوش المفترسة والطيور والجوارح. وهي قد تبدو في عيوننا وعيون سوانا تافهة عديمة القدر، إن لم تكن مؤذية ضارة. ومع هذا فإن الله يهتم بها بذات الحكمة التي لا تخطئ. أوَيفشل إلهنا في ملاحظة أولاده العارفين والمتوكلين عليه؟.

(ع ١- ٤) الوعول وأولادها.

"أتعرف وقت ولادة وعول الصخور؟" إن وعول الصخور (التيس الوحشي) بعيدة جداً عن منال الإنسان، وهي تقطن الأماكن العالية في الجبال "أوَتلاحظ مخاض الأيائل؟ أتحسب الشهور التي تكملها؟ أوَتعلم ميقات ولادتهن؟ يبركن ويضعن أولادهن. يدفعن أوجاعهن تبلغ أولادهن".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ولو أنها مطمع الصيادين. والإنسان مغرم بلحمها. إلا أن الله يرعاها ويهتم بها "تربو في البرية، تخرج ولا تعود إليهن".

ما الذي يعلمه أيوب عن عادات الحيوانات المفترسة التي تستوطن الجبال الغير المطروقة؟ "الجبال العالية للوعول" (مزمور ١٠٤: ١٨).

هو قد يعلم بصفة عامة فترة أو مدة الحمل عند هذه الحيوانات المراوغة. لكن هل يعلم ويلاحظ كل حيوان، ويصون حياتها، ويجتاز بها لتعبر فترة الخطر؟ حقاً ما أعجب هذا كله. وما أبعده عن معرفة الإنسان أو قوته. هذه الأولاد – بعد أن يهتم بها أبواها ويعولانها فترة من الزمن، تخرج نفسها – فمن يلاحظها؟.

وإذا كان الله يعنى هكذا بمتسلقات الصخور، أفلا يرقب خطوات شعبه الرعديد الذي يحاول أن يتسلق صخور الشدّة المبسوطة؟ ألا يكون معهم في أثناء آلام المخاض للاختبارات المخيفة، ويمنحهم منفذاً من هذه المتاعب جميعاً؟.

(ع ٥- ٨) حمار الوحش.

"من سرّح الفراء حرّاً، ومن فك رباط حمار الوحش؟" ينتقل الرب من الجبل إلى السهول، فيشير إلى حمار الوحش المنعزل، الذي يقطن تلك القفار،

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وحمار الوحش يختلف كل الاختلاف عن الوعل في الطرق والعادات، غير أنهما يشتركان في شيء واحد، ذلك أنه يعتمد على خالقه كل الاعتماد. فأي سيطرة لأيوب على مخلوق مثل هذا، لا يعرف قيوداً، ولا حدوداً، ولا خدم سيداً؟ وإذ يفكر أيوب في مدى الحرية التي تستمتع بها هذه المخلوقات فإنه يتنهد تحت عبئه الثقيل. لكن الله يستطيع أن يحل قيوده، فلا يرتابنّ، بل لينتظر الله.

(ع ٩- ١٢) الثور الوحشي.

رأينا الوعل أو التيس الوحشي ثم الفراء أو الحمار الوحشي. والآن نرى الثور الوحشي:

"أتربط الثور الوحشي برباط في التلم (أي الأخدود الذي يحدثه المحراث) أم يمهد الأودية ورائك؟"

لا يزال الرب يتحدث عن المخلوقات الوحشية، فيسأل أيوب عما إذا كان يقدر أن يسيطر على الثور الوحشي أو يجعله يخدمه هل هذا الوحش يحرث الأرض أو يحمل الأحمال المألوفة التي يحملها الثور العادي؟ إنما هذا الوحش، ذو الطبيعة الغير المروضة تخضع لواحد فقط. أيظن أيوب أن الله الذي يخضع له الثور الوحشي لا يقدر أن يتحكم في كل الأشياء حتى قوى الشر الكاسرة

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ويجعلها خادمة لإرادته تعالى؟ هكذا يستطيع الله أن يستأسر كل فكر متمرد نافر من أفكار عبده المسكين وينتج حصاد بركة، وفيراً من اختباراته المريرة.

(ع ١٣ـ ١٨) النعامة.

"جناح النعامة يرفرف (فرحاً). أفهو منكب رأوف أم ريش؟" وقد وردت العبارة الثانية في هامش الكتاب المشوهد هكذا "أم هل هو جانح اللقلق؟" والواقع أن هذا هو المقصود من العبارة. فهي تشير إلى النعامة في الجزء الأول منها وإلى اللقلق في الجزء الثاني، وهي عبارة عن مقارنة بين النعامة بأجنحتها المرفرفة وغباوتها البادية في عدم المبالاة بصغارها وبين اللقلق الذي هو أكثر الطيور التي خلقها الله عطفاً وحناناً على أولادها فلا يوجد في الدنيا طائر يحنو على صغاره ويهتم بها مثل اللقلق، وهناك من الناس في العالم من يسمحون لهذا الطائر الجميل أن يعشش في أي مكان يريد، ولا يسمحون لمخلوق أن يزعجه أو يمسه بأذى، وإلا عرض نفسه للقصاص (*).

(*) ويلاحظ هذا في هولندا بصفة خاصة. حيث تجد طيور اللقلق في الحقول كما تجدها في البيوت ولها شوق شديد في الاقتراب من الناس، كما أن الناس من جانبهم يكنون لهذا الطائر الحنون العطوف وكل حب واحترام. ولا يسمحون بصيده أو أذيته.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا هو الطائر الذي يقارن هنا بالنعامة وهذا هو مبلغ حنانه على فراخه، في حين أن النعامة تترك صغارها لحال سبيلهم إذ تضع بيضها في الرمال، وتتركه هناك يفقس أو يباد، فهي لا تهتم به إطلاقاً "لأنها تترك بيضها وتحميه في التراب، وتنسى أن الرجل تضغطه، أو حيوان البر يدوسه. تقسو على أولادها كأنها ليست لها. باطل تعبها بلا أسف. لأن الله قد أنساها الحكمة" ومن ذا الذي ينازع الله، فالله الذي يمنح طائراً معيناً صفة عجيبة ممتازة من العطف والحنان، يجرّد طائراً آخر من أعمّ الغرائز وأكثرها شيوعاً، وهي غرائز الأمومة، في الوقت الذي يمنح هذا الطائر بالذات، وهو النعامة، قوة هائلة وسرعة فائقة، حتى أنها تستطيع أن تكسب الرهان في سباق الخيل، إذ "تضحك على الفرس وعلى راكبه".

إن كل الأشياء مهما تكن وحشية ومجردة من الحاسيات كما يبدو، هي مخلوقاته لن ينساها. وهنا نوع منها، النعامة التي تقطن البرية، وتتمايل أجنحتها وهي تسابق الريح سرعة، وأرجو أن تلاحظ أنه لا توجد إشارة مطلقاً إلى الطاووس كما يظن بعض علماء الكتاب. إنما الفكرة في (ع ١٣) هي هذه: إن النعامة لا تستخدم جناحيها وريشها لحماية فراخها والعناية بها، فإنها في واقع الأمر لا تكترث ببيضها إذ ذاك تفرّ من العدو الحقيقي أو الوهمي. وهنا كائن قد

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

جرّده الله كما هو واضح من كل غريزة الأبوة. لكن واحداً. من هـــو؟ يعـــنى بالأفراخ العاجزة (**).

(ع ١٩- ٢٥) الفرس.

تعطي هذه الأعداد وصفاً للخيل كأداة حربية قوية. وكان الإسرائيليون يستخدمون الخيل للحرب فقط. أي لجر المركبات الحربية أو للفرسان. ولكـــن كلن استخدام الخيل علامة على أهم فشلوا في الاتكـــال علـــى الـــرب. وفي المستقبل عندما يتوبون عن شرهم ويرجعون للرب سيقولون "لا نركب علـــى الخيول ولا نقول أيضاً لعمل أيدينا (الأوثان) آلهتنا" (هوشع ١٤: ٣).

وكانت الوصية الناموسية في (تثنية ١٧: ١٦) أهم إذا اختـــاروا ملكـــاً فيجب أن لا يكثّر الخيل. ولكنهم خالفوا هذه الوصية. فعندما دخلـــوا الأرض بقيادة يشوع، أحرقوا مركبات الكنعانيين وعرقبوا خيلهم (يشوع ١١: ٦، ٩) لكن داود عندما ضرب هدد عزر، أبقى مئة حـــصان لأجـــل المركبـــات (٢

(**) لا داعي للإشارة إلى تلك الفكرة الإلحادية التي تنسب الخطأ إلى كاتب السفر في وصف النعامة. وهناك من يزعم أن النعامة تقصد أن تترك البيض على سطح الرمال لتغرر بمن يحاول اكتشاف بيتها. فنحن نفضل أن نتعلم التاريخ الطبيعي من المؤلف الإلهي، كما في أي شيء آخر ولا ريب في أن كل ما قيل هنا عن النعامة ساكنة القفر صحيح بإطلاقه، وعلى ضوء كل تفسير صائب لحركاتها.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

صموئيل ٨: ٤) أما سليمان فقد توسع جداً في جلب الخيـــل والمركبـــات (١ ملوك ٤: ٢٦).

ورمزياً تمثل الخيل السلطة الإمبراطورية سريعة الانطـــلاق ولكنـــها في الوقت نفسه تحت سيطرة التدبير الإلهي بصفة عامة – وفي الجزء الأول من نبوة زكريا يرى النبي مشاهد مختلفة لخيول ذات ألوان متعددة وتدعى أرواح السماء وبهذه الصفة كان لها عملها في الإمبراطوريات الأربع الأمميـــة العظمـــى الـــتي وصفها دانيال النبي. وعندما يذكرون بعد ذلك في (زكريا ٦) نجد الخيل الحمر غير واردة لأن الإمبراطورية الكلدانية كانت قد مضت عندما رأى زكريا الرؤية (زكريا ١: ٨، ٦: ١-٧).

وفي سفر الرؤيا أيضاً نجد خيلاً والراكبين عليها يمثلون السلطات المتممة لمقاصد الله التدبيرية – قارن (رؤيا ٦: ١-٨ مع ٩: ٧، ٩، ١٧). وفي (رؤيـــا ١٩) نرى الرب يسوع الذي يدعى أميناً وصادقاً. آتياً على فرس أبيض لكـــي يُجري دينونة البرّ على الأرض (رؤيا ١٩: ١١-٢١) يقول الرب لأيوب: "هل أنت تعطي الفرس قوته، وتكسو عنقه عرفاً؟" "أتوثبه كجرادة. نفـــخ منخـــره مرعب.. الخ".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إنه لوصف رائع لاشك. ولكن الغرض كله هو إشعار أيوب بهول غباوته في زعمه التحدث عن الله!.

بنقلة طبيعية من الحديث عن خفة النعامة، يأتي بنا الـــرب إلى الحيـــوان الذي يتجسد الخفة والقوة والرشاقة: إلى الفرس، وعلى الخصوص فرس القتال، فيسأل أيوب عما إذا كان قد منح الفرس قوة ومزج القوة بالرشاقة والجمـــال، ووثباته رشيقة كالجراد، صهيله ونفخ منخره يبعثان الرعـــب في القلـــب. وأي جلال أعظم وأشد خوفاً من ثورة فرس الحرب الذي يتشوق إلى القتال؟ لـــيس من شيء يستطيع أن يرده عن اندفاعه لملاقاة الجيوش الغزية. تقعقع الأســـلحة على جانبه، تهدهده عتادات راكبه. وهو ينهب الأرض "يلتهمها" في ســـرعته الجنونية. وما صليل المعارك إلا موسيقى في سمعه، من بعيد يـــستروح القتـــال، صياح القواد وقعقعة السلاح، هذا حيوان، ليس وحشياً بالضبط لكنـــه مـــزود بكل قوة وخفة أشد الحيوانات الوحشية. فهل أسهم أيوب في خلق مثل هـــذا المخلوق العجيب؟

لقد كان الفرس، وبخاصة في الأيام التي يتحدث عنها سفر أيـــوب، وفي الشرق، يستخدم بصفة أولية في القتال. وقد حذر الله شعبه من الثقة في عامـــل القتال الجبار هذا "باطل هو الفرس لأجل الخلاص" "هؤلاء بالمركبات وهـــؤلاء

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

بالخيل أما نحن فاسم الرب إلهنا نذكر" أجل، فالله "قد تعظم، الفرس وراكبه طرحهما في البحر" يتعظم الرب على كل مخلوقاته فليذكر أيوب كيف أنه هو شخصياً مخلوق تافه، وليتضع قدام ذاك الكائن على الكل إلهاً. فإن خلاصه لن يأتي من الخيل بل من الرب في الأعالي.

(ع ٢٦- ٣٠) العقاب والنسر.

يقول الرب لأيوب: "أمن فهمك يستقل (أي يرتفع في طيرانه) العقاب" من هو هذا الذي منح هذه القوات العجيبة لكل هذه الحيوانات والطيور؟. "هل بأمرك يحلّق النسر ويعلّي وكره.. الخ؟".

وإذ تدور الدائرة مرة أخرى على المخلوقات التي يفترس أحدها الآخر، يسأل الرب أيوب عما إذا كانت حكمته هي التي تهدي العقاب وتقوده في رحيله الجنوبي عند دنو الشتاء. فما أعجبها قوة غامضة نسميها غريزة تلك التي تدفع الطيور إلى الهجرة إلى الأجواء الأكثر دفئاً؟ فإذا كان هذا مردوداً إلى نقص الطعام فلماذا تطير والطعام وفير مثل السنانين؟ ولماذا تطير زرافات زرافات؟ ولماذا تطير إلى الجنوب؟ "هوذا اللقلق في السماوات يعرف ميعاده واليمامة والسنونة المزقزقة حفظت وقت مجيئهما" (أرميا ٨: ٧).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والنسر – هل يعلو إلى الارتفاعات الشاهقة بأمر الإنسان، ويقيم عشاً على أكمة عالية ومن هناك يتجسس قوته أي فريسته من بعيد. ليعد الطعام لأفراخه العاجزة؟ وهو يتعقب تلك المعركة التي اندفع إليها الفرس "وحيثما تكن القتلى فهناك هو" والله يستخدم هذه جميعاً لإتمام مشيئته، وهو تعالى يعولها ويعنى بها، وعند خاتمة التاريخ سوف يدعوها إلى عشاء عظيم يوم يناديها الملاك "هلم اجتمعي إلى عشاء الإله العظيم، لكي تأكلي لحوم ملوك ولحوم قواد ولحوم أقوياء ولحوم خيل والجالسون عليها ولحوم الكل حرّاً وعبداً، صغيراً وكبيراً".

ألا فليتعلم أيوب درسه فيشبع خيراً، ويتجدد مثل النسر شبابه، يرفع أجنحة ولا يعيا.

وهكذا نرى الرب يتنازل إلى المستوى البشري ويشير إلى هذه الأشياء المألوفة التي يذخر بها المشهد المحيط بالقديس المتألم. أوَيستطيع أن يرى اللبؤة الجائلة، المتجسسة؟ من ذا يعطيها طعام أشبالها؟ أوَيستمع إلى نعيب الغراب الجائع؟ ومن ذا يراقب ويحمي الأيل الأم؟ من يتحكم في حمار الوحش أو الثور الوحشي الجبار؟ من يصون النعامة المشرقة الرعديدة، أو فرس القتال الواثب؟ أو من يقود العقاب في هجرته ابتغاء الاستقرار؟ أو النسر ملك الطيور الذي يسكن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الأعالي؟ هوذا جواب واحد "له اليد العليا في كل مكان، وكل الأشياء تخدم قوته" "كل أعماله بركة خالصة، طريقه نور غير مشوب" "ما أعجب أعمالك يا رب! كلها بحكمة صنعت. ملآنة الأرض من غناك" "فيلذ لهجي فيه. وأنا أفرح بالرب" (مزمور ١٠٤: ٢٤، ٣٤).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح التاسع والثلاثون

ص ع	الكلمة		معناها
٣٩: ١	الوعول	:	التيس الوحشي – نوع من الغزلان.
٣٩: ٥	الفراء	:	(ص ٦: ٥).
٣٩: ٦	السباخ	:	ما لم يعمر من الأرض.

٣٩: ٧ يختم على يد كل إنسان : أي يغل يد كل إنسان عن العمل عن طريق سقوط الثلج، ووابل المطر، وهجوم الإعصار وانهيال البَرَد.

ص ع	الكلمة		معناها
٣٩: ١٠	التلم	:	أرض محروثة.
٣٩: ١٢	البيدر	:	مكان لدرس الحبوب بواسطة النورج.
٣٩: ١٥	ضغط	:	عصره أو زحمه.

٣٩: ١٨ النعامة معتبرة من الطيور النجسة حسب الشريعة (لاويين ١١: ١٦) ويضرب بها المثل في إهمالها لصغارها إذ عندما يطاردها الصياد تترك صغارها وتهرب في الصحراء الواسعة وربما لا تستدل على مكان صغارها مرة أخرى (مراثي أرميا ٤: ٣)..

ص ع	الكلمة		معناها
٣٩: ١٩	عرفاً	:	العرف شعر عنق الفرس.
٣٩: ٢٠	وثب	:	قفز.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣٩: ٢١ يحث : عن الغبار الذي يهيله الفرس في الوادي بسبب السرعة في الركض.

٣٩: ٢١ ينفز : يشب بقوائمه الأربعة.

٣٩: ٢١ بأس : الشجاعة والشدة في الحروب والقوة.

٣٩: ٢٣ تصلّ : تصوت بشدة "تصهل".

٣٩: ٢٣ الرمح : عود طويل في رأسه حربة يُطعن بها.

٣٩: ٢٣ المزراق : الرمح القصير.

٣٩: ٢٤ يلتهم : يبتلع بمرّه.

٣٩: ٢٥ هه : صوت للتذكير والوعيد والسخرية.

٣٩: ٢٥ يستروح : استروح الشيء تشممه وإليه سكن.

٣٩: ٢٦ يستقل : يرتفع.

٣٩: ٢٦ العقاب : طائر من الكواسر.

٣٩: ٢٧ يحلق : يرتفع الطائر ويستدير كالحلقة.

٣٩: ٢٨ المعقل : الملجأ والجبل المرتفع.

٣٩: ٢٩ يتحسس : يتجسس الشيء يجده ويبصره.

٣٩: ٢٩ قوت : ما يؤكل لسد الرمق.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٣٩: ٣٠ تحسو : تشرب في مهلة. والطائر يتناول الماء بمنقاره ولا يشربه.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الأربعون

أثر كلام الرب على أيوب

لقد تكلم الرب إلى أيوب عن خليقته وأيوب يخرج بهذه الخاتمة، "ها أنا حقير" و لم يزد شيئاً على ذلك مع أنه كان يريد أن يناقش الله كمن هو مساوٍ له (ص ١: ٢، ١٣: ٣، ٢٣: ٣، ٤).

والآن قد أتت له الفرصة، فَهِمَ أن ذلك ليس ممكناً أمام عظمة خالقه. هذا هو الدرس الأول وليس هناك درس آخر عليه أن يتعلمه، فالله مزمع أن يكلم أيوب ليقوده إلى اعتراف كامل وصادق بأنه خاطئ.

إن لوحة الخليقة لا تكتمل بدون وصف حيوانين غامضين رهيبين. الأول هو بهيموث ربما الخرتيت، وهو على أي حال وحش رهيب قوته كقوة الموت، الذي هو أول طريق الله نحو الإنسان المذنب. فنتيجة السقوط تسلح الموت بسيف لا يقهر لعقوبة الخطيئة (ع ١٩). وليس فقط كل إنسان فريسته ولكن كل وحوش الأرض أعطيت له كمرعى (ع ٢٠). والأردن نهر الموت (ع ٢٣). يحدثنا أيضاً عنه.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع ١ ـ ٥) أثر كلام الرب على أيوب.

"فأجاب الرب أيوب فقال: هل يخاصم القدير موبّخه، أم المحاج الله يجاوبه؟".

هكذا يختم الرب خطابه الأول والذي بدأه في (ص ٣٩). وكأنه تعليم للإنسان من الخليقة وطلى به عيني المتألم المسكين الذي أعمته أحزانه عن رؤية قوة الله وحكمته وصلاحه. أفيذهب أيوب "يغتسل في بركة سلوام؟"، أو يخضع لامتحان خالقه؟.

"هل من يحاج القدير يعلمه؟ ليجاوب من يوبخ اللهَ" (ع ٦) هنا أصل متاعب أيوب! إنه جلس يحكم على الله، أوَما اتهم بالشر ذاك الكلي القدرة؟ لقد دنا من الله، أشعره بحضرته، ورفع القناع عن وجه الطبيعة ليعلن جزءاً من صفاته. فأي تأثير لهذا على الإنسان المتكبّر؟.

"أنا حقير فماذا أجاوبك. وضعتَ يدي على فمي". لقد نطق أيوب بالكثير من الأقوال: ففي بداية آلامه فاه بكلمات الإيمان بالله وحتى خلال صراخ الليل كم من الأفكار الجميلة النبيلة انفرجت عنها شفتا أيوب، لكن لم يكن بينها مثل هذه الأقوال، ذات الرنين الموسيقي الحلو في أذني الله: أقوال الاعتراف والانسحاق والإقرار الصامت بكل خطأ أفكاره.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهنا ينتهي عملياً امتحان أيوب، ومع ذلك فإن الرب في كامل الأمانة لايزال يتسلل إلى أعماق دفائن قلبه ويكشف ما به من شر عميق الجذور. لذلك ينبغي أن نصغي إلى ما يقوله الرب.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الخطاب الثاني

سيطرة الرب على مخلوقاته

في هذا الخطاب الثاني يعمق الرب العمل الذي بدأه في قلب أيوب، بالخطاب الأول (ص ٣٩) أسكت أيوب وأقنعه بجلاله وقوته وحكمته. فإن مثل هذا الإله الذي تتجلى كمالاته في أعماله لا يمكن أن يستبد ويظلم في معاملاته الإنسان. وإن كانت حكمته الظاهرة في اهتمامه بالحيوانات والوحوش والطيور تدل على فهم أيوب. فهكذا الحال مع يده التي تؤدب، ويبدو أن التأثير الكبير الذي طبعه على أيوب في الخطاب الأول هو أن الرب قد أصبح حقيقة في عيني أيوب وتقديره.

وفي الخطاب الثاني تزداد هذه الانطباعات تعميقاً. ذلك بأن الله لا يدع عبده وقد تعلم من الدرس نصفه، ومن ثم يستخدم المحراث في قلبه حتى يصل إلى دفائن الكبرياء ويدينها. ومن هنا، يعالج الخطاب الثاني هذه الكبرياء المألوفة عند المخلوق. وكأن الرب يدعو أيوب ليرى ما إذا كان يستطيع أن يضع المتكبرين ويذللهم. ومفهوم ضمناً أن أيوب نفسه ضمن هذا الفريق المتكبر.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والخطاب من حيث موضوعاته يشبه الخطاب السابق في مميزاتـــه. فـــالله لايزال يعلم أعمق دروس طرقه، وذلك من واقع كتاب مبادئ الطبيعة. ومن هنا نجد في بهيموث ولوياثان. مخلوقان يشبهان الثور الوحـــشي أو الفـــرس قـــوة وشجاعة. خليقة أو مخلوقات الله، محفوظة به تعالى. غير أن هناك معنىً رمزيـــاً. طبيعياً مقترناً بهذه المخلوقات، التي من هذه الناحية تزيد على سواها. فالـــدرس الذي تلقيناه في الخطاب الأول كان يدور حول اهتمام العناية الإلهيـــة، بينمـــا درس الخطاب الثاني يدور حول سيطرته تعالى على المخلوقات الـــتي تتحـــدى الإنسان بقوتها. وهي من هذه الطريق ترمز إلى الكبرياء والقوة الـــتي لا تقـــاوم تتمثل فيها أقصى ذرى قوة المخلوق. أوَيستطيع أيوب أن يخضع ويـــتحكم في هذه المخلوقات؟ بل، ألا يجد نفسه أديباً ضمن هذا الفريق؟ ألم يترفع على الله؟.

والخطاب مثل سابقه ينقسم إلى ما يلي:

(ع ٦- ١٤) دعوة لأيوب لكي يحتل العرش.

(ع ١٥- ٢٤) بهيموث – القوة التي لا تقاوم.

(ع ٦- ١٤) دعوة لأيوب لكي يحتل العرش.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"لعلك تناقض حكمي. تستذنبني لكي تتبرر أنت". وهذا ما فعله أيوب. "هل لك ذراع كما لله وبصوت مثل صوته ترعد. والآن "تزيّن الآن بــاالجلال والعز والبس المجد والبهاء". زين نفسك بجلال الله إن استطعت.

ها هو أيوب، إنسان حقير بائس مسكين، قد شــاع الفــساد في كــل جسده وراح الدود يتغذى بلحمه قبل موته وصورة من الــشقاء والمــسكنة لا مثيل لها.

"فرّق فيض غضبك. وانظر كل متعظم وأخفضه، لماذا لا تخفض جميــع الناس الأشرار في العالم، وتكسر شوكة المتكبرين؟ "انظــر إلى كــل مــتعظم وذله!". إن أيوب لا يستطيع ذلك، ولكنه يعيش متكلاً اتكالاً كاملاً على الله.

ثم نأتي إلى صورة عكسية، ليست صورة الضعف والمسكنة في الإنسان، بل صورة القوة الهائلة في الخليقة الحيوانية. ففي الجزء الأخير من خطابــه الأول يتحدث الرب عن حيوانين – مجرد حيوانين لا غير – من الحيوانات البرمائيــة، أي التي تعيش في البر والماء، فهي ليست من حيوانات الأرض ولا مــن طيــور السماء، بل خليط من الحيوانات التي تستطيع أن تعيش أينمــا تــشاء، علــى الأرض، أو في البحر على السواء. أولهما "بهيموث". وثانيهما "لوياثان".

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ما فتئ الرب يتحدث إلى أيوب من العاصفة، كما ظهر له بهذه الصورة من قبل. وهكذا لا تبرح صورة المجد الإلهي والجلال من أمام أيوب على أننا نستطيع أن نتبين في هذه الدعوة "شد حقويك كرجل" تشجيعاً وتقريعاً. إن الله لا يريد أن يسحق عبده الغبي وإنما هو تعالى يخاطب تفكيره وضميره، لقد تعلم أيوب من قبل – وبدرجة ما عرف – قوة الله وحكمته وصلاحه، لكن حديث الرب معه الآن كان موجهاً بصفة خاصة إلى ضميره. أفهل ينقض ويستنكر دينونة الله البارة ويدين الله لكي يثبت براً بشرياً هزيلاً؟.

فإن هذا في الواقع هو ما يكمن في قاع شكايات أيوب، كان يعاني ذلاً لم يكن يستحقه، كان، وهو الإنسان البار، يعامل كما لو كان شريراً فاجراً. إذاً فلا مفر من استخلاص هذا الاستنتاج – إن الذي يؤدبه ويذلّه بهذه الصورة ظالم! كان أليهو قد صور لأيوب هذه النتائج المرعبة لأفكاره "تبررت والله نزع حقي" (ص ٣٤: ٥) "أتحسب هذا حقاً؟ قلت أنا أبرّ من الله" (ص ٣٥: ٢). وها هو الرب يريد أن يرسم لأيوب شناعة هذه الخطيئة. فقد زعم أنه يستذنب الله: وعلى أي أساس؟ هل يملك قوة إلهية وجلالاً؟ أو يتكلم بصوت الرعد؟.

إذا كانت لديه هذه المؤهلات فها هو الرب يدعوه أن يحتل مكانه على عرش القضاء الإلهي. ليتشح بثياب الأبهة والنبالة، وليتزين برداء العظمة

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

والجلال، ولتنقض سكائب غضبه على كل متكبر وليخفضه. تهكم لاذع، لكنه مقدس! ومن جهة أخرى هو إلهنا، حق عادل. فما دام أيوب يجلس مستذنباً الله، فمن المحقوق أنه مؤهل لإدارة مصالحه تعالى بطريقة أفضل منه! فيستطيع أن يخمد ثورة أو عصيان الأشرار المتكبرين، ويخفض الناس ويطمرهم في التراب أمامه. فهل تصرف هكذا مع قلبه المتكبر المتمرد؟ هل استطاع أن يذلل حتى أصدقاءه؟ فكم بالأقل العالم بأسره.

هل يمكن أن يقال مثل هذا الكلام عن أيوب "قد عظمت جداً، مجداً وجلالاً لبست، اللابس النور كثوب" (مزمور ١٠٤: ١، ٢). أو "من يسلك بالكبرياء فهو قادر على أن يذله (أو يخفضه)" (دانيال ٤: ٣٧).

إذا كان الأمر هكذا فإن الرب سيكون أول حامديه، مادحيه، أول من يعترف له بأنه قادر أن يخلّص ويعين نفسه. ولكن هل استطاعت يمينه أن تقبض حتى على العشائر التي نهبت مقتنياته؟ أو أن تحول العاصفة التي جرفت أولاده؟ إنما هو من أسف تناول قطعة من الشقف يحتك بها، وثيابه كانت مسحاً، لا مجداً أو جلالاً وافترش رماد حياة مضروبة ذابلة، لا عرش مجد.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هل هي من الرب قسوة أن يتعامل هكذا مع مخلوق بائس كسير القلب؟ بل دعنا بالحري نتساءل: هل كان من الإشفاق في شيء أن يدعه مستمسكاً بكبريائه كثوب، وأن يفتري على القدير؟ إنما بهذه الطريقة وحدها تخفض الكبرياء. بأن تواجه تفاهتها وخواءها في حضرة وجلال وصلاح الله الذي لا حدّ له. وإلى أن يتعلم أيوب هذا، ويتعلمه تماماً فإن كل افتقادات الله لأيوب في ذله، ومناقشات أصحابه وأليهو: تكون بلا جدوى، ورديئة.

(ع ١٥- ٢٤) بهيموث – القوة التي لا تقاوم.

وبهيموث هو المعروف باسم "هيوبوتومس" أو المعروف عند العامة باسم "سيد قشطة" وقد يطلق عليه أيضاً "فرس النهر"، أو ثور النهر والتسمية الثانية هي الأرجح لأنه يشبه الثور أكثر مما يشبه الفرس.

لا شك أن له خصائصه الخاصة التي يتميز بها ولكنه كثير الشبه بالثور من حيث الشكل والعادات والحيوانان المشار إليهما كانا معروفين في مياه نهر النيل وكذلك في بلاد العرب في الصحراء حيث كانت تقطن الشخصيات المتحدثة في سفر أيوب والتي لا بد كانت تعرفهما عن طريق الأخبار إن لم يكن بالزيارة الفعلية لمصر. ولقد أخطأ الكثيرون من العلماء في تفسير المقصود بهما فأطلقوا عليهما أسماء غريبة. فمثلاً: قال البعض أن البهيموث هو الفيل ولكننا

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إذا قرأنا الوصف نجد أنه لا يشبه الفيل إطلاقاً سوى أنه حيوان ضخم ذو قـــوة هائلة، أما غير ذلك فلاشيء "هوذا بهيموث الذي صنعته معك، يأكل العـــشب مثل البقر".

يتضح من هذا أننا على حق في تسميته ثور النهر وليس فرس النهر. "ها هي قوته في متنيه وشدته في عضل بطنه، الذي صنعه أعطاه سيفه (أو منجله – سيف الحصاد)". وهذا بالضبط هو شكل ناب ثور النهر الذي له قوة هائلة في الشق والتقطيع.

"لأن الجبال تخرج له مرعى". فهو يستطيع أن يـــذهب إلى الجبـــال إن أرادوا وإلى ما يجاورها أو يحيط بها. "وجميع وحوش البر تلعب هنـــاك، تحـــت السدرات يضطجع في ستر القصب والغمقة". أي حيث يحلو له. "هوذا النـــهر يفيض فلا يفر هو. يطمئن ولو اندفق الأردن في فمه".

ها نحن نستمع إلى الرب في تطبيقه درس قوة المخلوق وكبريائه كما نرى في بهيموث ولوياثان. والجزء الذي أمامنا يتناول الحيوان بهيموث الذي يعـــيش على اليابسة والثاني لوياثان حيوان مائي وهما معاً، يشتملان – رمزياً – الخليقة كلها.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

يتفق الدارسون على أن الحيوان الأول هو (ثور النهر) (سـيد قـشطه) عنوان القوة الجامحة. هو أحد المخلوقات الذي صنعه الله مع أيوب، ولكن مـا أرعبه قوة. كل جزء من تشريحه يتحدث عن القوة – متناه وجـسمه، سـاقاه وعظامه، حتى ذنبه.

كلها تنبئ عن هذه الشدة. فبأسنانه الشبيهة بالسيف والـتي زوده بهـا الخالق يمضغ العشب كالثور، وهو غير مؤذ ما لم يـستفزه أحـد. لأن جميـع الوحوش تلعب في ذات المرعى الواحد هو يرقد في حماية الظـل، ليرتـاح، لا يخشى شيئاً ولو حاول الفيض الغاضب أن يجرفـه. أيؤخـذ في شـرك مثـل الحيوانات الأقل منه؟ أو يؤخذ بحبالة أو بخزامة تثقب في أنفه؟

وبعبارة أخرى هو حيوان غير مروّض، ولا يضبط، ولا نفع منه للإنسان وإنما الوصف كله صورة للقوة المطلقة، مستخدمة لأغراض أنانية. بمعنى أن هذا الحيوان يعيش لذاته ويأبى أن يستغلً الآخرون قوته لخدمتهم.

ومع ذلك فليس هو سوى مخلوق زوده الله بـالقوة الخارقـة للطبيعـة لأغراض كلية الحكمة. ألا فليتأمل أيوب وكل من يثقون بقـدرتهم البدنيـة أو

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

قدرة القلب أو قوة الفكر: ليتأملوا هذا المخلوق الجامح المكتفي بذاته. عندئـــذ كم تبدو تافهة قوتهم.

ظن البعض أن هذا المخلوق لابد أن يرمز إلى الشيطان، في صفته كالأول بين مخلوقات الله (حزقيال ٢٨) وفي سمو القوة والكبرياء. وهو تعليل يمكـــن أن يصدّق كذلك على لوياثان في الإصحاح التالي، فالاثنان يمثلان القوة والكبرياء. فليس من الوهم إذاً أن يقول كاتب مثل "وردز ورث" يبدو من المحتمل أن يمثل بهيموث شخصية الشرير عاملاً في عناصر تكوين الإنسان الحيوانية والجسدانية. كما أن لوياثان يرمز إلى الشرير منشطاً كعدوه الخارجي. أي أن بهيموث هـــو كناية عن العدو الداخلي، ولوياثان عن العدو الخارجي.

ولكن من حيث أن "الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية" نستطيع أن نرى في هذين المخلوقين تشبيهاً للناس الأشرار ينشطهم الشيطان ويتحكم فيهم – دون أن ينصرف التشبيه إلى الشيطان ذاته. ولمجرد اقتراح نتساءل عما إذا كنا نرى في بهيموث الذي هو المخلوق البري أو الأرضي صورة "إنسان الخطيئـــة" أي الوحش الصاعد من الأرض. فهو إذاً رمز لضد المسيح، الأثيم. الذي هـــو خلاصة كل شر فيما يتعلق بشعب الله المعترف بهم.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

على أنه "قد صار الآن" أو "حتى الآن يوجد أضداد للمسيح كـــثيرون" وقد لا نلمس في هذا المخلوق المرعب "سر الإثم الـــذي الآن يعمـــل". ذلـــك التطور المخيف الذي لابد أن يتطور الشر الذي (وإن كان يدعى ظاهراً بمكانة بين مخلوقات الله العائشة والموجودة لخدمة الإنسان) هو في الواقع يرفع نفـــسه حتى إلى درجة إنكار كل ما يدعى إلهاً. هذا هو روح ضد المسيح الـــشائع في اعتراف اليوم من حيث أنه ينكر الآب والابن، والذي يفاخر بكفايتـــه لذاتـــه، وبقوته وبأعماله، عائشاً لنفسه. هذا هو ما يجري اليوم، متغذياً جنباً إلى جنـــب مع الخراف الرعديدة والثيران الخادمة. لكن يختلف عنها جميعاً كل الاختلاف.

ولا يدهشنا أن يتكلم الله هكذا عن الشر في أيـــام أيـــوب البـــاكرة إذ للخطيئة هذا الطابع منذ البداية، فقط هو يتطور إلى أكمل مظاهر طبيعته بتطور الإعلام. ففيما يتعلق بأيوب إذاً نرى أن بهيموث يمثل مخلوقات الكبريـــاء الـــتي تزدهر وسط شعب الله المعترف بهم. فإن هو سأل عن صورة أصـــلية (طبـــق الأصل) لهذا الحيوان الشرير. فإنه لا يتعزى بالنظر إلى أليفاز أو صاحبيه. لأنه في كبرياء بره الذاتي "مظهراً نفسه أنه إله" سوف يتبين لمحات من هـــذا الـــشيء الشرير ظاهرة ناضجة في يوم من الأيام. متطورة إلى أقصى درجـــات تطـــور الارتداد المخيف. وياله إعلاناً مرعباً عن شر الكبرياء، إعلاناً حصل عليه أيوب

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وحصلنا عليه نحن! إن البر الذاتي، السعي وراء مطالب الذات لإرضائها، الكبرياء مسلكاً وطبيعة: ينكر حاجته إلى المسيح وإلى الله. هذه هي الخطيئة في الجسد – فاسدة مرعبة من يذللها، من يخضعها، من يغير طبيعتها؟.

ومع ذلك فقد أمكن السيطرة على بهيموث، ولو عن طريق الإنسان. فإن الله فوق الكل، فقط يوجد الآن "ما يحجز" (٢ تسالونيكي ٢). فالروح يتحكم في الجسد، يضبطه، وإذ هو ماكث في الكنيسة فلن يسمح للإثم أن يتطور إلى آخر صورة. وكذلك أيضاً – ولو بصورة مخففة – يضبط الروح ويعطل نشاط الجسد "اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد".

هكذا الحال في يوم أيوب، فقد كان في مقدوره أن يميز في داخله مبدأً شريراً يستطيع الله وحده أن يردعه، مبدأ تعلم أيوب أخيراً أن يرفضه ويحكم على ذاته. بغض النظر عن إحساسه بالثقة في الله، وعن ثمار النعمة في قلبه، على أن هذا سوف يبرز قدامنا بأكثر تفصيل في الصفحات التالية – إن أذن الله – .

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الأربعون

ص ع	الكلمة		معناها
٤٠ :١٣	أطمرهم	:	مطمورة ص ١٨ :١٠.
٤٠ :١٦	متنيه	:	أعلى الظهر.
٤٠ :١٧	يخفض	:	يحني.
٤٠ :١٧	ذنبه	:	ذيله.
٤٠ :١٧	أرزه	:	شجر عظيم الفائدة ينمو في جبال لبنان.
٤٠ :١٨	أنابيب	:	كلمة إستعارية لكل أجوف.
٤٠ :١٨	جرسها	:	أوصال الساق والرجلان.
٤٠ :١٨	ممطول	:	كالسيف – مضروب كي يطول.
٤٠ :٢١	السدرات	:	شجر النبق.
٤٠ :٢١	القصب	:	كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوب.
٤٠ :٢١	الغمقة	:	ص ٨ :١١.
٤٠ :٢٤	خزامة	:	حلقة من شعر تجعل في وترة أنف الجمل يشد فيها الزمام.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الحادي والأربعون

لوياثان – كبرياء المخلوق ظاهرة تماماً

يتفق معظم الشرّاح على أننا نجد في "لوياثان" ذلك التمساح المصري، موصوفاً في تفصيل كثير، وكما أن فرس النهر (سيد قشطه) هو حيوان البر أو اليابسة، كذلك التمساح هو حيوان مائي، وكلاهما برمائي، إن هذا المخلوق يوصف بأسلوب يشبه إلى حد كبير وصف الحيوان السابق، ولكن في إفاضة فلزام علينا أن نحاول الإبانة عن الأجزاء المختلفة التي يمكن أن يتفرع إليها الوصف.

على أنه يحسن بنا، قبل الدخول في التفصيلات، أن نتساءل عن دلالة هذا الحيوان قياساً أو مقارنة مع الحيوان الأول. فذاك الحيوان يرمز – كما قلنا مقترحين – إلى روح الارتداد عن الحق المعلن، الذي يصل إلى أقصى درجات تطوره في ضد المسيح، إنسان الخطيئة. وهذا الحيوان يرمز – بوصفه طالعاً من الماء – إلى الوحش الأول المذكور في (رؤيا ١٣)، إلى السلطة العالمية الكبرى كما نراها في أربعة حيوانات سفر دانيال (ص ٧). فإذا وجدنا في بهيموث روح الارتداد في الديانة، فإننا نجد الارتداد في الحكومة المدنية متجلياً في لوياثان

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ففي الأخير نجد الحاكم العالمي، دون النبي الكذاب، ومع ذلك فالاثنان مرتبطان معاً ارتباطاً وثيقاً. على أن هذه نظرة أمامية للتطور الأقصى في الأيام الأخـــيرة. إنما المبدأ في ذاته (أي الاستقلال عن الله) الذي يريد أن يحمل له اسماً، طالما تجلى في وضوح منذ أيام قايين الذي بنى لنفسه مدينة، ومنذ أيام نمرود مؤســـس أول إمبراطورية عالمية كبرى (تكوين ١٠: ٨-١٠). ولاحظ أن هذه القاعدة ليست قاصرة على الزعامة القومية، فإن الروح ذاتها. روح الإرادة الذاتية العنيفة، الـــتي لا تطيق المقاومة والمعارضة، تبدو كذلك في الأفراد في عدم خضوع للسلطات، فمن ذا الذي استطاع أن يقيد إرادة الإنسان ويكبح جماحها؟.

هوذا وحش أكثر من بهيموث رهبة، إن الموت ليس له قوة إلا على الحياة الحاضرة بينما الشيطان الذي يرمز إليه لوياثان يجر ضحاياه معه في الموت الثاني (أشعياء ٢٧: ١). وتجاه مثل هذا العدو نحن بالطبع معزولي السلاح مثل الطفل الذي يحاول اصطياد لوياثان (ربما التمساح) بشص (ســـنارة)! (ص ٤١: ١). بلا شك لا نلعب بلا عواقب مع قوة الشر. هل نحن إذاً تحت رحمته؟ كلا بنعمة الرب! لقد انتصر المسيح على العدو الرهيب. ليتنا نذكر هذه المعركة الحاسمـــة ونتعلق بذاك الذي غلبه (ص ٤١: ٥، كولوسي ٢: ١٥).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تحت صورة لوياثان الرهيبة، يكشف الله لأيوب المشتكي عليه في (ص ١) والذي صار عدوه في (ص ٢). أن المقاتل يجب عليه أن يعرف عدوه حتى لا يقدّره بأقل من قدره الحقيقي. يجب أن يعرف المؤمن ما هي قوة إبليس (ع ١١) الذي انهزم عند الصليب ولكنه دائماً يعمل ولا نجهل أفكاره (٢ كورنثوس ٢: ١١). لنرى ما يتميز به: فكه المزدوج (ع ١٢، قارن ١ بطرس ٥: ٨). وقلبه الصلب مثل الحجر (ع ٢٤) لأنه غريب تماماً عن المحبة الإلهية ولا قوة بشرية تقف أمامه (ع ٢٦-٢٩). وهو يشيع الرعب بسيفه: الموت الذي يلحق بأقوى الناس (ع ٢٥). ولكن الشيطان هو أيضاً "الكذاب" والذي يغوي.

ليتنا نحترس من تصوراته (ع ١٨، يوحنا ٨: ٤٤، ٢ كورنثوس ١١: ١٤). إنه يجذب النفوس في العالم، بحر الملذات الفائر، بتقديم موارده كطعام ثمين (القدر) أو كدواء للألم (قدر العطارة) يقود إلى اللج تحت مظهر الحكمة والاختبارات (الشعر الأشيب) الجهلاء الذين يتبعون سبيله المضيء (ع ٣١، ٣٢). أخيراً لنتذكر اللقب المرعب المعطى له "هو ملك على كل بني الكبرياء" (ع ٣٤ – انظر ١ تيموثاوس ٣: ٦).

هنالك ثلاثة أجزاء في هذا الإصحاح:

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

(ع ١- ١١) ضراوته غير المروضة.

(ع ١٢- ٢٤) تحليل أجزاءه المختلفة.

(ع ٢٥- ٣٤) قوته البارزة.

(ع ١- ١١) ضراوته غير المروضة.

في هذا الإصحاح نجد وصفاً أطول للحيوان المسمى (لوياثان) وهو كما يُعتقد "التمساح" لأنه حيوان رهيب جداً. لا يخشى الجنس البشري بل على العكس ينقض على الرجال والنساء والأولاد ويفترسهم إن وقعوا في قبضته. فهو إذاً ليس غريباً كالبهيموث الذي كنا نتأمل فيه في الإصحاح السابق.

"أتصطاد لوياثان بشص". أنت الذي تستطيع أن تعمل مثل هذه العجائب، تتكلم عن الله، وتحكم على الله، وتستذنب الله! قل لي، أتستطيع أن تصطاد لوياثان بشص؟ كان ينبغي أن تستطيع ذلك "أوَتضغط لسانه بحبل؟" "هوذا الرجاء به كاذب".

إن السؤال الأخير الذي جاء بالشق الخاص ببهيموث يقود إلى سؤال شبيه به فيما يتعلق بلوياثان. فهل يمكن إمساكه بخزامة أو شص، أو حبل ضاغط على لسانه؟ أو يمكن تقييده كواحدة من الأسماك المألوفة بحبل من الأسل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

من خلال خياشيمه؟ هل هو حيوان جبان رعديد، أو مخلص مطواع؟ أنعده لعبة لتسلية الأطفال في البيت كالعصفور مثلاً؟ هل هو سلعة تتداولها الأسواق، تباع وتشترى؟ وإذا لم يكن اصطياده كسمكة، هل يمكن مهاجمته بالحراب، أو السهام؟ من ذا الذي حاول هذا؟ إنه حينئذ يستعيد لنفسه ذكرى معرفة مخيفة، بحيث لا يود تكرار هذه المحاولة. إنه يخيب رجاء كل مقاومة، ليس من يجسر على إيقاظه أي إثارته أو الوقوف قدامه.

إذا كان الأمر كما تبين، إزاء مخلوق – مجرد مخلوق – فمن يستطيع أن يقف أمام الخالق؟ من سبق فأعطى الرب أولاً حتى يطلب أن يسترد؟ أو (كما قال الرسول) "من أعطاه فيكافأ" (رومية ١١: ٣٥).

في هذا الجزء الأول من الوصف نقرأ عن صفات هذا الكائن المتوحش، ولا يمكن الدنو منها، وغير المروضة. والاستنتاج الواضح الذي نخرج به هو "كما بيّنا قبلاً – إذا كان المخلوق من القوة بهذه الصورة فماذا عساه يكون الخالق؟ غير أن ما قرأناه يجعلنا نتوقع أكثر من هذا الإقرار بعظمة الله أو سلطانه. فالوصف ليس عن مجرد قوة مقتدرة، بل عن قوة الشر. وهكذا يتكلم الوحي عن الشيطان كالتنين (رؤيا ٢٠: ٢)، وكمتسلط على الأرض – عن طريق حاكم مصر – فيقال عنه: "في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

العظيم الشديد لوياثان الحية الهاربة، لوياثان الحية المتحوية ويقتل التنين الذي في البحر" (أشعياء ٢٧: ١، ١٢، ١٣). وما أعجب أن يقال هكذا عن الحاكم العالمي. فهل يخوننا أن نلاحظ العلاقة بسلطان الشر الذي نراه في إصحاحنا؟.

هو أمر مألوف أن تكون حكومة الإنسان مناهضة لله، ففي نبوخذنصّر تتجلى هذه الكبرياء، في قمة العظمة البابلية، ومن يومه كم من ملوك كانوا ولا يزالوا يحلمون بالإمبراطوريات العالمية: أباطرة الماديين، والإغريق والرومان، والقياصرة الأقل عظمة ممن جاؤوا بعدهم. ما كان أقساهم! وكأنهم في يومهم جامحون وغير مروضين. وإلا فهل جرؤ أحد من الناس أن ينازعهم وهم في قمة السلطان.

"اذكر القتال – ولا تفعل هكذا بعد" (ع ٨).

أفيريد أيوب أن ينضم بين هذا الفريق من الناس الذين يعملون على إشباع أطماعهم ويتمنون لو أنهم أقصوا الرب عن عرشه؟ يا له إثماً مرعباً، مدهشاً.

وإذ نأتي إلى التطبيق الفردي فإننا نجد في هذه "الحية المتحوية" أي الملتوية، صورة لإرادة الإنسان المنحرفة العوجاء، إن كل خطيئة لها أصلها

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وجذرها في العصيان، قد تسخر من هذا القول، ولكن ليس ما هو أكثر رعباً من هذه الإرادة الذاتية – الذهن الجسدي، لأن فكر الجسد، أي اهتمامه، إنما "هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لأنه أيضاً لا يستطيع". وأي نفع يرجى من أية محاولة لإصلاح العالم أو ترويض التمساح؟ قد يحلم الناس ويخططون، يحاولون ملاشاة التعاسة من الأرض، غير أن الخليقة حتى في إبان أنينها – إنما تسخر من كل محاولة بشرية لإخضاع وإذلال إرادها المنحرفة. ومرة أخرى، كم هو مرعب أن يجد أيوب إمكانيات الشر والتمرد جاثمة في قلبه!.

(ع ١٢- ٢٤) تحليل أجزاءه المختلفة.

وإذ نأتي إلى التفاصيل نرى الرب. يبين ليس فقط أن هذا الحيوان جامح لا يقاوم في مجموعة، بل إن كل واحد من أعضائه يعلن عن القوة ذاها، المنتصرة على طول المدى. وإذ نبدأ بفمه المخيف بما يحتويه من أسنان قاطعة حادة، يعلمنا الرب أن لها جميعاً نفس الطابع المميز، والحرشف الذي على رأسه وجسمه هو كفخر متكل الكبرياء. سلاح لا يمكن لشيء أن ينفذ من خلاله "فخره أتراس (أو مجان) مغلقة محكمة كما بخاتم قريب وثيق" – وكل واحد متصل بالآخر بحيث لا يمكن للسهم أن ينفذ من بينها، بل إن عطس هذا الكائن

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يشبه الضوء الكبريتي متصاعداً من نيران مخبوءة في داخله (ع ١٨-٢١)، وعيناه تومضان كأشعة الشمس الخارجة من خدرها، وفمه – مثل خيل البوق السادس (رؤيا ٩: ١٧) تخرج من "نار ودخان وكبريت". أما عنقه فهو مكمن القـــوة، يجعل اليأس – لا الفرح – يرقص أمامه: ذلك أنه نذير البؤس، وهذا هو مفهوم العدد (٢٢) "في عنقه تبيت القوة وأمامه يرقص الهول". أما خاصرتاه – وهمـــا في كل الحيوانات عرضة للسهام السهلة لأنهما لا تغطيهما عـــضلات. فإنهمـــا متماسكتان ولا يمكن النفوذ منها. أما في الداخل فهناك قلب كالحجر لا يبـــالي بالمخاوف.

هذه أوصاف الحيوان ذاته، ولنكن على يقين من أن الحقيقة الروحية أشد رعباً بما لا يقاس. إمبراطور عالم شيطاني. مفترس، جامح "ينفث تهدداً وقتلاً!" من يقوى أن يتحداه في وجهه؟ أي سهام يمكن أن تخترق عدته؟ فـــإن نـــيران الهاوية تومض في "عطاسه" تهديداته وأقواله، "فتح فمه بالتجـــديف علـــى الله ليجدف على اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين في السماء" (رؤيـــا ١٣: ٦). ويا لها من صلابة عنق متقسّ تلك التي تجعل الكل ينحنون أمامها مالئين الأرض خراباً وقلوب الناس ويلاً، عربدة البؤس والشقاء كرنفال من رقصات اليـــأس الطروب أمامه: سيف ووباء وموت، تلك الظواهر التي لا مفـــر منـــها والـــتي

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تصاحب قوة وسلطان الشيطان المستبد. لن تكون في "الوحش" خاصرتان يمكن للسهم أن ينفذ منهما، بحيث يرجع الحيوان كما ينهزم الجيش عند خاصرتيه أي جناحيه، كلا ولا هو يعرف الشفقة. فمن قلبــه الــصوانيّ تخــرج الكراهيــة والسخرية والموت. وأولئك الذين رفضوا جميعاً أن يستمعوا إلى توسلات قلب المحبة الرقيقة، قلب ذاك الذي قال: "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم". سوف يسحقهم ذاك القلب القاسي، قلب الإمبراطــور العــالمي الذي لا يعرف محبة ولا عطفاً.

فهل يخفي أيوب جرثومة هذا الرعب والهول في حــضنه؟ هــل يجــد الاستقلال والإرادة الذاتية ملجأ في حضنه تفرغ في زواياه بالتهم القاتلة؟ وهذا في الواقع جوهر مشيئة الإنسان الاستقلالي. وهذه مردّه تطورها. نعم فإنه تحت مظاهر الإنسان اللطيفة تكمن هذه الإمكانيات المخيفة، حتى في أي مــن أولاد الله هناك طبيعة لها هذه الخصائص.

(ع ٢٥- ٣٤) قوته البارزة.

فخره أي حراشفه موضع فخره وكبريائه لأنها لا تمثل فقط قوته الهائلــة ودرعه الذي لا يخترقه أي سلاح عادي بل إنه في داخلها يشعر بالثقة والفخــر والاطمئنان!.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهو يرينا عين ما نطق به الرب ليغلب أيوب في ثقته الذاتية ويريه أن جهله كان عظيماً، وأن ضعفه كان واضحاً، وأن الحكمة كانت تعوزه حتى للدخول في رحاب أعمال الله الخارجية الظاهرة ومع ذلك، فعما كان الرب يتحدث حتى الآن؟ عن أشياء أرضية فكل واحد من هذه الأشياء ليس إلا شيئاً طبيعياً، مرئياً، منظوراً، وقتياً. فإذا كان أيوب قد عجز كل العجز عن الجواب على سؤال من هذه الأسئلة – والواقع أنها ظلت جميعاً بلا جواب حتى اليوم رغم كل ما يتفاخر به العلم من نظريات – فإذا كان هذا هو الحال فيما يتعلق بالأشياء الأرضية، فماذا يكون الحال فيما يتعلق بالأمور السماوية؟ وماذا عن الأمور الأبدية؟ هنا يقف الإنسان في جهل تام، ونحن إزاء الأمور الأبدية نعتمد اعتماداً كلياً ومطلقاً على الله، لأننا لا نعلم شيئاً عنها سوى ما يقوله لنا هو، وفي هذا كل بركتنا. وهذا ما ننتظره ونتوقعه – الأمور التي لا ترى والأبدية، ولذلك فإننا من بين جميع الناس ينبغي علينا أن تكون حياتنا حياة الاتكال المطلق، حياة التطلع والثقة والإيمان.

وإذ يعود بنا الرب شيئاً ما إلى أسلوب الجزء الأول من الوصف، بأنه تبارك اسمه يتناول عدم قابلية هذا الحيوان للجراح. فالأقوياء يخشونه، من الهول وخوف الجراح ترتجف أيديهم فتخطئ الهدف (ع ٢٥ حرفياً). وحتى لو لامسه

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

السيف فإنه يرتد طائشاً دون جراح، وما من سلاح، سواء صوبته عن بعد أو عن قرب، يمكن أن يصل إلى مقتل جوهري حيوي، هو يدوس الحديد كأنه قش والنحاس كأنه عود من الخشب نخر، والنبال لا تجعله يهرب حجارة المقلاع ترتد عنه كالتبن الذي لا يؤذي، يسخر من السهام والحراب، وأجزاؤه التحتية المنبسطة على الأرض، ليست ضعيفة بل تشبه الشقفة القوية الحادة، مثل النورج، طريقه التي ترغي وتزبد وهو يجتاز المياه، تترك في أثرها (جُرّة) مثلما تترك السفينة. "ليس له في الأرض نظير وقد صنع بلا خوف، يشرف على كل متعال، هو ملك على كل بني الكبرياء" (ع ٣٣، ٣٤).

هذا هو التصوير الإلهي للحيوان، وهل يراودنا الشك في أن إلهنا يريد أن يستخلص منه الصورة الأشد هولاً "للوحش" وللإرادة البشرية التي تجعله هكذا؟ "من هم مثل الوحش؟ من يستطيع أن يحاربه؟" (رؤيا ١٣: ٤). إن "الجرح المميت" الذي شفي إنما هو إقرار جديد بعدم قابليته للإصابة القاتلة. "تأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها" (دانيال ٧: ٢٣) "طين" الشعب ذاته يحميه. والفوضى التي يخلقها في الأرض والتي تطبعها بالحراب، تعلن عن طريقه، لا مثيل له في الأرض، وكما أن التمساح ملك على كل الحيوانات المتكبرة، هكذا الوحش ملك على كل بني الكبرياء. أفيرضى أيوب، نفترض نحن، أن نوقّره

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ونساعد في ملكوته؟ إن كنا لا نرضى، إن كان أيوب لا يرضى، فليس أمامه وأمامنا، غير طريق واحد مفتوح.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الحادي والأربعون

ص ع	الكلمة		معناها
٤١: ١	شصّ	:	صنارة لصيد السمك.
٤١: ١	ضغط	:	(ص ٣٩: ١٥).
٤١: ٢	أسلة	:	الرماح وشوك النخل وكل عود لا عوج فيه.
٤١: ٢	خطم	:	أنف "أنف لوياثان".
٤١: ٢	فك	:	الفك اللحي.
٤١: ٢	خزامة	:	(ص ٤٠: ٢٤).
٤١: ٦	الكنعاني	:	التاجر.
٤١: ٧	إلال	:	حربة تستخدم للصيد.
٤١: ٩	يكب	:	المراد يقلب على رأسه.
٤١: ١٢	عده	:	الاستعداد وما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح.
٤١: ١٣	مثنى لجمته	:	اللجمة موضع اللجام – وقيل فكيه.
٤١: ١٤	مصراعي	:	غلقي الباب (ص ٣٨: ١٨).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

٤١ :١٥ فخره : مدحه – عظمته.

٤١ :١٥ مجان : هو الترس غير أنه أكبر منه حجماً.

٤١ :١٥ مانعة : قوية – شديدة.

٤١ :١٥ مضغوطة : معصورة – مضيق عليها.

٤١ :١٧ متلكدة : متجمدة.

٤١ :٢٢ الهول : المخافة من الأمر لا يدرى ما يهجم عليه منه.

٤١ :٢٧ النخر : البالي المتفتت.

٤١ :٢٨ يستفز : استفز الخوف فلاناً استخفه واستدعاه.

٤١ :٢٩ المقمعة : العمود من حديد يُضرب به رأس الفيل وخشبة يضرب بها رأس الإنسان لإذلاله وإهانته وقمعه.

٤١ :٣٠ يمدد : يطول.

٤١ :٣١ عطارة : صنع العطر، أو الطيب.

٤١ :٣٢ اللج : اللجة معظم الماء.

٤١ :٣٢ بني الكبرياء : الكلام عن الحيوانات الجبارة التي لا يقوى عليها الإنسان – ولوياثان بينها يرمز لإبليس (القوي) (متى ١٢) الذي بسبب قوته الجبارة لا يقوى عليها سوى الله. ولأجل الانتصار عليه يلزم الالتجاء إلى الله.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الإصحاح الثاني والأربعون

أيوب يتّضع تماماً

نصل هنا إلى نهاية السفر، إلى الدرس الكبير الذي فهمه أيوب في النهاية. إنه يدعى التحرير، الخلاص من كلمة "أنا" الحقيرة فبينما كان الرب يكلّمـــه، أخذ رأي أيوب عن ذاته يضمحل. لقد أخذ يكتشف برعب شر قلبه. لقد قرر أن لا يجاوب (ص ٤٠: ٤). وهوذا الآن يصيح "أرفض وأندم.." (ع ٦). هذا ما يجب أن يقوله "رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشرّ" (ص١: ٨). عندما يوجد في محضر الله! لقد تغربل أيوب كالحنطة وهو عمل شاق ولكنـــه (نظير بطرس) خلّصه من الثقة في ذاته. وهو يستطيع الآن أن يقوي أخوته وهو يصلي لأصدقائه (ع ١٠، قارن لوقا ٢٢: ٣٢).

وقد دعاه الرب أربع مرات "عبدي أيوب" ووبّخ المعزين الثلاثة المتعبين. وأرسل آخرين إلى يعقوب ليعزوه تعزية حقيقية و لم يرده فقط إلى حالته الأولى ولكن أعطاه ضعف كل ما كان يمتلك من ذي قبل وبالإضافة إلى ذلك فقـــد حاز أيوب شيئاً أعظم من الكل: لقد تعلم أن يعرف الله وفي الوقت نفـــسه أن يعرف ذاته.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

* * *

(ع ١- ٦) جواب أيوب.

"فأجاب أيوب الرب فقال: قد علمت أنك تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر. فمن ذا الذي يخفي القضاء بكلام بلا معرفة!".

إنه أيوب نفسه، إنه هو الذي كان يحاول أن يخفي القضاء دون أن يكون عنده المعرفة الكافية ببواطن الأمور. إنه يعترف الآن بهذا، وهذا هو اعترافه العظيم.

"ولكني قد نطقت بما لم أفهم، بعجائب فوقي لم أعرفها". إلى أن يقول: "بسمع الأذن قد سمعت عنك".

أي أني سمعت عنك مجرد سمع، عرفتك معرفة موضوعية وليس معرفة شخصية. أما الآن فقد جعلت هذه المعرفة ملكي الخاص وقد طبقتها على نفسي وظروفي وحالتي فلا يسعني إلا أن أقول: "والآن رأتك عيني، لذلك أرفض (أي أكره نفسي) وأندم في التراب والرماد". والحق أننا نرى في هذا كله تلك النصرة الأدبية العظيمة التي أحرزها الرب في مواجهة الشيطان، ومواجهة أصحاب أيوب الثلاثة ومواجهة أيوب نفسه، فمن غير الرب كان يحتمل كل

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هذا الذي قاله أيوب؟ إن ما نطق به أيوب كفيل بأن يستفز أي واحد غير الله تبارك اسمه. وهكذا نرى بوضوح صلاح الله في وسط المعركة كلها.

رأينا كلام الرب الإضافي في الكلام الثاني وهو ليضع أيوب نفسه تماماً في التراب ويخرج من شفتيه الاعتراف الذي هو وحده يُرضي الرب ويكون بركة لنفسه، فأولاً يعرف قوة الرب الرفيعة فهو كلي القدرة ويستطيع أن يفعل كل شيء ثم يقتبس كلمات الرب (ص ٣٨: ٢٣، ٤٠ : ٢) "اسألني من ذا الذي يخفي القضاء بلا معرفة" هنا الرب يوبخ أيوب لاستذنابه القاسي والمتهور ضد الرب والآن يعرف أيوب أن توبيخ الرب صحيحي والكل حق فيقول: نطقت بأمور عجيبة جداً، وراء إدراكي استمع لي الآن يا رب وأنا أتكلم مرة أخرى يقتبس كلام الرب وقال (ص ٤٠ : ٢) "أسألك فأجبني" هنا إذاً جوابي. فهو يجيب – سمعت عنك بسمع الأذن أما الآن قد رأتك عيني. أرفض وأندم في التراب والرماد.

وجهاً لوجه مع قوة الرب وقداسته أذلت أيوب في التراب والرماد ولا يتفاخر أي مخلوق في محضره فقد ولّت دعوى براءته من البر والإحسان وكل التفاخر عن عظمته السابقة يرى نفسه وقد تجرد من الكل يقف في محضر الرب في عُري وخجل لا يقول أنه يرفض الآن ما تكلم به فمه بل نفسه وشر كبرياء

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

قلبه. يأتي إلى الرب الآن فيرفعه ويقيمه للبركة والمجد. هذا المشهد العظيم يتوافق مع رؤيا أشعياء عندما رأى الرب وصرخ "ويل لي إن هلكت لأني إنسان نجس الشفتين" (أشعياء ٦: ٥).

لقد انحلّت أحجية أيوب، سمح الله بالكرب أن يحل على عبده أيوب ليس فقط ليستعلن قوته بل لخير أيوب، ليجذبه إلى داخل مكان القـرب والبركـة وذلك المكان هو التراب "في التراب والرماد" هذا المكان الـذي يخـص كـل قديسي الله.

هذا الجزء هو بمثابة حلقة الوصل بين القسم الذي أمامنا والقسم الرئيسي الأخير للسفر كله. ومن حيث أنه يعرض علينا أثر أقوال الرب على أيوب فهو لذلك تابع للقسم الرابع ولكن من حيث أنه مقدمة تمهيدية لخاتمة السفر فهـو تابع للقسم الخامس الموجز. وإننا لندرس استجابة أيوب هذه بوصفها تعبيراً عن الأثر الغامر الذي تركته في نفسه أقوال الرب.

مرة أخرى يتجاوب أيوب مع أقوال الرب الجارحة المذللة، ومرة أخرى يردد اعترافه بطريقة كاملة، وهو يقر بقدرة الله الكلية، وهو يقرّ بأنه تعـالى لا يمكن أن تتعطل مقاصده التي تعلن قوته وحكمته وصلاحه كما تعلنها أفعالـه

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تماماً بتمام، أجل، فهناك تسليم كامل، في اختلاف كلي عن جميع ما قاله من قبل عن الله.

إذ يقتبس من أقوال الرب، يساءل نفسه: "من ذا الذي يظلم المشورة؟ من يجرؤ أن يلقي ظلاً على القدير؟ في طرقه تعالى أسرار كما في كل الخليقة والعناية، لكن التمرد على هذه الأسرار، أسرار المشورة الإلهية، لا يكسب شيئاً، وهو كإنسان بلا معرفة عن حقائق الطبيعة الأولية بمعناها الدقيق، قد نطق بما يجاوز أفق الإدراك المحدود، فهو إذاً قد تكلم بغباء، وكم هو يختلف بذلك عن المرنم التقي "عجيبة هذه المعرفة، فوقي ارتفعت، لا أستطيعها" (مزمور ١٣٦: ٦). ذلك بأن أيوب اقتحم أمور الله وتجاسر أن يتكلم شراً عن الصلاح الإلهي والقدرة الكلية.

يستمر أيوب في تخصيص أقوال الرب لنفسه فيعود يتساءل مع نفسه: "من ذا؟" "استمع" "وأنا أتكلم" كأنه يبدي استعداده لأن ينحني أمام هذه الأسئلة محتقراً ذاته، وذلك عن طريق تكرارها. ثم يجيب على سيده الإلهي الذي يسأله: وياله جواباً! هو الجواب الوحيد الذي يمكن أن تقدمه الكبرياء البشرية لله. "بسمع الأذن قد سمعت عنك" إن أيوب كان بوجه عام قد حصل على تعليم سليم، غير أنه إنما كان قد تعلم عن الله "والآن رأتك عيني". لقد واجه

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الله، إن لم يكن عياناً (ولو أنه كانت في الفلك مظاهر مجده المرعبة التي أحسها أيوب) فعن طريق الإدراك النفسي لله بعقله المستنير وخاصة بالـضمير، فقد اقترب الله من أيوب، وهذا من جهته أحس بتلك القداسة الـتي لا توصف وبالقوة الإلهية، مرة احتواه مجلس الناي وقد احتفظ فيه بمركـزه أكثـر مـن أصحابه. وفي حضرة الله لا يمكن لمخلوق أن يفتخر، وقد وجد نفسه أخيراً في تلك الحضرة المجيدة المقدسة. وعندئذ تعرى من كل "ثوب عدة" بره الـذاتي، ووقف هناك في كل عري الكبرياء والتمرد على الله "لذلك أرفض" – يـرفض ماذا؟ الماضي كله، كل ريبة ظالمة، كل اتهام مرير كل يأس، كل ندبة حـائرة؟ بلى وأكثر – إنه يرفض مصدر هذه جميعاً "أرفض نفسي"! إذ مـن يـشك أن توبة أيوب قد تجاوزت مجرد الحكم على أقواله، وإنه حكم على ذاته؟ ومن هنا، فإن عدم تحديد ما يقع تحت الرفض، يؤكد فكرته. وكأن لسان حـال أيـوب يقول للرب! سوف أبدو أمام جميع الناس، وعلى هامتي الوصف الذي ارتضيته لنفسي "أرفض".

وهكذا أخذ المكان الذي يليق به – المكان الذي كان بالحق قد أخـذه ظاهرياً عند البداية. أي افتراش التراب والرماد. هو النادب الحق، هـو النـادم

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الحقيقي، يندب نفسه، يندم عن نفسه، حزن وندامة أعمق بكثير مـــن مجـــرد الاعتراف بالأعمال والأقوال.

أجل وهي أقوال نستطيع أن نقرر أن الرب طالما اشتاق أن يسمعها فلـــم يكن قد سمعها في أيام رخاء أيوب ونجاحه، ولو أن تقواه لم تكن أمراً مشكوكاً فيه. وإن لنا أن نقول: مهما تكن أهداف الشيطان في هذه الآلام جميعـــاً الـــتي وقعت على أيوب، فإن غاية الله أن يسحب من فم أيـــوب وعواطفـــه هـــذا الاعتراف. ولماذا؟ هل لإذلاله؟ كلا بل لكي يعطيه سبباً للافتخار الـــصحيح. لكي يمنحه الامتياز بأن يشاهد مجد الرب، وألا تعود السحب لتغيّم على نفسه! فهل كان الاختبار جديراً بالاهتمام وله قيمته؟ هوذا جواب واحد ليتنا جميعـــاً ننطق به.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

القسم الخامس

الإصحاح

الثاني والأربعون

الأعداد

(٧-١٧)

عـــــاقبة الـــرب

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أثر المعاملات الإلهية مع أيوب، وردّه إلى بركة أعظم من الأولى.

الآن يطالعنا الوحي بإعلان غرض الله الأعظم، ولا شك أنه لم يكن من الخير لأيوب أن يطّلع على هذا الغرض ويعرفه قبل ذلك، بل كان الأفضل له أن يسير في بساطة الإيمان وأن يتعلم كيف يثق بالله الثقة المطلقة، وأن يتأكد أن الله ما كان ممكناً إلا أن يكون أميناً جواداً منعماً مهما كانت الظروف والأحوال. ومع ذلك فالتجربة كانت ولاشك قاسية ومرّة، ونحن نعلم أن عزيمة أيوب خارت تحت ثقل وطأها وإن نفسه صغرت من هول شدها كما فعل كل شخص سواه منذ ابتداء العالم ما عدا شخص واحد فريد هو الرب نفسه. والحق أن لمن الأمور المليئة بالتعزية والتعليم لنفوسنا أن نقارن بين أقوال السيد له المجد، وهو يتحدث عن آلامه وهالة المجد والجلال والهدوء تحوطه في مواقف الألم المرير وبين حالة الضجر والهياج التي ظهرت حتى في رجل، رجل يعتبر أعظم الصابرين وأجدرهم بإعجابنا وهو أيوب. ولكن ها هو الله في جميل عنايته يصوّر لنا الفرصة من أولها لآخرها ويوقفنا على كل دقائقها وتفاصيلها ويحدثنا عن القضية من مختلف زواياها وجوانبها، ونحن إذا نصل إلى نهايتها نهتف موقنين أنه لم يكن ممكناً أن يكون هناك ما هو أجمل ولا أروع ولا أكثر

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

تعليماً وبنياناً لنفوسنا من الاستماع إلى القصة بأكملها والإطلاع على السفر بأجمعه.

فنحن نلاحظ أننا في الإصحاح الختامي فقط نرى القصة من ناحية تداخل "الرب" في المعاملات التي أجريت على أيوب، ولاشك أننا نرى ذلك أيضاً فيما قاله الرب لأيوب في الإصحاحات الأخيرة السابقة (ص ٣٨-٤١) ولكن هذا كان لتوصيلنا إلى الخاتمة أو "عاقبة الرب" التي هي بيت القصيد.

لقد أتقن أيوب درسه، ونستطيع أن ندعه جالساً في الرماد، مضروباً ومذلولاً بعد، لكنه سعيد بالبهجة التي عثر عليها حديثاً – أي معرفة الله معرفة تامة. قد "يخمع على حق فخده" بفعل ثقل الأيام، لكنه في غنىً عن إشفاقنا.

ولئن كان الله لا يؤدب من غير مقتضٍ حتى في حياة الألم والحزن هذه، لكنه "لا يذل من قلبه". فعلينا إذاً أن نرى "عاقبة الرب" أي رجوع هذا المتألم وردّه في نظر الناس، وهو ما سوف نراه في هذا الجزء الموجز الأخير من السفر.

ومع أنه جزء موجز كما قلنا، غير أنه على أهمية كبرى. فإذا كان أيوب قد أخذ مكانه، فإن الرب يدفع أصحابه لكي يأخذوا هم أيضاً مكانهم: ليس فقط قدامه تعالى، بل أمام ذاك الذي اتهموه ظلماً وأساءوا إليه كثيراً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وبعدئذٍ يحدثنا المؤرخ عن استرداد الصحة والثروة والأسرة والكرامة في وصف موجز، على أننا نرمق أيوب، كآخر لمحات السفر، في شيخوخة سعيدة وقد أوفى على نهاية حياته.

وإليك الأقسام الأربعة:

(ع ٧- ٩) استرداد الأصحاب.

(ع ١٠ - ١١) رجوع سبي أيوب.

(ع ١٢ - ١٥) العودة للنجاح والرخاء.

(ع ١٦ - ١٧) العاقبة أو النهاية.

(ع ٧- ٩) استرداد الأصحاب.

".. وكان بعدما تكلم الرب مع أيوب بهذا الكلام أن الرب قال لأليفاز التيماني.." ولماذا تكلم الرب مع أليفاز؟ ذلك لأنه لاحظ له المجد أن أحداً من هؤلاء الرجال الثلاثة لم ينطق بكلمة. فلم يستفيدوا من القضية كما استفاد أيوب إذ لو كانوا قد استفادوا كما يجب لكانوا قد اشتركوا مع أيوب وقالوا: أيها السيد الرب اغفر لنا غباوتنا، لقد أخطأنا ليس فقط ضدك بل ضد صديقنا العزيز أيوب. ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. فقد صمتوا كما يفعل الكثير من

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الناس عندما يكتشفون أهم كانوا على خطأ كبير، يلوذون بالصمت كما فعل هؤلاء الأصحاب الثلاثة وكان واجباً عليهم الاعتراف ولكنهم إذ لم يفعلوا، قال لهم الرب موجهاً كلامه لأليفاز باعتباره مقدامهم وأول من تكلم منهم "قال الرب" "قد احتمى غضبي عليك وعلى كلا صاحبيك لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب كعبدي أيوب" وهنا نسأل: متى قال أيوب الصواب، وما هو الصواب الذي قاله؟ هو تلك العبارة الأولى التي اقتبسناها منذ وهلة من الإصحاح الأربعين والتي نطق بها أيوب بعد أن تكلم الرب إليه أول مرة. ثم العبارة الثانية التي وردت في مستهل هذا الإصحاح الأخير والتي تلت الجزء الثاني من حديث الرب. وهما لاشك عبارتان قصيرتان ولكنهما محملتان بالصواب كلّه، فلم تكن أقواله البليغة وأحاديثه الرائعة التي أسكت بها الفصحاء وحيّر العلماء. كلا، لم تكن هذه الأحاديث العلمية الرنانة هي التي قدّرها الرب. إنهما العبارتان البسيطتان الدالتان على اتضاع نفسه واتخاذه المكان الصحيح أمام الرب. وقد وضع الرب الآخرين في مكانهم أيضاً. فلم يخضعوا أنفسهم و لم يتضعوا ولكن الرب هددهم قائلاً: "قد احتمى غضبي عليك وعلى كلا صاحبيك لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب كعبدي أيوب".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران، وسبعة كباش واذهبوا إلى عبدي أيوب واصعدوا محرقة لأجل أنفسكم – وعبدي أيوب يصلي من أجلكم لأني أرفع وجهه لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب كعبدي أيوب".

فكان لابد أن يقف أيوب شفيعاً لهم "لأني أرفع وجهه" أي لأني أقبله، لقد انحلّت الأمور الآن وأصبح كل شيء واضحاً لدرجة أن أيوب يستطيع الآن عن وعي وجدارة أن يتشفع في المخطئين. لقد اتضع الآن الأصحاب الثلاثة وانكسرت كبرياؤهم الروحية فبدلاً من جلوسهم قضاة يدينون أيوب ويصدرون أحكامهم عليه أخذوا مكان المسيئين إلى الله الذي يتطلعون إلى أيوب ليستعطف الرب لأجلهم.

إن أول ما نراه هو احتفاظ الله بكرامته تعالى. وهذا أساس كل بركة للخليقة ولو كان ممكناً أن نتصور إغفال كرامته والحط من قدرها، فمعنى ذلك يأس قاتل بلا بصيص من نور. وهي حقيقة بارزة في الكتاب: ففي الواجهة نجد مكتوباً بأحرف من نور "في البدء خلق الله" والقسم الأول من الوصايا كان مخصصاً لمجده، والطلبات الاستهلالية في الصلاة التي علمها الرب لتلاميذه تبرز

© Copyright 1998-2005, All rights reserved.

هذه الحقيقة والإنجيل قائم عليها، وفي الأبدية سوف تبرزها السماوات والأرض وتظهرها المسكونة متعبّدة.

فلا يدهشنا إذاً أن يتجه الله نحو أليفاز وصاحبيه معنفاً ثلاثتهم تعنيفاً صارماً من أجل نصيبهم في المخاصمة التي انتهت، فيما يتعلق بأيوب، نهاية سعيدة، وإذ يخاطب الرب أليفاز، بوصفه الزعيم، نسمعه يعلن غضبه على ثلاثتهم لأنهم لم يقولوا فيه الصواب كعبده أيوب. ومع ذلك فقد كانت خصومتهم ومجادلاتهم بحسب الظاهر من أجل برّ الله. أو لم يتمسكوا بها منذ الوهلة الأولى، بكثير من الوصف الفخم والتشهير اللاذع بالشر؟ أو لم يثبّتوا على أيوب بتهمة الإثم على الرغم من انعدام البيّنة، بل وعلى رغم الحقائق المعروفة التي تنهض دليلاً على فساد الاتهام؟ كانوا غيورين لكرامة الله!! — ألا فقد كان الموضوع موضوعهم هم.

أو في القليل هذا ما يبدو. لكن الله لا يرتضي الكرامة على حساب الحق. فإن مجده تعالى يقوم في امتزاج كل سجاياه في نور متطابق متوافق فهل يقبل إذاً دفاعاً أو تبريراً لصفاته وطرقه يكون قائماً على قاعدة من الاتهام الباطل؟ الذي يصم بالشر والرياء إنساناً قال عنه الله بنفسه. "ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر". هل يسمح بأن تمر

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نظرية مرعبة عن الألم كتلك التي صاغها أولئك الرجال وهي أن الألم هو أبدي بمثابة إصبع يومئ إلى الشر؟ إن الألم هو دائماً مظهر من مظاهر الغضب الإلهي؟ إذاً فما القول في تأديبه لخاصته، وفي نتائج التأديب التقديسية؟

في الواقع، كان هؤلاء الرجال فيما قالوه ضد أيوب يسيئون إلى صفات الله. لكنه تعالى لا يرتضيه ولا يسمح أن يدعهم دون توبيخ ولن يكون له شأن معهم ما لم يعدلوا موقفهم باعتراف وذبيحة.

"كعبدي أيوب" متى قال أيوب "الصواب"؟ لم يقله طبعاً يوم كان يصبّ الاتهامات المريرة ضد الله. كلا ولا كان هذا "الصواب" هو تلك الومضات الإيمانية التي عبّر عنها في فترات مثل "ولو قتلني فإني أثق به" (ص ١٣: ١٥) أو "قد علمت أن وليّ حي" – أو في أقواله الفخمة عن الحكمة. كل ذلك حق، وفاضل وجميل، ومكانه الجدير هو بعد الاعتراف والندامة اللذين تأملنا فيهما قبلاً.

هذا القول "الصواب" في الرب، هو أن تتخذ مكان المخلوق الخاطئ الذي لا يستطيع أن يدرك الأقلّ في تلك الطرق الإلهية – الطرق الصواب بينما تبدو على غير صواب، هو الإقرار بأن الله هو الله – هو الرب الواجب الوجود

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الكامل، الكلي الحكمة البار الصالح القدير، العادل القدوس في كل طرقه مهما تكن، ولئن كان "السحاب والضباب حوله" ولكن تبارك اسمه "فالعدل والحق قاعدة كرسيه".

هو الدرس الذي تعلمه أيوب – تعلمه لنفسه كما للآخرين. ألا فليظهر هؤلاء الرجال حكمتهم ويأتون قدام الله متضعين – وعلى هذا الأساس. هو تعالى لم يطردهم، بل أرادهم أن يقتربوا إليه بالطريقة الوحيدة التي يستطيع الإنسان أن يأتي بها، أي بواسطة الذبيحة فليأخذوا سبعة ثيران – رمز الخضوع التام والخدمة حتى الموت، وسبعة كباش – برهان تكريس النشاط كله، ويصعدوا محرقة، وهل ينسى الرب أيوب المسكين الذي ساءت به الظنون؟ كلا. إنه يشفع في هؤلاء لئلا يحصدوا ثمر حماقتهم "لأني أرفع وجهه". ما أكمله تعنيفاً! ما أسخاه وأكرمه رجوعاً! وما ألطف وأرق اشتراك أيوب في هذا جميعه!

ونحن الذين نملك نور نعمة الله الكامل، ما أبدع الصورة التي نراها هنا، والنعمة البارزة فيها، لقد خفضت كرامة الإنسان، والسامي في تقديره قد عدّ حماقة وهو نفسه قد تحول عن ذلك كله – عما فيه من خير وما فيه من شر – إلى المحرقة، إلى ذاك الذي هو بديلنا الكامل – كل الكفاية، فمن زاوية رمزية –

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الثور – نراه له المجد في كل قوة الخدمة المتواضعة "طائعاً حتى الموت، موت الصليب" ومن زاوية رمزية – الكبش – نرى تكريس النشاط الذي ينتهي به إلى "ذبيحة الفضلى" وهنا نتساءل: أين البر البشري وطاعة البشر من الصليب العجيب؟.

ولاحظ أنه لم يُطلب من الأصحاب تقديم ذبيحة خطيئة، ولو أن المحرقة تتضمن نزع الخطيئة، ولا ذبيحة سلامة، ولو أن المحرقة ندعو إلى أسمى شركة بل محرقة، وهي التقدمة الأولى الكبيرة التي هيأها الله في طرقه الحكيمة في أزمنة الآباء، تلك الذبيحة التي كلها لله. لذلك استطاع ذاك الذي أتى ليلغي كل ذبيحة وتقدمة أن يقول "هأنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله.. فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عبرانيين ١٠: ٩، ١٠).

ويرتبط بهذه الذبيحة الكلية القيمة شفاعة الرجل الذي أتقن درسه والذي – في الرمز – لم يعد يفتخر إلا بالصليب. لنتصوره واقفاً، يده بأيدي أصحابه وهم يعترفون بخطيئتهم وهو يشفع فيهم. منذ قليل اتهمهم بأنهم "معزون متعبون كلهم". أما الآن فلم يعد هذا الاتهام العنيف يضربهم، كلا ولا تلك التهكمات المريرة مثل "صحيح، إنكم أنتم شعب ومعكم تموت الحكمة".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

أجل، فالمتهكم ومتهكموه كلهم يتحولون أحدهم عن الآخـــر، إلى المحرقـــة، ليجدوا قبولهم جميعاً فيها.

"هكذا أخفي حياء وجهي، عندما تجلو هيئته المباركة". ويتحلـــل قلـــبي شكراً، وأذيب عيني دموعاً، إنه لذو دلالة واضحة أن يختم السفر – كما بدأ – بالمحرقة. أجل، فالمسيح هو النهاية وهو البداية "المسيح هو الكل".

(ع ١٠- ١١) رجوع سبي أيوب.

والآن يستطيع الرب أن يرفع يده عن المتألم، ويرد سبيه الحزين رداً كاملاً وفي نجاح. وهنا يستطيع أيوب أن يقول: "قبلت من يـــد الـــرب ضـــعفين". فالأقارب والمعارف الذين هربوا منه وازدروه، يعودون ومعهم هدايا ومواســـاة ولا يخطرن ببالنا أنها هدايا رسمية مجردة من العاطفة فإن الله قد جعل في قلـــوبهم الاعتراف بأنهم رأول وأحسوا رضاء الله على عبده وقبوله إياه. ومـــن الجهـــة الأخرى ضوعفت له ثروته من ماشية وغنم وسواها. انظر يا أخي مبلغ اهتمام الله بهذه التفصيلات، وهو مالك السماوات والأرض!!.

أن يخطر ببال أحد أولاد الله المتألمين أن يهمس بالقول: ليت الأمر كـــان معي هكذا. ليتني أسترد الصحة والرخاء والأعزاء الذين فقدهم. ولكن يا أخي

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

ماذا عندنا الآن؟ عندنا معرفة الله في المسيح، وسكنى الروح، وكلمة الله التامة الكاملة. وهناك خلف الآلام "اليسيرة" "ثقل مجد أبدي". فهل نتبرّم؟ ألا ليتنا بالاحرى ننتظر بالصبر إلى "فداء المقتنى" وكما عاد سبي أيوب هكذا من المحقق أن يدخل كل ابن لله "الميراث الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل".

الآن استرد أيوب سبيه والبركة المضاعفة، كل أقاربه مع كل معارفه جلسوا معه. ماذا عن مرضه الجسدي؟ لا شيء يقال عن ذلك لكن بالتأكيد لمس الرب جسده المتألم والذي تكلم للأبرص لابد تكلم لأيوب "اطهر" واختفى البرص الكريه كما قال أليهو صار لحمه كلحم صبي صغير أحضروا له مالاً وخواتم من ذهب ولم تكن هدايا لتغنيه لكن الرب فعل ذلك لأيوب بكل بساطة ليظهر مقدار السعادة لشفاء واسترداد أيوب.

(ع ١٢- ١٥) العودة للنجاح والرخاء.

"وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه". تماماً ضعف ما كان عنده قبلاً. وهذا، أو ما يقابله، هو عين ما سيتم هنا على الأرض.

إن هذه ليست مجازاة سماوية على الإطلاق، ولكنها صورة لما سيتم مع الإنسان على الأرض، إن العهد الجديد لا ينقلنا أبداً من دائرة هذا المبدأ وحتى

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

في أيوب الذي لم يكن يهودياً ترى نفس الشيء. وعندما يأتي الوقت ليتبارك شعب الله الأرضي سيتبارك معهم بقية شعوب الأرض، ولكن ذلك الوقت لم يأت بعد، وعندما سيأتي سيكون علة نقيض الوقت الحاضر على خط مستقيم. ذلك فيما يتعلق بالأرض وشعوبها أما مركزنا نحن في المسيح، تماماً وبصورة رمزية كما كان البشر في آدم باعتباره الأب لجميعهم. ولكن هناك الآن رأس آخر هو المسيح. ونحن يشار إلينا دائماً باعتبارنا فيه – في المسيح وهذا هو الحق العظيم الذي تعالجه رسالتا أفسس وكولوسي، ففي أفسس نحن في المسيح للتمتع بكل بركاتنا، وفي كولوسي المسيح فينا لتتميم مسؤوليتنا الخاصة بإعلان حياته فينا. حتى أنه إذا كان الحق الأول هو التعزية الكبرى للمسيحي فإن الحق الثاني هو المنذر الخطير له "أنتم فيّ" – هناك كان الله مباركاً. ثم "أنا فيكم" – لكي يمكنكم الاعتماد عليّ لتتميم مسؤوليتكم هنا على الأرض. هذا هو الوضع الإلهي فيما يتعلق بنا – أما الممتلكات الأرضية وما إليها فليس لنا منها نصيب على الإطلاق وإن كان لنا في الواقع كل ما يمكن أن يتوق إليه قلب المسيحي تحت الشمس، أما أيوب فقد صار رجلاً أعظم بكثير من ذي قبل وإذا كانت العظمة تقاس بمقدار الممتلكات والمقتنيات الواسعة التي أصبحت في حوزته. يضاف إلى هذا أنه بورك في أسرته بصفة خاصة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

الآن نرى الصورة الكاملة لهذا الرجوع. فليس أن مقتنياته فقط قد ضوعفت، بل أعطاه الرب سبعة بنين وثلاث بنات. وهل في هذا استثناء لمبدأ مضاعفة الهبات؟ أو فيه إشارة أن أولئك الأولاد، أي السبعة بنين والثلاث بنات، لم يهلكوا وأن أيوب سوف يستردهم في يوم ما، وفي القيامة سيجد أن كل شيء قد أعيد إليه ضعفين.

ولاشك أن لأسماء البنات دلالات إلهية. اسم إحداهن "يميمة" ومهناها "حمامة" والأخرى "قصيعة" ومعناها "سليخة" والأخيرة "قرن هفوك" ومعناها "قرن الدهان" أو الزينة، هؤلاء هن ثمر تجارب أيوب، فالحمامة توحي بالرقة والمحبة اللتين يتصف بهما عصفور الألم والحزن، وزهر السليخة يحدثنا عن العطر الذكي الذي تضوّع من انسحاقه. أما قرن المساج فيحدثنا عن "جمال عوضاً عن الرماد" – الأمر الذي من حصته الآن. انظر أخي: المحبة، والعطر الفوّاح، والجمال: كل هاتيك تخرج من أحزاننا حقاً لا توجد بنات جميلات كهؤلاء! ولقد طالما أحاط بنوهن حول ركبتي أيوب ليمنحوه بهجة حتى في سني الشيخوخة.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هكذا كانت النتائج المباركة لتجربة أيوب معبرة بهذه الأسماء تقية ومتواضعة مثل الحمامة والسليخة وهي الأريج والسجود والتعبد ولمعان سناء المجد.

(ع ١٦ـ ١٧) العاقبة أو النهاية.

"وعاش أيوب بعد هذا مئة وأربعين سنة". هذا لا يعني أن أيوب عاش مئة وأربعين سنة بعد إتمام التجربة وحوادثها، بل أن حياة أيوب كانت كلها مئة وأربعين سنة. وهو لاشك عمر محترم جداً. صحيح أنه لم يبلغ في طوله عمر إبراهيم أو اسحق ولكنه على ما يعتقد وصل إلى شيء يماثل عمر يعقوب، وأكبر من عمر موسى، وهنا دليل آخر على أن أيوب عاش في عصر سابق لموسى الذي يخبرنا في مزموره التسعين إن "أيام سنينا هي سبعون سنة وإن كانت مع القوة فثمانون سنة" ويبدو أن موسى هو كاتب السفر، وهو وأخوه هرون لم يعيشا مئة وأربعين سنة فذلك يجعله أطول عمراً من أي واحد من الآباء وليس القصد بطبيعة الحال بعض الشيوخ قبل الطوفان، فأولئك كانوا يعيشون أعماراً طويلة جداً، ولكن الناس بعد الطوفان لم يعيشوا مثل هذه الأعمار الطويلة – إلا في الفترة التي تلت الطوفان مباشرة. وهكذا ينتهي السفر بأيوب مائتاً شيخاً وشبعان أياماً.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وهكذا اختفى عن العين ذلك الرجل العزيز "شيخاً وشبعان أيام" ربما أراد مرة أن يقول أنه "شبعان ليالي" لكن النور أشرق عليه وهوذا يسير في النور "إلى النهار الكامل".

نصل إلى النهاية نهاية يوم سلام كامل يرى أربعة أجيال في العمر الكبير الناضج مائة وأربعين سنة وينضم إلى آبائه. في مراجعة الترجمة السبعينية نجد إضافة طويلة للعدد الأخير تبدأ بهذه الجملة: "ومكتوب أنه سيقوم أيضاً مع أولئك الذين سيقيمهم الرب". وتظهر هذه العبارة أن رجاء قيام الجسد كانوا يؤمنون به في الأيام القديمة وبكل تأكيد سيكون أيوب هناك "في ذلك اليوم" وتعبيره العظيم "أعلم أن وليّ حي" ورجاء رؤية الرب يتحقق. كل شعب الله يعلم هذا الحق المنقطع النظير إن الرب في كل معاملاته مع شعبه كثير الرحمة ورؤوف.

في تحليلنا قد أشرنا تكراراً إلى المقارنة بين أيوب وآلامه والرب مخلصنا وآلامه المقدسة وهي تبيّن كمال محبوبنا. استخدام يمكن أن يعمل لإسرائيل أن تتبعوا هذا كفائدة، مثل أيوب، تعاني البر الذاتي لكن يوماً ما ستأتي الأمة وجهاً لوجه إلى الرب وتتواضع في التراب من ثم في استردادهم سيقبلون من يد الرب ضعفين عن كل خطاياهم (أشعياء ٤٠: ٢).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

"هل جعلت قلبك على عبدي أيوب؟"

"قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب. لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف" (يعقوب ٥: ١١).

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998−2005, All rights reserved.

معاني الكلمات الصعبة

للإصحاح الثاني والأربعون

ص ع	الكلمة		معناها
٤٢: ٦	أرفض	:	أرفض نفسي في كل ادعاءاتها.
٤٢: ١٠	سبي	:	سباه – أسره أو غربه أو أبعده بغير إرادته.
٤٢: ١٠	ضعفاً	:	الضعف مثل الواحد.
٤٢: ١١	رثوا	:	رقوا له.
٤٢: ١١	الشر	:	الفقر والمكروه.
٤٢: ١١	قسيطة	:	عملة غير معروفة.
٤٢: ١٤	يميمة	:	يمامة، بنت أيوب الأولى.
٤٢: ١٤	قصيعة	:	سنا، بنت أيوب الثانية.
٤٢: ١٤	قرن هفوك	:	قرن الدهن، بنت أيوب الثالثة.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

خاتمة

في خاتمة هذا التفسير لسفر أيوب نعود إلى كلمة نطق بها أيوب في جولته الثانية مع أصدقائه. "لأنه يعرف طريقي. إذا جربني أخرج كالذهب" (أيوب ٢٣: ١٠).

وصرخة أيوب هذه تدور حول مركزين : الله وأيوب وسفر أيوب كما نعلم يضم شخصيات أخرى. فهناك الشيطان وهناك أصدقاء أيوب الثلاثة. وهناك الشاب المدعو أليهو الذي يظهر في النهاية. ولكن هذه الصرخة تدور حول الله وأيوب فقط.

إنها صرخة تنبع من أعماق مشاعره، وتعلن عن أحاسيسه في صلته بالله، في تأمل سابق نستمع إلى أيوب في جوابه على أليفاز يفقد إحساسه بكيانه. بذاتيته، ويقول "هوذا أنا حقير" وهنا تصدر عنه هذه الصرخة التي تدل على الثقة بالله، والإيمان بقيمة النفس.

وهنا يلتقي نوران. نور يسطع فيظهر حقيقة الله، ونور يضيء حقيقة النفس. والنوران متآزران كل يؤيد الآخر. وياله من إعلان عظيم لإنسان مجرد من كل شيء يجلس وسط حطام حياته وممتلكاته وكيانه وتقدير الآخرين له.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

إنه يحس في نفسه أنه أبعد ما يكون عن الاتصال بخالق الأرض والسماء. نعم إنه يطلب أن يصل إلى محكمة الله، وأن يستمع القدير إلى شكواه وأن يعلن براءته أمام متهميه، وأن يُخرس ألسنة مقاوميه الهازئين به، ولكن هيهات.

وفي الكلمات "لأنه يعرف طريقي" نلمس اقتناع أيوب بالطريق الذي يسلكه. أو بمعنى آخر أن أيوب يقصد هنا ليس طريقاً يعبره، بل قوة وطاقة كامنة في أعماقه. فالمقصود إذاً أن الله يعرف أعماق الإنسان ويدرك خفايا نفسه.

وهذا ما قصده أيوب في قوله "إنه يعرف طريقي" أي أنه يعرف معنى وجودي، وهدفي، ومقدرتي. ثم يضيف القول "إذا جربني أخرج كالذهب".

وأعجب ما في هذا الإقرار، ذلك الإعلان الذي يكشف عن عمل الله فيه. أو عن الدور الذي يقوم به القدير معه. وكأنه يقول: أنا لا أعرف شيئاً. أقر بجهلي أمامه، فلا معرفة لي بكياني ولا إدراك لي بالطاقة الكامنة التي توصلني لهدفي ولكن ما لا أدركه أنا، الله يعرفه ويدركه تماماً.

ونحن نرى سيدنا يقول إمام بيلاطس:

"لهذا قد ولدت أنا، ولهذا أتيت إلى العالم لأشهد للحق".

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

وكأن بالسيد يستعرض في هذه الساعة، اللحظة التي ولد فيها ويربط بينها وبين هدف ومبدأ سيتم فيما بعد. والسؤال الذي ينبغي أن نسأله لأنفسنا على الدوام هو: "هل حياتنا تطابق الغاية التي من أجلها وجدنا؟" والجواب "من ذواتنا لا نستطيع لأننا لا نعرف شيئاً". ينبغي إذاً أن نسلم للرب طريقنا، فهو وحده الذي يعرف، ونترك له المجال في قيادتنا، والعمل فينا، فهو القادر أن يتمم قصده الأول، لأنه هو يعرف ذلك.

وإذا رجعنا إلى العهد الجديد نجد كل تعاليم الرب يسوع المسيح والرسل، تؤكد الاختبارات التي وصل أيوب إلى تحقيقها. وها نحن نقتبس آية من رسالة يعقوب وهذه الرسالة كتبت خصيصاً لجماعة كانت لها تجاربها المتنوعة وفي هذه الآية نجد رد الرب يسوع المسيح على أيوب "طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة. لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة". هذه الآية تفسرها بنود الرسالة بأكملها حيث أن الكاتب يصور الله مشرفاً على عملية التنقية لقصد ثابت مجيد هو التزكية، حتى ينال من تزكى أي تنقّى، إكليل الحياة.

علينا ألا نخشى عملية التزكية، لن الرسول بولس يقول: "لم تصبكم تجربة إلا بشرية. ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل أيضاً مع التجربة المنفذ" (١ كور ١٠: ١٣).

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

يقول الرسول يعقوب "قد سمعتم بصبر أيوب" (يعقوب ٥: ١١) هـذه الإشارة إلى أيوب تستحق التأمل. وكلمة صبر هنا لا تعطي المعنى الكامل. فهي في الأصل "ثبات". إن أيوب لم يكن صابراً بمفهوم كلمة الصبر. فأحاديثه كلها تفيض بالشكوى والأنين لكنه ثبت في التجربة. ينبغي أن يكون للإنسان الصبر، مع الثبات. الصبر أو طول الأناة في احتمال المشقات، وعدم التزعزع.

ونستمع إلى صرخة أيوب، ولعله انكفأ على وجهه أمام القدير، هاتفاً:

"بسمع الإذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني" "لأجل ذلـك ارفـض واندم في التراب والرماد" لقد أشرقت على أيوب رؤيا جديدة أظهرت له مدى عجزه.

أن كل ما وصل إليه فكره عن معرفته بالله، وما نلمسه في حـواره مـع أصحابه، لم يصل بعد إلى كمال الفهم. ولكن ها هو الآن قد رأى الله. ورؤيـا القدير قد وصلت به إلى نتيجتين قاطعتين:

(١) "قد علمت أنك تستطيع كل شيء".

(٢) "ولا يعسر عليك أمر".

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

نعم وما دام الله يستطيع كل شيء، ولا قوة في الوجود تقف في وجهه، فمخطط الشيطان من نحو أيوب، لا بد وان مصيره الفشل. وقصد الله هو للخير لابد وأن ينتصر في النهاية.

هذه الرؤيا الجديدة للقدير قد كشفت له عن رؤيا جديدة لنفسه. يقول أيوب "لذلك ارفض...." ماذا تعني هذه الكلمة؟ في الترجمة الإنكليزية وردت بمعنى "احتقر نفسي" بينما في الهامش "احتقر كلماتي" ولكننا نقول أن ترجمتنا العربية التي نتداولها حتى الآن أكثر دقة فلا توجد كلمة "نفسي" في الأصل العبري، ولا توجد "كلمتي" كما لا توجد كلمة "احتقر". إن الكلمة في الأصل العبري تعني حرفياً "اختفي". اسحب نفسي واختفي. هنا نرى أيوب ينكمش إلى حد ابعد مما قاله عن نفسه سابقاً "هوذا أنا حقير" إنه يقول هنا: إنني أتلاشى نهائياً. امسح نفسي من الوجود. اخلي نفسي من المركز الذي اتخذته سابقاً، ومن المكانة التي ظننت نفسي فيها. ثم يقول "واندم في التراب والرماد" وكلمة "اندم" تعني الحزن العميق والانكسار.

وهكذا نستمع هنا إلى لغة الخضوع، بعد لغة الاعتراض الأولي والشعور بالذات. هنا نرى خضوعاً كاملاً لإرادة الله، ومخططه في حياته. ونرى أيضاً عظمة نفس أيوب.

© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

هنا يصل الإنسان إلى أسمى حالته الروحية، حينما يرى نفسه صفراً في الوجود، ويسلم ذاته بين يدي الرب يسوع فيصبح الله هو الكل في الكل بالنسبة له.

وهكذا نرى أن جوهر رسالة الرب يسوع هو الإقرار بسلطان الله في الحياة، وما ينجم عن هذا القرار من خضوع وتسليم. إن طريق الدخول إلى ذلك الاختبار الفريد هو التوبة، والتوبة بهذا المعنى تتضمن كل ما قاله أيوب أي تلاشي النفس في محضر الشعور بسلطان الله ووجود الله. هذا هو نفس المعنى الذي ردده الرسول بولس في قوله "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني واسلم نفسه لأجلي" (غلا٢: ٢٠).

إنه يعلن لنا بأن المسيح قد اشتراه للوضع الذي وصل إليه أيوب لا "أنا" أي تذوب "أنا" وتتلاشى ويحيا هو فيّ، المسيح ولا سواه وهكذا نرى الفارق الواحد بين بولس وأيوب. إن بولس وصل إلى المستوى الايجابي بينما أيوب توقف عند الجانب السلبي منتظراً مزيداً من النور. أن لله طرقه العديدة التي يدخل بها إلى أعماق مشاعر النفس. ولقد رأينا ما عمله مع أيوب. وربما استخدم طرقاً أخرى مع أناس آخرين لكن الحصيلة واحدة.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.

فحينما تشرق رؤيا الله على الإنسان ويأتي وجهاً لوجه أمامه فإنه يقول: ارفض، أتلاشى، لا أوجد، لا "أنا" وعندما يصل إلى هذا الحد يأتي الله ليرفعه إلى ملئ الحياة والبركة واختبارات النعمة.

وللرب كل المجد. آمين.

P.O Box 486, Dracut MA 01826 USA Email: info@arabicbible.com
© Copyright 1998–2005, All rights reserved.